

















# بيت مِرْالِحِينَ مِ

يسرّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغًا بعنوان

شرح حدیث جبریل

في بيان مراتب الدين الإسلام والإيهان والإحسان

للشيخ

د. محمد بن غالب العمري

- حفظه الله تعالى -

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

# بنير المعالجة التعمر الرحيث

إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران:١٠٢].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا الله الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا الله الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [النساء: ١].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْهَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧٠-٧١]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله على وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد: فأسأل الله جل وعلا أولا كها جمعنا في هذا المكان الطيب على طاعته أن يجمعنا عنده في دار كرامته، وأن يجعل هذه المجالس وما سيتلوها من مجالس في موازين حسنات الجميع، وأن يبارك في هذه الجهود لا سيها ما يقوم به مركز رياض الصالحين من جهود نافعة وجهد مشكور مبذول في تعليم القرآن، والعناية بتجويده وحفظه، والحرص على الدروس الشرعية والدورات العلمية بها يكون فيه النفع للمجتمع، وكذلك للأفراد، أسأل الله جل وعلا أن يبارك في الجهود جميعها وأن يجعلها في موازين الحسنات.

وكذلك نشكر في مقدمة هذه الدروس دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري في دبي لما يولونه من اهتهام بالغ في إقامة مثل هذه الدروس العلمية والمجالس الشرعية بها يكون فيه نفع للمجتمع، نسأل الله جل وعلا أن يبارك في جهودهم.

الدرس هو في شرح حديث جبريل الطويل المعروف، وسنجعل هذا الدرس في أوله شرح إجمالي للحديث مع ذكر بعض الفوائد التربوية والعقدية المختصرة عليه، ثم في المجالس القادمة سيكون التفصيل لكل مسألة على حدة حتى نستوفي بإذن الله ما يتيسر من المسائل المتعلقة بالحديث.

وحديث جبريل هو يشرح الدين كله، فإن مدار اعتقاد أهل السنة والجماعة هو الاعتقاد الذي أنزله الله جل وعلا على نبيه على وعاش النبي على متمسكًا به مدافعًا عنه

هو ما تضمنه حديث جبريل، ففيه أصول الاعتقاد؛ من مسائل الإيهان بالله ومن أركان الإيهان ومن أركان الإسلام ومن ركن الإحسان ومن تفصيلات ذلك مما أشير إليه في الحديث، ومن ذكر اليوم الآخر وما يسبقه أيضًا من ذكر أشراط الساعة، وما يتضمنه من الكثير من مسائل آداب العلم.

فحري بطالب العلم أن يعتني به عناية فائقة، ثم جاءت الأحاديث الأخرى في بيان الاعتقاد الصحيح، وهي كشرح وتفصيل لما أُجمل في حديث جبريل التَّلِيُكِلاً.

الحديث في الصحيحين والرواية التي معنا هي في مسلم من حديث عمر بن الخطاب في قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْم، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلُ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثْرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدُ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحُمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَام، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وَقُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وَتُقِيم الصَّلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وَتُقِيم الصَّلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وَتُقِيم الصَّلَاةَ، وَتُوثِي الزِّكَاة، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَلِله، وَالدَّ مُعَلِيلًا»، قَالَ: عَالَى صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: هَالَى عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلائِكَتِه، وَكُتُبِه، وَرُسُلِه، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وتُؤْمِنَ بِالله كَأَنَكَ تَرَاهُ، فَإِنْ وَشَرِهِ»، قَالَ: هَالَ: هَالَى: هَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَكَ تَرَاهُ، فَإِنْ

لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا المُسْتُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْخُفَاةَ الْعُرَاةَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْخُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ النَّائِلُ؟» قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ ويَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ ويَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ ويَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعلِمُكُمْ ويَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعلِمُكُمْ ويَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ عِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعلِمُكُمْ ويَنْ أَمُ ويَسُولُهُ أَعْلَمُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ الْعَلَقُ فَالَاءً وَلَا اللهُ عَلَيْهُ وَلَالًا وَلُولُونَ فِي الْبُنْمَالَ إِلَا لَهُ عَلَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ الْعُلَقُ وَاللَّالَةُ وَلَا اللّهُ عَلَى اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ اللّهُ وَلَا لَا اللّهُ وَلَا لَا اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ الْولَالَةُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ الللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ الللهُ الللّهُ الللهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ الللهُ ال

هذا الحديث جعله أهل العلم من الأحاديث العظام التي بني عليها دين الإسلام كله، وقال القاضي عياض كها ذكر ذلك عنه النووي: "هذا الحديث قد اشتمل على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيهان وأعهال الجوارح وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعهال إلى غير ذلك".

وقال النووي رحمه الله: "وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ يَجْمَعُ أَنْوَاعًا مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ وَالْآدَابِ وَاللَّطَائِفِ، بَلْ هُوَ أَصْلُ الْإِسْلَامِ".

وقال القرطبي رحمه الله: "هذا الحديث يصلح أن يقال له أم السنة لما تضمنه من جمل علم السنة".

وكذلك قال ابن دقيق العيد الشافعي رحمه الله: "فهو كالأم للسنة، كما سميت الفاتحة أم القرآن".

\_

<sup>(</sup>١) أخرجه مسلم حديث: ٣٤

وقال ابن رجب رحمه الله الحنبلي: "هو حديث عظيم يشتمل على شرح الدين كله، ولهذا قال النبي على: "أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ"فجعل ما ذُكِر في هذا الحديث هو الدين كله".

هذا بعض ثناء أهل العلم على هذا الحديث، شرحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بمجلد خاص سماه شرح حديث جبريل، وعلى طريقة شيخ الإسلام في الإسهاب والشرح والبسط.

هذا الحديث ابتدأ فيه عمر على بقوله: " بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْم"،

وجاء في رواية من حديث أبي هريرة في ذكر خلقه الله على مع أصحابه وعنايته بهم قال: "كان النبي الله بارزا يومًا للناس"

وجاء في سنن أبي داود عن أبي هريرة وأبي ذر قالا: "كان رسول الله يهي يجلس بين ظهراني أصحابه -يعني معهم - فيجيء الغريب فلا يدري أيهم رسول الله على حتى يسأل، فطلبنا إلى رسول الله على أن نجعل له مجلسا يعرفه الغريب إذا أتاه -لأن الصحابة الذين حول النبي على يعرفونه، لكن إذا جاء الغريب يريد أن يسأل عن مسائل الدين احتاج أن يكون النبي الله بارزا حتى يسأل هذا الغريب من أمور الدين ما يشاء.

قال: فبنینا له دکانا من طین، شیئًا مرتفع فجلس علیه، وکنا نجلس بجنبتیه، -یعنی حوله ﷺ-

وذكر أهل العلم في شرح هذا الحديث أنه ينبغي للمعلّم أن يكون على مكان مرتفع حتى يراه الناس ويبلغ صوته إليهم، ويعرفونه لأجل السؤال

ثم ذكر عمر وله فقال: إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ.

وهذا الوصف كان غريبا؛ لأنه لو كان رجل من الصحابة ممن يعرفون لما استغربوا هذا الوصف عليه، ثم تعجبوا أنه "شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ"، ومعنى ذلك أنه لم يظهر عليه شيء من أثر السفر كما قال: "لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفْهُ مِنَّا أَحَدٌ" إذًا هذا كله يدعو إلى الغرابة.

فلو أنه جاء أشعث أغبر لقالوا أنه جاء من سفر، ولو أنه من الصحابة الذين هم حول النبي على لما تعجبوا من شديد بياض ثيابه ولا من شديد سواد شعره، ولكنه جمع بين هذه الغرائب.

قال: "فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ".

معنى هذا أنه قرب من النبي على حتى "أَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ" أي ألصقها، كأنه أسندهما إلى ركبتي النبي على، "وَوَضَعَ كَفَيْهِ" أي هذا الرجل، وضع كفيه عَلَى فَخِذَيْهِ،

هل المراد على فخذي نفسه أو على فخذي النبي الله؟

توجيهان لأهل العلم، والصواب أنه وضع يديه على فخذي النبي الله لورود ذلك في رواية سليمان التيمي كما أشار إلى ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله.

قال بعضهم: هذا دليل على أدب الإنصات، وهذه الحالة دليل على الإنصات والرغبة في معرفة العلم، فهو قَرَب كثيرًا حتى وضع يده على فخذي رسول الله على الله

وفيه ما كان عليه النبي على من التواضع والصفح والتحمل

وقيل: لأن ما يكون من مثل هذه الجراءة هو من فعل الأعراب، فكان هذا فيه زيادة تعمية على الصحابة الله في شأن هذا الرجل.

وقال: "يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ"

وهذا فيه الحرص على التفقه في الدين ومعرفة أصول الاعتقاد والسؤال عن

المهات، فإن جبريل جاء للنبي الله أول ما سأله عن الإسلام، ولم يسأله عن أحكام فقهية أو عن مسائل شرعية

وهذا فيه فقه الأولويات، وفيه أن طالب العلم يحرص على أن يسأل عما ينفعه في دينه أولا، وأن ينظر في المهم من المسائل وما يحتاج إليه.

ولا بأس أن يسأل عن الأمور الواضحات إن كان يستشكل منها شيئا.

وفيه أيضًا أنه إذا كان في مجلس، فإنه يرجع في سؤاله إلى أهل العلم في هذا المجلس وإلى أعلاهم علما أو أفضلهم علما، فإن هذا الرجل وهو جبريل العلم متمثلا في صورة البشر لم يأت إلى بعض الصحابة، ووجد في هذا المجلس من علماء الصحابة في وإنها جاء إلى النبي هي فيحرص الإنسان على سؤال الأعلم.

فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مَ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتُحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبيلًا».

ذكر له في تعريف الإسلام الأعمال الظاهرة من الشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج، فهي أركان الإسلام، ومن هذه الأركان ما تَرْكُه مخرج من الملة، كالشهادتين، والصلاة على اختلاف بين أهل العلم، وبقية الأركان على الراجح أن من تركها هو في فسق وفي ظلم وفي تعدٍ، ولا يصل إلى الخروج من الملة إلا بجحدها،

ففسر الإسلام بالأعمال الظاهرة التي تظهر من الإنسان.

قال: "صَدَقْت، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ" وهذا على غير العادة سؤال طالب العلم، فإن الأصل في طالب العلم أن يسأل عما يجهل، ولكن يجوز للإنسان أن يسأل عما يعلم إذا أراد أن يبين للحضور الحكم الشرعي، الأصل أنه يسأل عما يجهله هو، لكن له أن يسأل سؤالا إذا أراد أن يبين للحضور الحكم الشرعي، فكان المقصد هنا نبيلا ونافعا، إذ لم يقصد امتحان شيخه أو لم يقصد أن يورد عليه الغرائب والعجائب، أو نحو ذلك من المقاصد السيئة، وإنها قصد في سؤاله أن يعلم الناس، فيجوز للإنسان أن يسأل عما يعلم إذا كان له في ذلك مقصد نافع.

قَالَ: "فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيهَانِ"، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْم الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

إذًا الإيهان يتعلق بجنس الأعهال الباطنة، والإسلام يتعلق بجنس الأعهال الظاهرة، وسيأتي معنا ما هي العلاقة بين الإسلام والإيهان، العلاقة بين الإسلام والإيهان بالمختصر أنهها إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، ومعنى ذلك أنه إذا ذُكِر الإسلام وحده تضمّن الإسلام والإيهان، تضمن الأعهال الظاهرة والأعهال الباطنة، وإذا ذُكِر الإيهان وحده تضمّن الإيهان والإسلام، تضمن الأعهال الباطنة والأعهال الظاهرة، وإذا ذُكِر امعًا فإن الإسلام يختص بجنس الأعهال الظاهرة والإيهان يختص الظاهرة، وإذا ذُكِرا معًا فإن الإسلام يختص بجنس الأعهال الظاهرة والإيهان يختص

بجنس الأعمال الباطنة، وهذا معنى إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

ولا يكون الرجل مؤمنًا حتى يكون مسلمًا، ويدخل الإسلام بنطق الشهادتين ثم ما يفعله من أركان الإيهان، فعلى هذا قال العلماء: "كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمن".

هل هناك دليل على التفريق من القرآن؟

نعم، {قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} [الحجرات: ١٤].

إذًا الإيهان مرتبة أعلى من الإسلام، لكن قال أهل العلم: لا بد أن يكون مع المسلم شيء من الإيهان يقيم إسلامه، لكنه ليس الإيهان الذي هو مرتبة الإيهان الأعلى من مرتبة الإسلام، فإذًا كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمن، والإيهان أعلى مرتبة. قال: "صَدَقْتَ"، قال: "فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ"، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

هذه أعلى مراتب الدين: وهي الإحسان، إذًا كل محسن مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن محسن ولا كل مؤمن محسن، وإنها كل محسن فهو مؤمن وهو مسلم، فمرتبة الإحسان أعلى مراتب الدين، يحققها من حقق الإسلام وحقق الإيهان، وعنده من مراقبة الله جل وعلا ومن حسن تعبده لله جل وعلا ما حقق به هذه المرتبة «أَنْ

## تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكُ».

قال: "فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ" متى وقتها، متى تقوم الساعة؟ وعلم الساعة من علم الغيب الذي كان خاصًا بالله جل وعلا ولم يبده لأحد من خلقه، لذلك جاء في الحديث أن الرجل سأل النبي على متى تقوم الساعة؟ لم يجبه النبي الكن أجابه على ما هو أهم من سؤاله قال: "ماذا أعددت لها؟" هذا السؤال المهم.

فهاذا أعددت للساعة؟ أما الساعة فهي آتية لا ريب فيها، فقال له النبي الله وهو من حسن الجواب قال له: «مَا المُسْؤولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» المسؤول عنها هو النبي الله والسائل هو جبريل، فالنبي الله لا يعلم متى قيام الساعة، كما أن جبريل لا يعلم متى تقوم الساعة.

قال: "فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا"، وهذا يدل على أن للساعة أشرطًا، سيأتي بإذن الله تفاصيلها، منها الأشراط الصغرى ومنها الأشراط الكبرى، فإذًا لها أشراط، فذكر النبي على من أماراتها، قال: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ».

"أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا"، قيل معناه: أن الرجل يتزوج الأمة أو يطأ الأمة فتلد الولد، هذا الولد يصير سيدًا لأمّه، قيل هذا من التفسيرات وهو دليل على انتشار الإسلام وعلى السيطرة على بلاد الكفر وسبي الذراري، وقيل معناه: أن الإماء يُبعن، فربها

اشتراها ابنها وهو لا يدري أنها أُمّه فتكون أُمّة عنده وهو سيدٌ لها، وغير ذلك من التفسيرات.

وهنا ننبه تنبيه سيأتي تفصيله إن شاء الله أن كون هذا الشيء من أشراط الساعة لا يدل على أنه محرّم، وإنها يدل على أنه علامة، قد يكون محرم وقد يكون مباحًا وقد يكون أمرا عظيًا، كمبعثه على فإن النبي على قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين» إذًا من أشراط الساعة مبعثه هي فالمراد بالأشراط العلامات.

قال: "ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا -بقيت أنتظر فترة- ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينكُمْ».

وهذا فيه أن الملائكة تتشكل بأشكال البشر كل ذلك بقدرة الله على وقد جاء جبريل إلى مريم في صورة بشر، وجاءت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط في صورة بشر، وكان جبريل يأتي للنبي على بصورة الصحابي الجليل يحيى الكلبي، والله جل وعلا جعل هم خلقا عظيها، لكن بقدرته جل وعلا يتشكلون على هيئة البشر، قال الله جل وعلا: {الْحَمْدُ لله فَاطِر السَّهَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ المُلاَئِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَلَلاَثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخُلْقِ مَا يَشَاء إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير} [فاطر: ١].

وجاء في صحيح البخاري أن النبي الله وأى جبريل وله ستهائة جناح، هذا على الخلقة التي خلقه الله جل وعلا له من القدرة بإذنه الله على ا

أن يتشكل بأشكال البشر، وهذا من أمر الله وله في ذلك جل وعلا الحكمة البالغة. الحديث يتضمن فوائد كثيرة، نأتي على مجملها ثم نأتي على التفصيل إن شاء الله في الدروس القادمة.

من فوائد هذا الحديث:

أولا: أن من هديه الله أنه كان يجالس أصحابه، وهذا يدل على كريم خلقه الله وفيه أنه ينبغي للإنسان أن يكون حسن العشرة مع الناس مفيدًا لهم نافعًا لأمور دينهم ودنياهم.

وفيه ما رجحه بعض أهل العلم من أن الخلطة أفضل من العزلة، والاختلاط بالناس أفضل من الاعتزال عنهم، والراجح في ذلك أن الإنسان في هذا الأمر طبيب نفسه، فإن كانت الخلطة تزيده إيهانًا وتعينه على العبادات وعلى الطاعات فالخلطة أفضل.

وإذا كانت الخلطة تكون بأناس سيئين أو تبعده عن الله جل وعلا وعن دينه أو يكون مخالطًا لأصحاب لا يتقون الله جل وعلا لا فيه ولا في أنفسهم ولا يقومون بشرع الله ولا دينه فلا شك أن الاعتزال عنهم هو الأولى.

وكذلك ينظر الإنسان في أمر العزلة، فإذا كانت العزلة عن الناس سببًا لضعفه ولسيطرة الشيطان عليه ولكثرة الوسوسة فلا شك أن خلطته بالناس أفضل، وعلى

كل حال فالإنسان في هذا طبيب نفسه ينظر في حاله، ولا شك أن العبد لو جعل لنفسه من الخلطة ما يكون له عونًا على محاسبة نفسه فهو أولى.

فإن كثرة المخالطة ربها يكون لها أضرار، فيحتاج الإنسان إلى شيء من العزلة يقوم مها نفسه ويصلح بها شأنه ويرتب بها أمور حياته وينظر في علاقته بربه وفي علاقته بالخلق وفي عبادة ربه وفي حق نفسه عليه، فيحاسب نفسه، وهذا لا يمكن أن يكون إلا مع شيء من العزلة.

فيعتني بأن يكون له نصيب من الأمرين، فتكون خلطته بها يزيد به إيهانه وتقوى به صلته بالله جل وعلا، ويكون عونًا له على طاعة ربه، واعتزاله يكون في أمر محاسبة نفسه ومراجعة أمر دينه ونحو ذلك.

من فوائد الحديث أيضًا: حسن أدب المتعلم والإصغاء، فإن في فعل جبريل من قربه من النبي فيه من الإصغاء واليقظة في الدرس، وهذا ما ينبغي أن يكون من أدب طالب العلم أن يحضر الدرس بكليّته، وألا يكون حضوره مجرد إشغال للمكان الذي يجلس فيه دون إدراك أو إصغاء أو انتباه أو يقظة، فيفوته بعدم حرصه على هذه الأمور الكثير من الخير.

وعلى هذا فلا ينبغي له أن يتشاغل بأي شيء من أمور الدنيا أو غيرها مما يصرفه

عن مجلس العلم أو عن الفوائد أو عن مسائل العلم التي تُطرح، فلا يتشاغل بجواله أو بكتابه أو بثوبه أو بشماغه أو بنحو ذلك من الملهيات.

ثم أيضًا لا بد لطالب العلم أن يجلس جلسة الطالب المريد الذي يريد علمًا، الذي يريد علمًا، الذي يريد فهمًا ويتشوق للمسائل لا جلوس المستغني، فإن فعل جبريل على مع النبي على جلس جلسة الراغب الحريص الصاغي المستمع.

وفيه أنه ينبغي للعالم أن يرفق بالسائل، فينظر في مسألته ويجيبه على حسب علمه ويترفق به، فهذا الذي ينبغي، فربها جاء إلى مجلس العالم من يكون فظًا غليظًا، أو ربها لا تُفهم مسألته، أو ربها عدم مقدرته على إبلاغ سؤاله يؤدي به إلى الحرج وإلى التلعثم والتردد، فينبغى للعالم أن يعطيه من الطمأنينة ويترفق به حتى يسأل حاجته.

من فوائد الحديث: بيان أركان الإسلام الخمسة، وأن العبد لا بد أن يشهد الشهادة بنفسه، فلا يقول مثلا في مجمع الناس نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد له، إنها تُطلب الشهادة منه لوحده، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله.

وفيه أن الشهادة متكونة من جزئين، فالشهادة لله جل وعلا بالوحدانية والعبادة،

والشهادة للنبي على بالرسالة والاتباع له على ولا يكمل أمر الشهادة إلا بالشهادتين، ولذلك لا يجوز للإنسان أو لمن أراد أن يدخل الإسلام أن يقتصر على شهادة أن لا إله إلا الله، بل لا بد أن يضم لها شهادة أن محمدا رسول الله على.

ومن فوائد هذا الحديث أيضًا: الإخلاص وما تضمنته الشهادة؛ فإن الشهادة تدل على وجوب على إخلاص العمل لله جل وعلا، وشهادة أن محمدا رسول الله على تتدل على وجوب المتابعة للنبي وهما شرطا قبول العمل، فإن العمل الذي يتقرب به إلا الله جل وعلا لا يقبل إلا بشرطين:

الإخلاص لله وعجلت

والمتابعة للنبي ﷺ

والناس في هذا الباب على أربعة أقسام:

من حقق الإخلاص والمتابعة وهو أعلى الأقسام

ودونه باطل لا شك، لكن أيضًا الباطل يتفاوت في البطلان

فالمرتبة الأولى من حقق الإخلاص والمتابعة

والثانية: من حقق الإخلاص ولم يحقق المتابعة، وهذا سبيل أهل البدع أو من حقق المتابعة ولم يحقق الإخلاص، وهذا سبيل أهل الرياء والشرك أو من لم يحقق المتابعة ولم يحقق الإخلاص، وهذا أسوأ الأقسام.

و من فوائد الحديث: أنه لا يتم إسلام العبد حتى يقيم الصلاة، وهذا في قول من قال أن ترك الصلاة تهاونًا كافر، وهو قول معتبر وقوي، وكذلك الحرص على أركان الإسلام من إيتاء الزكاة والصيام والحج.

كذلك من فوائد الحديث: أن الإيهان يتضمن ستة أركان وهي: الإيهان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

ومن فوائد الحديث: ما سبق أن ذكر معنا التفريق بين الإسلام والإيهان، فإنه ذكر الإسلام وفسره وذكر الإيهان وفسره.

ومن فوائد الحديث: أن الإيمان بالله هو أعظم أركان الإيمان، وأن أركان الإيمان كلها مبناها على هذا الركن ولذلك ذُكر هو أولا، ولا يصح من العبد أن يؤمن بركن ويكفر بآخر، فإنه لا يستقيم له الإيمان حتى يؤمن بالأركان كلها.

ومن فوائد هذا الحديث: إثبات الإيهان بالملائكة، وهذا الإيهان هو الإيهان بخلق غيبي، وصفهم الله جل وعلا بأوصاف كثيرة سيأتي ذكرها معنا بإذن الله تعالى، ونؤمن بمم إجمالا وتفصيلا بأن هناك ملائكة كثر لا يحصيهم إلا الله جل وعلا، ونؤمن بمن سمى الله جل وعلا من الملائكة.

وفيه أيضًا الإيهان بالكتب، قال الله جل وعلا: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [الحديد: ٢٥]، نؤمن بالكتب

### إيمانًا إجماليًا وإيمانًا تفصيليًا

إيهانًا إجماليًا بها أنزل الله جل وعلا من الكتب على رسله وأنبيائه

وإيهانا تفصيليا بها سمى الله جل وعلا من الكتب كالتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وموسى، والزبر والقرآن الذي أنزل على نبينا على .

كذلك نؤمن بالرسل إيهانًا إجماليًا وتفصيليًا، فمن الرسل من لم يذكر لنا الله جل وعلا أسهاءهم، ومنهم من ذكر لنا أسهاءهم كها قال جل وعلا: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ} [غافر:٧٨].

ومن فوائد هذا الحدث أيضًا: الإيهان باليوم الآخر، وسمي اليوم الآخر لأنه آخر الأيام، ويكون بعد أيام الدنيا، فهو آخر المطاف الذي يصل إليه البشر، وبعده إما جنة وإما نار.

ومن فوائد الحديث: وجوب الإيهان بالقدر خيره وشره، وبقضاء الله جل وعلا، وسيأتي تفصيل هذه المسائل.

ومن فوائد هذا الحديث: بيان مرتبة الإحسان، وأنها أعلى مراتب الدين، وبها يكون الناس في أعلى المراتب، أعلى ممن كان في مرتبة الإسلام أو من كان في مرتبة الإيان.

وفي الحديث أيضًا: أن للساعة أشراطًا جاء ذكرها في الكتاب وجاء ذكرها في

السنة، وسيأتي بإذن الله جل وعلا تفصيلها.

ومن فوائد هذا الحديث: وجوب رد العلم إلى الله جل وعلا، فقال: «يَا عُمَرُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ أَتُدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، ففيه بيان أن الإنسان إن لم يعلم شيئًا أن يحيل العلم إلى عالمه جل وعلا.

وفي حياة النبي على يقال: "الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ"، وبعد وفاته على يقال: "الله أعلم"، وكون الإنسان يقول الله أعلم أو يقول لا أدري أو نحو ذلك من العبارات فلا شك أن هذا دليل على تقواه لله جل وعلا وعلى حرصه ومراقبته، ألا يتكلم في دين الله بشيء، كما قال ربنا جل وعلا: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُوَّادَ كُلُّ أُولِئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولا} [الإسراء:٣٦].

وقال جل وعلا: {وَأَن تَقُولُواْ عَلَى الله مَا لاَ تَعْلَمُونَ} [البقرة:١٦٩]

فلا يجوز للإنسان أن يفتي في دين الله جل وعلا بأمر؛ لأنه بهذه الفتيا يكون موقعًا عن رب العالمين جل في علاه، وإنها الواجب عليه أن يقول لا أدري أو أن يحيل إلى مليء، "ومن أحال إلى مليء فليحتل"، فيحيل إلى عالم أو إلى من عنده العلم بهذه المسألة التي يتكلم فيها.

فإن الصحابة الله أعلم كما في هذا المخديث، وعلى هذا سار أئمة التابعين الله فقد قال الشعبي مرة وهو عامر بن شراحيل

عندما سُئل قال لا أدري، فقيل له: "أما تستحي أن تقول هذه الكلمة وأنت فلان؟ أنت عامر بن شراحيل الشعبي من أئمة الحديث، ما تستحي تقول لا أدري؟ فقال رحمه الله: إن الملائكة لم تستحي حينها قالت لا علم لنا إلا ما علمتنا"، فلا ينبغي للإنسان أن يتجرأ على دين الله.

ابن القيم رحمه الله ألف كتابا سماه إعلام الموقعين عن رب العالمين، إعلامهم، إخبارهم الذين يوقعون يفتون فيقولون هذا حلال وهذا حرام دون علم وبينة ونص، الواجب على الإنسان أن يحيل العلم إلى عالمه جل وعلا، ولذلك جاء أن رجلاً جاء للإمام مالك فسأله شيء وثلاثين مسألة، فأجاب عن أربع، قال: جئتك من كذا أسألك فتقول لا أدري؟ قال: "اخرج إلى الناس وقل لهم سألت مالكا عن كذا وكذا مسألة فقال لا أدرى".

ولذلك قال ابن وهب رحمه الله: "لو كتبنا عن مالك لا أدري لملأت الألواح"، أي: من كثرة ما كان يُسأل رحمه الله ويقول لا أدري، وهو إمام دار الهجرة، وأحد أئمة المذاهب الأربعة من مذاهب أهل السنة ومع هذا يُسأل فيقول لا أدري، فهذه تربية لطلاب العلم ألا يتجرؤوا على الفتوى، فإن دين الله جل وعلا ليس ساحة لمن أراد أن يدخل فيها.

وهنا ننبه على أمر مهم وهو أن بعض الناس يقول دين الله جل وعلا للجميع،

فلهاذا تحصروه على هيئة أو على دائرة إفتاء أو على فلان من أهل العلم؟ فنقول له: أما المقدمة الأولى فصحيحة وهي أن دين الله جل وعلا للجميع، وأما أن يكون الكلام في دين الله والفتيا في دين الله للجميع فهو أمر باطل يدل عليه نص الكتاب ونص السنة والحس المشاهد.

أما الكتاب ففي قول الله جل وعلا: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} [الإسراء:٣٦].

وأما السنة ففي فعل الصحابة من رسول الله على من قولهم الله أعلم، ومن إقرار النبي على لهم بذلك

وأما الحس المشاهد فإن الناس يحترمون التخصصات كما يُقال، فهل يليق بعالم دين أن يتحدث في الطب من غير فهم ولا علم؟ وهل يليق بعالم شرعي أن يتحدث في أمر الهندسة والبنيان؟ وهل يليق بالمهندس أن يتحدث في خصوصيات أهل الطب؟ هذا سيستنكر عليه

فكذلك أمر الفتيا في الدين ليست لمن سبق ولا هي لمن أراد أن يتحدث فيها، بل لا بد فيها من العلم، من علم يتكلم بعلمه، ومن لم يعلم فإنه يسعه أن يقول لا أدري، ولا أدري كما قال أهل العلم هي نصف العلم، إذ العلم إما أعلم أو لا أعلم، فإذا قلت لا أعلم فأنت قد كسبت نصف العلم، وهو دليل على تقواك لله جل وعلا وعلى

مراقبتك له ١١٠٠٠

يقول ابن مسعود على الناس، من علم منكم شيئًا فليقل ومن لم يعلم فليقل لم يعلم فليقل لم يعلم الله أعلم".

هذه بعض الفوائد في مجلسنا هذا، ونكمل إن شاء الله جل وعلا في المجالس القادمة لتفصيل المسائل الواردة في الحديث.

أسأل الله جل وعلا لي ولكم الفقه في الدين والثبات واليقين، وأن يستعملنا في طاعته وأن يتقبل منا الصيام والقيام، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

### الدرس الثاني:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليها كثيرا.

أما بعد:

فهذا هو الدرس الثاني من شرح حديث جبريل الله وقد ذكرنا سابقًا أن بقية الشرح سيكون بشيء من التفصيل بالوقوف على كل عبارة وبيان المسائل المتعلقة بها.

تطرقنا في الدرس الماضي إلى بداية الحديث وما يتعلق به من الآداب في قول عمر الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلُ شَولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلُ شَوادِ الشَّعَرِ".

قلنا في هذا: حرص الصحابة ﴿ على الجلوس مع رسول الله ﷺ والاستفادة منه

ثم فيه ضبط الصحابة لما يروون، فإنهم رووا هذا الوصف ورووا الحديث بكامله، وهذا يدل على ضبط وانتباه ويقظة وإدراك لما يقال لهم من العلم، فيه حرص وعناية.

فقالوا: "حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ"
وفيه القرب من المعلم؛ لأن هذا أدعى للإنصات، ولأن بُعد الطالب عن درس
العلم أو جلوسه في أطراف المسجد أو نحو ذلك ربها يكون سببا للغفلة والتغافل
والابتعاد عن الانتباه واليقظة فتفوته الفوائد.

ومن هنا فإن أهل العلم تكلموا عن أدب طلب العلم ولا سيها فيها يتعلق بمسألتنا نحن في هذا الحديث، وهي جلوس طالب العلم في مجلس العلم، فإن ما ذكره عمر من جِلسة جبريل الطلق هي جِلسة الراغب المحتاج المنتبه المتيقظ المصغي، وهذا ما نبه عليه أهل العلم رحمهم الله.

قال ابن جماعة الشافعي: "الرجل يجلس بين يدي شيخه جلسة الأدب، كما يجلس الصبي بين يدي المقرئ .. أو متربعا بتواضع"، ثم ذكر أيضًا أهلُ العلم من آداب مجالس العلم أن يحرص على أن يوسم لغيره كما قال الله جل وعلا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي المَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ الله لَكُمْ } [المجادلة: ١١]

وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «لا يُقيمَنَّ أَحَدُكم رجلاً مِنْ مَجْلِسه ثُمَّ يَجْلِسه ثُمَّ يَجْلِسه ثُمَّ يَجْلِسُ فيه، ولكنْ تَوسَّعُوا وتَفَسَّحوا؛ يَفْسَح الله لَكُمْ»

ومن آداب مجالس العلم ألا يتفرّقَ فيها أصحابُها، فإن النبي الله دخل المسجد وهم حِلَق متباعدين، فقال: "مالي أراكم عزين" يعني متفرقين

ثم ذكروا من مجالس العلم وهو ما دل عليه حديث جبريل العليه الإنصات وعدم

الكلام، وقد كانت هذه المجالس هي مجالس الأئمة من قبل، مجالس العلم.

فقد روي أن الرجل يأتي إلى مجلس الإمام مالك رحمه الله فيتعجب من سكوتهم، فيسلّم عليهم فلا يرد السلام عليه أحد إلا الإمام مالك، ثم يقول هذا الرجل: أنتم في صلاة؟ يعني من شدة سكوتهم، وما عَلِم أن هذا إنها هو من أدبهم مع العلم

وكانت هذه المجالس هي مجالس عبد الرحمن بن مهدي ومجالس الإمام أحمد وغيرهم، حتى قيل أن عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله سمع لغطًا في مجلسه فقال منكرًا عليهم في مجلس العلم، يعني هذا اللغط، "والله لا حدثتكم شهرا".

وحينها وصف الصحابة في في سهاعهم لرسول الله في قالوا: "كأنهم على رؤوسهم الطير"، من الإنصات وحسن الاستهاع، وهذا ما فعله الصحابة في حديث

جبريل، حتى حينها استشكلوا أن هذا الرجل غريب، فها سألوه مَنْ أنتَ ولماذا جئت، ولماذا تسأل رسول الله على وتصدقه.

لم يحصل شيء من هذه الاعتراضات أو من هذا الكلام، وإنها استمعوا لحديث رسول الله على مع هذا الملك، واستفادوا علمًا وأنصتوا.

وأيضًا فعل جبريل السلام الإنصات والقرب من رسول الله الله الله الله الله الله العلم على أنه ينبغي عرص عليه طالب العلم أن يجرص على الاستهاع، ونبه أهل العلم على أنه ينبغي لطالب العلم أن يحرص على الاستهاع لا أن يشغل باله بالاعتراض والاستشكال؛ لأنه إذا شغل باله بالاعتراض والاستشكال لم يسمع الفائدة، {مَّا جَعَلَ الله لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ} [الأحزاب:٤].

ولذلك قال الحسن البصري رحمه الله: "إذا جالست فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقطع على أحد منك على أن تقول، ولا تقطع على أحد حديثه".

جمع ابن جماعة رحمه الله جملة من الآداب في الانصات والاستهاع، قال في بعضها: "ويصغي إلى الشيخ ناظرًا إليه ويقبل بكليّته عليه متعقلًا" يعني واعيا لقوله، بحيث لا يحوجه إلى إعادة الكلام مرة ثانية

وقال: "ولا يلتفت من غير ضرورة ولا يضطرب بضجة يسمعها، ولا يحصر عن

ذراعيه ولا يعبث بيديه ولا برجليه ولا يضع يده على لحيته ولا فمه"

وذكر هذا وذكر غير هذا من الآداب التي ينبغي أن يتأدب بها طالب العلم في مجالس العلم.

ثم من الأمور التي يحرص عليها طالب العلم التقييد، النبي على قال: «قيدوا العلم بالكتاب» فإن قال قائل: لماذا الصحابة في هذا الحديث لم يقيدوا، لم يرد عندنا أنهم كتبوا شيئًا من العلم؟

قلنا: كان الأمر من رسول الله في أول الأمر النهي عن كتابة شيء غير القرآن. والصحابة في كانوا يضبطون، ولذلك رووا لنا الأحاديث الكثيرة التفصيلية الطويلة من حفظهم رووها للتابعين ثم رواها التابعون لأتباعهم ثم قُيد في دواوين العلم

فهذا بعض ما ذكره أهل العلم في مجالس العلم وما يتعلق بها من آداب. ثم قال أول ما سأل رسول الله على قال: "أُخْبِرْ نِي عَنِ الْإِسْلَامِ" الإسلام: هو الانقياد والخضوع لله تعالى، وله معنيان:

أما المعنى الأول: فهو الانقياد والاستسلام لأمر الله الكوني والقدري، فهذا الإنسان مقهور فيه، لأنه خاضع لسنن الله الكونية، فهل له ثواب في ذلك؟ من حيث الاعتقاد، لكن من حيث العمل هو مجبور؛ لأنه تحت سنن الله جل وعلا الكونية.

والثاني: إخلاص العبادة لله جل وعلا لا شريك له، وهو ما عرّفه أهل العلم بقولهم: "الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله"، وهذا هو الإسلام بمعناه الخاص، وهو الذي يثاب عليه الإنسان ويعاقب، يثابت بفعله ويعاقب على تركه، وهذا الإسلام بهذا المعنى الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله هذا المعنى ينقسم إلى قسمين:

١ – الإسلام العام: وهو كل ما جاء به الرسل والأنبياء، فدين الرسل والأنبياء هو
 الإسلام.

قال الله جل وعلا: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمِ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيم } [البقرة: ١٢٧ - ١٢٨]

وقال سبحانه: {أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ المُوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ وقال سبحانه: {أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ المُوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [البقرة: ١٣٣].

فدين الأنبياء جميعا هو الإسلام بالمعنى العام الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله

٢ - والإسلام بمعناه الخاص: هو الدين الذي أُرسل به نبينا على، وهو المعني في

قوله جل وعلا: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخِررةِ مِنَ الْخِررةِ مِنَ الْخِررةِ مِنَ الْخَاسِرِين} [آل عمران:٨٥].

فإذًا في خلاصة الأمر الإسلام له معنيان:

الأول: الدين المشترك وهو توحيد الله جل وعلا وعبادته وحده سبحانه وهو دين جميع الأنبياء والرسل.

والثاني: ما اختص به نبينا على من الدين والشرعة والمنهاج.

إذا أطلق الإسلام في شريعتنا فله حالتان، هذا بالمعنى الخاص:

١ - إما أن يطلق على الإفراد غير مقترن بإيهان وهو دال على الأعهال الظاهرة، كها جاء في حديث أبي هريرة وما جاء كذلك في حديث ابن عمر في مسلم، بني الإسلام على خمس، فذكر الأعمال الظاهرة.

٢ فإذا قُرِنَ مع الإيهان دل الإسلام على الأعهال الظاهرة ودل الإيهان على
 الأعهال الباطنة

وأما إذا أفرد ذكر الإسلام فإنه يتضمن الإسلام والإيهان، يتضمن أيضًا الأعهال الباطنة، ولذلك جاء في الحديث أن النبي على سئل: فأي الإسلام أفضل؟ قال: «الإيهان، قال: وما الإيهان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت».

إذًا هنا فُسر الإسلام أيضًا بالإيهان، ففسر الإسلام بها فسر به الإيهان، أما إذا كان مقترنا بالإيهان فإنه يكون يدل على الأعمال والأقوال الظاهرة كها قال الله جل وعلا: {قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا} [الحجرات: ١٤].

إذًا هنا مسألة: أن الإسلام والإيهان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا

إذا اجتمعا فإنه يفسر كل منهما بمعناه، الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالأعمال الباطنة، وإن افترقا فُسّر أحدها أيضًا بالآخر.

قد يقول قائل هنا مسألة: لماذا ذكرت أركان الإسلام في حديث جبريل فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِلَيْ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُبَّ الْبَيْتَ إِلَى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُبَّ الْبَيْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، مع أن الأعمال أكثر من ذلك، سواء الأعمال البدنية أو الأعمال القلبية أو أعمال اللسان؟

قال أهل العلم أولا: هذه الأعمال التي ذُكرت في حديث جبريل وفي حديث ابن عمر إنها هي أصول الأعمال في الإسلام والتي يُبني عليها الإسلام

فالأعمال إما أن تكون عمل لسان وهو الشهادتين

أو عمل بدن وهو الصلاة

وإما أن تكون عملًا ماليًا وهو الزكاة

وإما أن يكون العمل مركب من الجميع وهو الحج

فقالوا: هذا الحديث يتضمن أصول الأعمال التي يُبنى عليها الإسلام.

ومما ذكره أهل العلم أن الإسلام في الأصل يبنى على الشهادتين، وإنها أُضيف إليهما الصلاة والزكاة والحج والصيام لكونهما أظهر شعارات الإسلام، وبقيامه بها يتم إسلامه، وتركه لهذه الأركان يشعر بانحلال قيد انقياده لله جل وعلا.

ثم أيضًا من الأوجه التي ذكرها أهل العلم من ذكر هذه الخمسة الأركان مع وجود غيرها ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من أن هذه الخمسة الأركان واجبة وجوبًا عينيًا على كل مسلم بخلاف غيرها، أما غيرها فإنها تجب بأسباب المصالح.

يعني الجهاد مثلا لا يجب على جميع الناس، ولذلك لا يجب على الناس، عندما استأذن على رسول الله والله والله والنهي عن المنكر لا يجب على كل أحد، وحكم الإفتاء كذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجب على كل أحد، وحكم الإفتاء والإقراء والتحديث، وكذلك ما يجب بسبب حق الآدميين مثل رد الغصوب، والودائع.

فعندما يأتي يتكلم العلماء عن الغَصْب مثلا أو يتكلمون عن الوديعة أو يتكلمون فإنهم لا يجعلون هذا من فروض الأعيان، وإنها فيمن تعيّنت عليه من الأفراد

إذًا ذكر هذه الخمسة لأن الواجب فيها على جميع أهل الإسلام، وأما غير ذلك فيكون بأسباب عارضة على بعض الناس دون بعض.

ثم ابتدأ تفسير الإسلام بقوله ﷺ: "أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله"

"لَا إِلَهَ إِلَّا الله" معناها: لا معبود بحق إلا الله، فما سوى الله إنْ عُبد؛ إنما يُعبد بباطل

قال الله عَجْكَ: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيم} [البقرة:١٦٣] وقال جل وعلا: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنَا وَعَلا: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنَا وَعَلا: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنَا وَعَلا: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنَا وَعَلا إِللهَ اللهَ عَبْدُونَ } [الأنبياء: ٢٥].

وقال جل وعلا: {ذَلِكَ بِأَنَّ الله هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ} [الحج: ٦٢] وهذا لا إله إلا الله

فلا إله إلا الله لها ركنان، نفي وإثبات

نفي الآلهة عما سوى الله جل وعلا

وإثبات الألوهية الحقة لله جل وعلا

وهذا التقدير في قولنا "لا إله إلا الله" معناه: لا معبود بحق إلا الله هو الذي يوافق الواقع، فإن الواقع يدل على أن هناك آلهة كثيرة تُعبد من دون الله، لكنها آلهة

باطلة، ولا يجوز عبادة غير الله جل وعلا.

هذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، إفراد العبادة لله جل وعلا، وليس التوحيد الذي دعت إليه الرسل إثبات أن الله جل وعلا هو الخالق الرازق، فإن هذا الأمر كان متقررًا حتى عند أعداء الرسل.

قال الله جل وعلا: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ الله} [لقيان: ٢٥]، {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله} [الزخرف: ٨٧] إذًا هم يثبتون أن الخالق هو الله جل وعلا، لكنهم ينازعون في أن تكون هذه العبادة لله جل وعلا وحده، {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلْمًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَاب} [ص: ٥].

عندهم ثلاثمائة وستين صنمًا في الكعبة، يعني كل هذه المعبودات باطلة؟ هذا شيء عُجاب

ولذلك النبي الله على الله على عبد المطلب، يا بني فلان، فقالوا: ماذا؟ قال: كلمة، قولوا لا إله إلا الله كلمة أحاج لكم بها عند الله، كفار قريش أهل لغة عربية يعرفون دلالات الألفاظ، فعلموا أن معنى لا إله إلا الله أي: لا معبود بحق إلا الله.

علموا أن النبي على يريد منهم أن يتركوا عبادة جميع الآلهة ويقتصر في عبادتهم لله جل وعلا وحده لفهمهم لهذه الآية، قالوا: تبا لك، ألهذا جمعتنا؟ لا يريدون، وقالوا: {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٍ} [ص:٥].

لو كانوا يعتقدون أن لا إله إلا الله معناها لا خالق إلا الله هل كانوا سيعترضون؟ ما كانوا سيعترضون؛ لأنهم يقرون بهذا كها سبق ذكر هذا، يقرون بأن الله هو الخالق، فلو كان معنى لا إله إلا الله لا خالق إلا الله، لا موجود إلا الله، لا قادر على الخلق إلا الله لاستجابوا له؛ لأنهم يؤمنون أن الخالق هو الله، ولكنهم علموا أن النبي يطلب منهم ترك عبادة جميع المعبودات وإفراد الله جل وعلا بالعبادة، فهنا أبوا ورفضوا وامتنعوا.

ولا إله إلا الله هذه الكلمة كلمة التوحيد لا يكفي فيها مجرد النطق، فكم من إنسان يقول لا إله إلا الله وهو يعبد غير الله، يتقرب إلى القبور وإلى الأضرحة وإلى المزارات ويخاف من المقبورين ويقدم لهم القرابين ويسجد لهم ويتخذهم شفعاء ووسائط، والله جل وعلا قال عن حال المشركين في اتخاذهم الوسائط: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقرِّبُونَا إِلَى الله زُلْفَى} [الزمر:٣]، "هم وسائط، نحن أناس مذنبون وهؤلاء لهم منزلة عند الله جل وعلا، فَمَنْ نحن حتى ندعو الله فلا فنلتجئ إلى هؤلاء يوصلون مطلوبنا إلى ربنا"

لا شك أن هذا كلام باطل، فالله عَلَى قال: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون} [البقرة:١٨٦].

وقال: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: ٢٠] ما قال اتخذوا وسائط، ما قال انظروا شفعاء {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} ، وعلى العكس أنت في حال الذنب وفي حال انظروا شفعاء حال الحاجة أحوج ما تكون إلى ربك جل وعلا، وسؤالك غير الله جل وعلا سوء أدب مع الله

الله عَلَى قَال: {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء اللَّرْضِ أَإِلَهُ مَّعَ الله قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُون} [النمل: ٦٢].

من الذي يجيب دعوة المضطر؟ من الذي يشفي المريض؟ من الذي يفرج الكروب؟ من الذي يعين الفقير؟ الكروب؟ من الذي يعين الفقير؟ الله جل وعلا، فهو الذي يدعى على فلست بحاجة إلى الوسائط.

إذًا شهادة أن لا إله إلا الله لا يكفي فيها مجرد النطق، بل لا بد من فهمها ومعرفة مدلولها والوقوف على شروطها، جاء عن سهل بن عبد الله التستري أنه قال: "لا إله إلا الله مفتاح الجنة، وما من مفتاح إلا وله أسنان، هذه الأسنان هي شروطها"

وما هي شروط لا إله إلا الله؟

ذكرها أهل العلم ونظمها بعضهم فقالوا:

والانقياد فادر ما أقول وفقك الله لما أحبه

العلم واليقين والقبول والصدق والإخلاص والمحبة

هذه سبع شروط.

قد يستشكل قائل ويقول: بعض كبار السن ربم لا يحفظ هذه الشروط، فهل يقال إنه لا يصح منه هذا الأمر وهو غير محقق لشهادة أن لا إله إلا الله؟

يقال: لا، فإن كثيرا من هؤلاء ممن هو على الفطرة، هذه الشروط متقررة في نفسه وإن لم يعدها، فلو جئت إليه وقلت أنت تعلم أنه لا إله إلا الله؟ قال: نعم

وأنت تخلص في عبادتك لله؟ قال: نعم

وتقول له: وأنت تقبل مدلول هذه الكلمة؟ قال: نعم

وتنقاد إليه؟ يقول نعم، وغير ذلك من الشروط.

إذًا هو يحققها ولو لم يعد هذه الشروط، فهذه الشروط كما ذكرنا سبعة

الأول: العلم، وهو العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا، لا إله إلا الله نفي للعبودية لغير الله، وإلا الله إثبات للإلهية الحقة لله ﷺ، قال الله جل وعلا: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله} الله، وإلا الله إثبات للإلهية الحقة لله ﷺ. [محمد: ١٩]. وجاء في الحديث: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة».

الشرط الثاني: اليقين، وهو المنافي للشك، قال الله جل وعلا: {إِنَّهَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ الشُّرط الثاني: اليقين، وهو المنافي للشك، قال الله جل وعلا: {إِنَّهَا المُؤْمِنُونَ اللَّذِينَ الله أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون} الله وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِحِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ الله أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون} [الحجرات: ١٥]، الله جل وعلا قال: {ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا}

وجاء في السنة قوله على كما في الصحيح من حديث أبي هريرة: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة» أي: من لقي الله جل وعلا بهذا لم يحجب عن الجنة.

الشرط الثالث: الإخلاص المنافي للشرك، قال الله جل وعلا: {أَلاً لله الدِّينُ الشرط الثالث: الإخلاص المنافي للشرك، قال الله جل وعلا ومخلصا في جميع الخالِصُ } [الزمر: ٣]، أنت تقول هذه الكلمة مخلصا فيها لله جل وعلا ومخلصا في جميع عباداتك لله جل وعلا؛ لأن لا إله إلا الله تقتضي أن تخلص جميع العبادات لله، فلا يجوز أن تتقرب لغير الله لا بذبح ولا بنذر ولا باستغاثة ولا استعانة ولا توكل ولا رجاء ولا خوف ولا خشية ولا رغبة ولا رهبة ولا إنابة ولا رجاء ولا غير ذلك.

كل عبادة، وما هي العبادة؟

هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، كل هذه لله جل وعلا، ولذلك جاء في الحديث قوله في بيان إخلاص قول لا إله إلا الله قال: «أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه».

وجاء في حديث عتبان بن مالك قال على: «إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا

الله يبتغي بذلك وجه الله على الله عند النسائي في اليوم والليلة قال على: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مخلصا بها قلبه يصدق بها لسانه إلا فتق الله له السهاء فتقا حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض».

الشرط الرابع: الصدق، وهو المنافي للكذب، أنه يقولها صادقا غير كاذب، قال الله جل وعلا: { فَلْيَعْلَمَنَّ الله الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: ٣]، وقال جل وعلا: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِالله وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِين} [البقرة: ٨] يكذبون، { يُخَادِعُونَ الله وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُون \* فِي قُلُوبِمِ مَّرَضُ فَزَادَهُمُ الله مَرَضاً وَهَمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِهَا كَانُوا يَكُذِبُون } [البقرة: ٩- ١٠].

وجاء في السنة قوله على: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار»

الشرط الخامس: المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه، والله جل وعلا قال: {وَمِنَ الشَّرط الحَّامس مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ الله أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الله وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لله} [البقرة:١٦٥].

وجاء في الحديث: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيهان، أن يكون الله ورسوله

#### أحب إليه مما سواهما»

الشرط السادس: الانقياد لمعنى هذه الكلمة وهي الأعمال الواجبة إخلاصا لله جل وعلا ولمرضاته في قال جل وعلا: {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ} [الزمر: ٥٤]، وقال: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ} [النساء: ١٢٥]، ثم أيضًا قول الله جل وعلا: {وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى الله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى الله عَاقِبَةُ الأُمُور} [لقهان: ٢٢] أي بلا إله إلا الله.

فهذا هو القسم الأول من قوله على في الشهادة: أن تشهد أن لا إله إلا الله.

الشهادة الثانية: وهي شهادة أن محمدا رسول الله هي، فهي الاعتقاد الجازم بأن النبي هي مرسل من ربه، وأنه خاتم الأنبياء والرسل، ووجوب تصديقه واتباعه ولوازم شاهدة أن محمدًا رسول الله هي أربعة

تصديقه فيها أخبر، والائتهار بها أمر به والانتهاء عما نهى عنه وألا يُعبد الله إلا بها شرع على.

تصديقه فيها أخبر من الأمور الماضية والأمور المستقبلية، جاء في السنن أن النبي الخبرنا عن بني إسرائيل، أخبرنا عن آدم، أخبرنا عها كان، وأيضًا جاء من سنة النبي الخبرنا عها يكون في الجنة وما يكون في الجنة وما يكون في الجنة وما يكون في النار، فنصدقه في في كل ما قال، ونفعل ما أمر به في ونجتنب ما نهى عنه في،

فالنبي على هو القدوة في أمر العبادة، «خذوا عني مناسككم لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا»، «صلوا كما رأيتموني أصلي»، وهو الذي بين لنا هي فروض الصلاة وواجباتها وسننها، وهو الذي بين لنا ما يجب على الصائم، وهو الذي بين لنا صفة الصلاة، وهو الذي بين لنا صفة الحج، وهو الذي بين لنا مقادير الزكاة.

والنبي الله على أمر طاعته قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي، قالوا: ومن يأبي يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبي»

والناس في طاعة رسول الله على ثلاثة أقسام، طرفان ووسط

أما الطرف الأول: فهو الذي يغلو فيعطي لرسول الله على من خصائص الألوهية أو ربها من خصائص الربوبية، وهذا لا يجوز، بل منه ما هو مخرج من الملة كاعتقاد جواز الطلب من رسول الله على ودعاءه من دون الله على، كمن يقول يا رسول الله الشفني، ويا رسول الله المرسول الله المرسول الله عافني، ويا رسول الله ارحمني ونحو ذلك.

والطرف الثاني: هو المفرّط التارك لسنة رسول الله على، الذي لا يرفع بها رأسا ولا

يفرح بها ولا يتبعها، وهذا مفرّط.

القسم الثالث: هم من وُققوا إلى حسن متابعة رسول الله هي، فيأتمرون بأوامره ويتركون نواهيه هي ويجرصون على سننه

ثم تصديق النبي على يقتضي ستة أمور،

أما الأمر الأول: فالإيمان بعموم رسالته إلى كافة الثقلين الإنس والجن

والأمر الثاني: الإيمان بأنه خاتم الأنبياء، ورسالته خاتمة الرسالات، هو خاتم الأنبياء والرسل على.

الأمر الثالث: الإيهان بأن رسالته ناسخة لما قبلها من الشرائع، ولذلك قال كان رسالته ناسخة لما قبلها من الشرائع، ولذلك قال والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت بله إلا كان من أصحاب النار».

الأمر الرابع وهو من تصديقه على: الإيهان بأنه على قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة، كها قال الله جل وعلا: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَعْمَتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ كَهَ الله جل وعلا: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَعْمَتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا} [المائدة: ٣] فتم الدين وأكملت النعمة، وهذا من فضل الله جل وعلا على أمة الإسلام.

الأمر الخامس: الإيهان بعصمته على فيها بلّغ عن ربه على، فإنه لم يزد على ولم ينقص من أمر الشريعة شيئًا.

الأمر السادس: الإيمان بما له على من الحقوق، ومن حقه علينا الله أن نحبه أكثر من أولادنا وأموالنا وأنفسنا، يقول الله الا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»

يقول قائل: كيف أعرف هذه المحبة؟

قال النبي على كما في حديث عمر رضي الله عنه حينها قال: "يا رسول الله أنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي"، وكان عمر شو صادقا، فقال النبي على: "لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك"، ثم جاء عمر فقال: "يا رسول الله فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي"، فقال على: "الآن يا عمر"

والنبي الله عقوق كثيرة سيأتي بإذن الله بيانها في ركن الإيهان بالرسل بتفصيل بإذن الله جل وعلا إن أطال الله الله الله على الأعمار.

أسأل الله جل وعلا للجميع التوفيق والسداد والهدى والرشاد، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

### الدرس الثالث:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليها كثيرا.

أما بعد: فهذا هو المجلس الثالث من مجالس شرح حديث جبريل الطّيْلا، وكان آخر ما توقفنا عليه هو قوله عليه «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا».

وتقدم معنا شيء يسير من معنى الشهادتين، شهادة أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم الركن الثاني من أركان الإسلام هو الصلاة، الصلاة ركن عظيم من أركان الإسلام وهو فرض على كل مسلم لا يسقط بالعجز ولا بالمرض ولا بغيره، والنبي على قال: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ»، فيصلي الإنسان على ما تيسر له، ما دام أنه له عقل يعي به وإدراك فإنها تجب عليه الصلاة.

والصلاة هي أقوال وأفعال تعبدية مخصوصة، تفتتح بالتكبير وتختم بالتسليم، أمر الله جل وعلا في هذه الفريضة فقال في كثير من الآيات: وأقيموا الصلاة، ونبينا على

يقول: «جُعلت قرّة عيني في الصلاة»، فرضت الصلاة في ليلة المعراج بعد عشر من البعثة، وهي كما ذكرنا واجبة على كل مكلف وهي أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة، فإنه يسأل عن صلاته.

ومما ذكر الله على من عذاب المشركين وسؤالهم عن ذلك قال: {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرِ \* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّين } [المدثر:٤٢]، وأما حكمها فهي فرض مجمع عليه فرض على الأعيان، وأما حكم تركها فمن تركها جحودا فهو كافر خارج من ملة الإسلام، فإنه أنكر أمرا معلوما من الدين بالضرورة.

وأما من تركها تهاونا وكسلا فقد اختلف أهل العلم فيمن هذا حاله، فمن أهل العلم من يرى أنه كفر دون العلم من يرى أن تارك الصلاة تهاونا كافر كفرا أكبر، ومنهم من يرى أنه كفر دون كفر، وهو من أعمال الفسق، وكفى بخطورة ترك الصلاة أن تارك الصلاة هو محل اختلاف أهل العلم هل هو مؤمن أم كافر، ولا شك أن هذا يدل على خطر هذه القضية وهى ترك الصلاة.

والنبي على قال: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»، وقال على: «من حافظ عليها كانت له نور وبرهان ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نور ولا برهان ولا نجاة يوم القيامة وحشر يوم القيامة مع فرعون وهامان».

وهذه الصلاة لها أركان، فأركان الصلاة أولا: القيام مع القدرة، ثانيا: تكبيرة

الإحرام، ثالثا: قراءة الفاتحة، رابعا: الركوع، خامسا: الرفع منه، سادسا: الاعتدال قائما، سابعا: السجود، ثامنا: الرفع منه، تاسعا: الجلوس بين السجدتين، عاشرا: الطمأنينة في جميع هذه الأركان وذلك بإعطاء كل ركن مكانه وحقه من الطمأنينة، ثم التشهد الأخير والجلوس لهذا التشهد والتسليم.

وكذلك من أركانها الترتيب كما سبق، ودل على هذا حديث المسيء صلاته المعروف المشهور الذي جاء يصلي ثم سلم على النبي في فرد عليه وقال ارجع فصل فإنك لم تصل، ثم بين له النبي الصلاة، «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاَةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا».

وكذلك للصلاة واجبات، فمن واجباتها التكبير لغير الإحرام، الإحرام قد تقدم معنا أنه ركن، وكذلك قول المصلي سمع الله لمن حمده، وقوله ربنا ولك الحمد، والتسبيح مرة في الركوع، وكذلك مرة في السجود، فها زاد فهو مستحب، والتشهد الأول كذلك واجب، وما عدا ذلك فهو من السنن، سواء السنن القولية كدعاء الاستفتاح والاستعاذة والبسملة وقراءة سورة بعد الفاتحة والجهر للإمام في الصلاة الجهرية، وما زاد على التسبيح الواحد في الركوع والسجود.

فهذا كله من السنن القولية أو كان من السنن الفعلية كرفع اليدين مع تكبيرة

الإحرام وعند الركوع ووضع اليمنى على اليسرى في الصلاة، هذه من السنن، وعلى كل حال فالصلاة شأنها عظيم ومكانتها جليلة وتركها خطر على العبد وقطع للصلة التي بينه وبين ربه جل وعلا إذ أن تاركها ترك أحد أركان العظيمة التي يقوم عليها الإسلام.

ثم قال الله الوتؤتي الزكاة".

والله جل وعلا فرض الزكاة في السنة الثانية من الهجرة، وفي آيات كثيرة يقول ربنا جل وعلا: وآتوا الزكاة، وقال الله جل وعلا: {وَوَيْلُ لِّلْمُشْرِكِين \* الَّذِينَ لاَ يُؤْتُونَ النَّاكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُون} [فصلت:٦-٧].

والزكاة من عناية الله جل وعلا بها أنه لم يجعل قسمتها للعباد، وإنها اعتنى على بقسمتها سواء ما ورد في كتابه أو في سنة نبيه في وعدد لنا المستحقين لها، وذكر في السنة النصاب، والزكاة كل أو تكون في أربعة أمور، تكون في المال، وهو كل مال نام بلغ النصاب وحال عليه الحول، وكذلك يكون في الزروع، زكاة الزروع حال الحصاد، كذلك تكون في بهيمة الأنعام بمقادير مفصلة دلت عليها السنة من الإبل والبقر والغنم، وكذلك تكون في عروض التجارة على الراجح من أقوال أهل العلم.

وما حكم مانع الزكاة؟

أبو بكر الصديق رضي قاتل مانعي الزكاة سواء من منعوها جحودًا لها أو منعوها

تأويلا؛ لأنهم قالوا إنها تجب الزكاة للنبي في وفهموا هذا من قول الله على: {خُذْ مِنْ أَمْوَالْهِمْ صَدَقَةً} [التوبة:١٠٣]، قالوا الله جل وعلا أمر نبيه أن يأخذ، هذه ليست لغير رسول الله في.

وأيضًا قاتل أبو بكر هم من ارتد من العرب، فما حكم تارك الزكاة؟ أما من ترك الزكاة جحودا لفرضيتها فهذا كافر؛ لأن جحد ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وأما ترك الزكاة بخلا وتهاونا فلا شك أن هذا من أعظم الفسق والضلال والبعد عن الله جل وعلا.

والزكاة إنها هي لتطهير النفس، {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِمَا} [التوبة: ١٠٣]، وفي الحديث: «ما نَقَصَ مالٌ من صدقة»، الإنسان لدفعه لهذه الزكاة فإنه يدفع عن نفسه كثيرا من البلاء ويقوم بحق الله عليه، والله عليه، والله عليه ذكر لنا وعيد من يبخلون، فقال: {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِهَا آتَاهُمُ الله مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّمُمْ بَلْ هُوَ شَرُّ لَمُّمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلله مِيرَاثُ السَّهَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالله بِهَا تَعْمَلُونَ خَبِير} [آل عمران: ١٨٠].

ثم ذكر الركن الثالث من أركان الإسلام وهو صوم رمضان، والصيام هو التعبد لله عَلَيْ بالإمساك عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وهو فريضة افترضها الله جل وعلا على عباده، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ

# الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة:١٨٣].

والصيام في حكمه منه ما هو واجب كصيام رمضان وما أوجبه الله على العباد، أو ما ألزم الإنسان به نفسه كصيام النذر أنه يجب الوفاء به، والقسم الثاني من الصيام: الصيام المستحب، وهو كل صيام استحب الشارع فعله فهو مستحب كصيام الاثنين والخميس أو الصيام المطلق، أي يوم يصومه العبد لله جل وعلا.

وشروط الصيام: الإسلام والبلوغ، فإن من لم يكن بالغًا لم يجب عليه الصيام وإن كان يعود عليه، وكذلك العقل فيسقط عن المجنون لأنه غير مكلف، وكذلك القدرة، فمن كان مريضا فإنه على حالين، إما أن يكون هذا المرض مرضا مستمرا مع العبد، فإنه يسقط عنه الصيام ويجب عليه الإطعام، وإما أن يكون هذا المرض مرضا عارضا، فإنه يصومه إذا انتهى هذا العارض، {أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّام أُخَرَ} [البقرة: ١٨٤].

والركن الأخير من أركان الإسلام هو الحج، والحج كما عرّفه أهل العلم هو قصد مكة والمشاعر حولها في زمن مخصوص لأداء أعمال مخصوصة فرضا وسنة في أيام مخصوصة، وفرض الحج في السنة التاسعة، قال الله جل وعلا: {وَلله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً} [آل عمران: ٩٧] وهو فرض في العمر مرة.

والشرط فيه الإسلام والعقل والبلوغ والحرية، فالعبد لا يجب عليه الحج،

وكذلك القدرة، والقدرة هذه سواء في الطعام أو في المركب أو القدرة البدنية.

والشرط السادس من شروط الحج وهذا خاص بالنساء أن يكون معها محرم، فهذه الأركان التي ذكرها النبي على من أركان الإسلام.

ثم قال جبريل: "صَدَقْت، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ"

ولذلك قال أهل العلم: الأصل أن الإنسان يسأل عما يجهل لا أن يسأل عما يعلم إلا إذا احتاج إلى ذلك أو رأى المصلحة في ذلك كأن يكون مقصده من ذلك تأكيد العلم وتثبيت المعلومة، والمراجعة لها، أو يكون المقصود من ذلك أن يفيد المستمعين الآخرين، فيسأل السؤال حتى يوصل هذا العلم إلى غيره، فلا بأس بذلك.

ثم قال: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتْبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالله وَسُرِهِ وَشَرِّهِ»، هنا السؤال عن الإيمان، والإيمان في اللغة هو التصديق مع الإقرار، قال بعض أهل العلم: هو التصديق في اللغة.

لكن الصواب أن التصديق يكون أيضًا معه الإقرار، فالإقرار أعم من التصديق، ولذلك تفسير الإيمان بالتصديق، الأوجه منه والأولى والأرجح؛ تفسير الإيمان بالإقرار، لأنه يتضمن التصديق ويتضمن الانقياد.

قال أهل العلم: كلمة "صدّقت" لا تعطي معنى كلمة "آمنت"، فإن كلمة آمنت تعلي على طمأنينة بالخبر أكثر من كلمة صدّقت، ثم أيضًا عندما تقول آمنت تحتاج إلى

تعدية فتقول: آمنت به، وصدّقت لا تحتاج إلى تعدية، لا تتعدى بغيره فتقول صدّقته، هذا يدل على أن الإيمان أشمل من مجرد التصديق، تقول في الإيمان آمنت به، وتقول في التصديق صدّقته، ما تقول صدّقت به، فلا تحتاج إلى تعدية.

ثم أيضًا من ترجيح أن الإيمان هو التصديق مع الإقرار؛ أن التصديق إنها يَعرُض للخبر فقط، فإذا جاءك خبر فإنه إما أن يكون صادقًا وإما أن يكون كاذبًا، والأمر هل الأمر فيه تصديق أو تكذيب؟ يعني إذا قال لك قائل افعل كذا هل يصح في جوابك أن تقول كذبت؟ لأن هذا إنشاء، افعل، لا تفعل، لا يتطلب هذا أمر التصديق وإنها يتطلب أمر الانقياد.

إذا قوبل الخبر بالتصديق والأمر بالانقياد؛ فقد حصل أصل الإيمان في القلب، ما هو أصل الإيمان؟ هو الإقرار، إذًا الإقرار يتضمن حصول التصديق وحصول الانقياد القلبي، وهذا ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله في مواضع من كتابه من المجموع.

قال: "أَنْ تُؤْمِنَ بِالله"

إذًا الإيهان هذا تعريفه في اللغة، أما تعريفه في الشرع؛ فهو قول باللسان واعتقاد بالجَنان وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بطاعة الله جل وعلا وينقص بمعصيته، فالإيهان هو قول اللسان وتصديق بالجنان وإقرار بالقلب وعمل بالجوارح، وهذا الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. ما الدليل على أن الإيهان قول باللسان؟

من الأدلة على ذلك قول النبي على: «الإيهان بضع وسبعين شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيهان»، إذًا هنا عندنا قول اللسان وعندنا عمل الجوارح وعمل القلب.

قول اللسان لا إله إلا الله.

وعمل الجوارح: إماطة الأذى عن الطريق.

وعمل القلب هو الحياء، الحياء أصله في القلب.

إذاً قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

الدليل على الزيادة في كتاب الله جل وعلا، قال الله على: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقُواهُم} [محمد: ١٧]، وقال جل وعلا: {إِنَّمَا اللَّوْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ الله هُدًى وَآتَاهُمْ تَقُواهُم وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتُهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّمِمْ يَتَوَكَّلُون } [الأنفال: ٢]، وقال الله جل وعلا: {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ المؤمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ وِقال الله جل وعلا: {هُو الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ المؤمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِمْ } [الفتح: ٤].

ودلت على هذا أيضًا السنة في قوله في في الحديث السابق: الإيهان بضع وسبعون شعبة، يعني جزء، أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، ومعنى هذا أن الإيهان فيها هو يدل على الزيادة وما يدل أيضًا على النقصان، وفي

الحديث: «يخرج من النار من كان في قلبه مثال ذرة من إيان».

وفي حديث أبي سعيد قال: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيهان» إذا كان هناك ضعف في الإيهان إذًا هناك زيادة.

خالف في هذا الأصل العظيم طائفتان رئيسيتان من جهة الوعيدية ومن الجهة الأخرى المرجئة:

أما الوعيدية فهم الخوارج والمعتزلة، قالوا: إن الإيهان لا يزيد، إذا ذهب بعضه ذهب كله، يعني إذا نقص شيء منه يذهب كل الإيهان. فإذًا عندهم الإيهان كها يقولون كل لا يتجزأ

ما الذي ينقص الإيمان؟

عندنا ما ينقص الإيهان وعندنا ما ينقض الإيهان، ما الذي ينقص الإيهان؟ المعاصي، فعند الخوارج من فعل معصية نقص إيهانه أم خرج من إيهانه؟ خرج من إيهانه، ذهب إيهانه كله، ولا شك أن هذا يخالف النصوص الشرعية وإجماع العلهاء، فإن الإنسان قد يفعل المعصية لكن لا يخرج من الإيهان.

قال الله عَجْكَ: {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} [الحجرات: ٩] أليس الاقتتال معصية؟ سماهم الله عَلَى مؤمنين، وكذلك قوله عَلَى: «شفاعتي لأهل

الكبائر من أمتي» وهل الشفاعة تكون للكافر أم تكون للمؤمن؟ تكون للمؤمن، ما الدليل؟ الله على قال في حق الكافر: {فَهَا لَنَا مِن شَافِعِين} [الشعراء: ١٠٠]، لكن في حق المؤمن يقول النبي على: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» والحديث الذي ورد معنا، «يخرج من النار من كان في قلبه مثال ذرة من إيهان».

فإذًا عند الخوارج من فعل كبيرة من الكبائر خرج من الإيهان، صار كافرًا في الدنيا، وفي الآخرة مخلد في النار، ووافقهم المعتزلة في المآل الأخروي، لكنهم في حاله في الدنيا قالوا هو في منزلة بين المنزلتين لا كافر ولا مؤمن، لم يكفروه ولم يثبتوا له الإيهان، وهذا قول عجيب، قالوا هو في منزلة بين المنزلتين، لكنهم اتفقوا مع الخوارج في الآخرة أنه من أهل الخلود في النار.

وقابلهم من قال بأن الإيهان شرعًا وليس لغة هو مجرد المعرفة أو التصديق، إذا كان الإيهان مجرد المعرفة والتصديق فيلزم من هذا القول أن إبليس مؤمن، وما الدليل؟ هل إبليس يعرف ربه؟ قال رب انظرني، قال: فبعزتك، أقسم بالله جل وعلا، وفرعون كذلك، قال: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ} [النمل: ١٤]، إذًا فرعون في قرارة نفسه يعتقد أن الله جل وعلا هو الإله الموجود لكنه جحد ذلك.

إذًا القول بأن الإيهان مجرد المعرفة قول باطل، لأنه يلزم من هذا أن الإنسان لو ترك شعائر الدين وجميع أعمال الجوارح وأقوال اللسان حتى الشهادتين أنه يكون

مؤمنا، ووفق الله جل وعلا أتباع السلف ومنهج الصحابة والآخذين بعقيدة النبي الله من نصوص الكتاب والسنة إلى القول الصواب الذي يوافق الفطرة وهو أن الإيان قول وعمل واعتقاد، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

ينقص هذا الإيهان من العبد حتى لا يبقى منه شيء، فيخرج بذلك من الإسلام إذا لم يبق في قلبه إيهان، لأن المؤمن على حالين، من عنده أصل الإيهان ومن عنده كهال الإيهان، كهال الإيهان بفعل الواجبات وترك المحرمات، وأصل الإيهان هو مقدار ما يبقيه على هذا الدين الذي في قلبه.

ثم قال في أول أركان الإيهان قال: "أَنْ تُؤْمِنَ بِالله"، الإيهان بالله هو أعظم أصول الإيهان وأعظم أركان الإيهان جميعها، والإيهان بالله على الإيهان وأعظم أركان الإيهان بالله على يتضمن أربعة أمور، يتضمن الإيهان بوجوده الله والإيهان بأنه الخالق الرازق المدبر، والإيهان بأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، والإيهان بأن له الأسهاء الحسنى والصفات العلا.

إذًا نؤمن بوجوده جل وعلا ونؤمن بربوبيته وبألوهيته وبأسمائه وصفاته.

والإيهان بوجود الله جل وعلا أمر فطري مغروس ومجبول عليه الإنسان، ولم ينكر وجود الله جل وعلا إلا شذاذ الخلق كفرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى أو الدهريين الذين قالوا {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُمْلِكُنَا إِلاَّ

الدَّهْرُ} [الجاثية: ٢٤].

شذاذ الخلق الذين أنكروا وجود الله وبعض الطوائف كالسمنية مثلا الذين قالوا: نحن لا نؤمن إلا بها تدل عليه الحواس الخمس.

ومن هؤلاء من جاء إلى أبي حنيفة وجاءوا يناقشونه في مسألة وجود الله وقال: دعونا من هذا، ماذا لو أن سفينة في البحر محملة بالبضائع وليس لها قائد يقودها، أتذهب وتلقي ما في ظهرها من هذه البضائع ثم تعود، أتصدقون هذا؟ قالوا: لا، قال: فهذا الكون بأكمله بسماء وأرض وجبال وأشجار وأناس وحيوانات وليل ونهار ألا يدل على وجود الصانع في على وجود الخالق جل وعلا؟ لا شك.

فوجود الله جل وعلا أمر مغروس في الفطر لا ينكره إلا من شذ وفسدت فطرته، قال أهل العلم: الله جل وعلا في القرآن ذكر نوعين من الآيات الدالة على وجوده، أما الأمر الأول فهي الآيات الدالة على العناية بالخلق، كما قال الله جل وعلا: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بنَاء} [البقرة: ٢٢]

وقال: {أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا} [النبأ: ٦].

وقال: {فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِه} [عبس:٢٤]

يتأمل في هذا الطعام ويستدل على وجود الخالق بهذا المخلوق؛ لأن المخلوق ما وجد عبثا أو صدفة، إنها خالق أوجده وأتقنه جل وعلا، وآيات تدل على خلق الله جل

وعلا للمخلوقات، {الله خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيل} [الزمر:٦٢] فدليل الخلق دليل على وجود الخالق ﷺ.

الأعرابي الذي في الصحراء قال: البعرة تدل على البعير، قال والخطوات تدل على المسير، قال: فسهاء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج ألا تدل على الحكيم الخبير؟ فهو في كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

فيا عجبا كيف يُعصى الإله .. وكيف يجحده الجاحدون.

كيف يجحده الجاحد وهو يرى هذه الآيات العظيمة من الآيات النفسية، {وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُون} [الذاريات: ٢١] والآيات الكونية، {سَنْرِيمِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ هَمُ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد} وفي أنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ هَمُ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد} [فصلت: ٥٣].

إذًا مما يدل على وجود الله الآيات النفسية، أنت ترى حسن ما خلق الله جل وعلا عليه، {لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيم} [التين:٤]، خلق له عينين ولسانًا

وشفتين، خلق له يدين، وجعله بديعًا في هذا الصنع، لم يجعل العينين في قدميك، فإن هذا مما يؤثر حياتك، وما جعل يديك في أسفل جسدك، وما جعل رأسك في وسط بطنك، لكن الله جل وعلا خلق الإنسان في أحسن تقويم، في أجمل صورة، فتبارك الله أحسن الخالقين.

أيضًا الحس المشاهد أن العبد يدعو ربه فيستجيب له، هذا من دلائل وجود الله جل وعلا، وكذلك يتفكر الإنسان من الذي خلقه، فإما أنه وجد صدفة كها يقول أهل الإلحاد، وجد صدفة دون خالق، وهذا يمتنع؛ لأن الصدفة لا تكون بهذه الكون البديع، يتعاقب الليل والنهار ويتعاقب الشمس والقمر لا يتصادمان، لا يختلفان، لا يمتزجان، ثم ما جعله الله جل وعلا من السنن الكونية وبديع الخلق وجميل هذه المخلوقات وما هيأه الله جل وعلا من تكون الجنين ثم خروجه من بطن أمه ثم يكبر شيئًا فشيئًا، هذا كله من بديع الخلق، فلا يمكن أن يوجد هذا الكون صدفة كها يقولون، بل هو تقدير من الخالق جل وعلا.

والاحتمال الآخر أن الإنسان يخلق نفسه، وهذا قول إيراده يكفي عن رده، فإنه

قول باطل لا يستقيم، إذ كيف المعدوم يوجد موجودا، أنت كنت معدوما فكيف أوجدت نفسك؟ ثم يلزم من هذا أنك إذا أوجدت نفسك فمن أوجدك، فتقول نفسى، فمن أوجد نفسك؟ فتقول أنا، فمن أوجدك؟ لا شك أن هذا القول باطل.

ثم الآيات الشرعية في قول الله جل وعلا: {الله خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَهُو عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَهُو عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَهُو عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيل} [الزمر: ٦٢] هذا أيضًا من دلائل وجود الله على ثم لا بد أن نعلم أن توحيد الله الربوبية لله جل وعلا وهو القسم الثاني من أنواع توحيد الله جل وعلا هو توحيد الله بأفعاله على بأفعاله، أنه الخالق، أنه الرازق، أنه المدبر، أنه المتصرف في الكون، نوحد الله بأفعاله جل وعلا.

النوع الثاني من أنواع التوحيد: هو توحيد الألوهية توحيد الله جل وعلا بأفعال عباده، في صلاتهم وزكاتهم وحجهم وعمرتهم ونذرهم وذبحهم ورجاءهم واستغاثتهم واستعانتهم وتوكلهم وخشيتهم وخوفهم وخشوعهم، كلها عبادات يتقرب بها العبد إلى ربه جل وعلا، فنوحد الله جل وعلا بأفعالنا.

النوع الثالث: أن نوحد الله عَلَى بأسمائه وصفاته، فنثبت ما أثبته عَلَى لنفسه من الأسماء الحسنى ومن الصفات العلا، وما أثبته له النبي على، وننفي ما نفاه الله عن نفسه

ونفاه عنه رسوله على الله الله الله الله الله الله

يقول قائل: هذه الأنواع التي تذكرون أنها أنواع التوحيد، توحيد الله عَجْكٌ في ربوبيته لأنه الخالق الرازق المدبر للكون.

وتوحيد الله جل وعلا في ألوهيته لأنه المستحق للعبادة.

وتوحيد الله عَجْكَ في أسمائه وصفاته.

ما الدليل عليها؟

نقول الدليل عليها الاستقراء والتتبع لنصوص القرآن، فمن تتبع القرآن من أوله إلى آخره يجد أن الله على وحد نفسه بأمر الخلق والتدبير والتصرف في الكون، وأمر عباده أن يوحدوه بأفعالهم، وأثبت لنفسه الأسهاء الحسنى والصفات، هل نجد شيء آخر؟ لا تجد.

فاستقرأ العلماء نصوص الكتاب والسنة وذكروا هذا الأمر، فهو كاستقراء العرب لأقسام الكلمة، عندما يقول النحاة الكلمة اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، هل يوجد قسم رابع؟ فكروا، ممكن يكون هناك اسم رابع ليس باسم ولا فعل ولا حرف جاء لمعنى ويكون كلام؟ لا يوجد.

فإذًا هل يجوز للإنسان أن يحدث قسم رابعا في أقسام الكلام؟ لا يستقيم، كذلك أنواع التوحيد ثلاثة، الله جل وعلا قال في أول أمر تجده في قراءتك للمصحف في

ترتيب المصحف أول أمر هو قول الله جل وعلا: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ} [البقرة:٢١].

أمر بتوحيد الألوهية لأنه هو الذي خلقكم، اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ، توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وفي آيات كثيرة، وهو الغفور الرحيم، وهو العزيز الحكيم، وهو العلي الكبير، إثبات الأسماء الحسنى والصفات العلا، فإذًا توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، هذه أنواع التوحيد التي دلالتها استقراء نصوص الكتاب والسنة.

ما العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؟

قال أهل العلم: توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، يعني من اعتقد أن الله هو الخالق الرازق يلزمه أن يعبد الله وحده لا شريك له فهذا القول منه متضمن أنه يوحد الله عجل في ربوبيته.

إذًا الأدلة على توحيد الربوبية والألوهية والأسهاء والصفات كثيرة في القرآن، في الربوبية مثلا قول الله جل وعلا: {خَلَقَ السَّهَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا} [لقهان:١٠]، قول الله جل وعلا: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُون} [الطور:٣٥]، ومن السنة قوله على: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء

قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لا يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».

إذًا النفع والضر بيد الله جل وعلا وهو من خصائص ربوبيته على أن كون ينظر في نفسه وينظر في الكون فيستدل على وجود الله الله الكن من الأمر المهم أن كون الإنسان يقول أنا أعتقد أن الله جل وعلا هو الخالق الرازق المدبر للكون هذا لا يكفي في كونه مسلما إذا أنكر توحيد العبادة.

والدليل على ذلك أن كفار قريش الذين أرسل إليهم النبي كل كانوا يصرحون بأن الله هو الخالق، {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّهَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ الله} [لقهان: ٢٥]، {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله فَأَنَّى يُؤْفَكُون} [الزخرف: ٨٧] إذًا هم يعتقدون أن الخالق هو الله، هل هذا الاعتقاد أدخلهم في الإسلام؟

«أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة»، لا بد من الدخول في الدين وتوحيد الله جل وعلا في عبادته هذا الإيهان، فقط الإقرار بهذا التوحيد، والله جل وعلا قال عن المشركين وأثبت لهم هذا الإيهان، أثبت لهم الإيهان بالربوبية فقال: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِالله إلا وَهُم مُّشْرِكُون} [يوسف:١٠٦].

ما معنى هذا الأمر؟ يعني يؤمنون بأنه الخالق ويكفرون بعبادته على قال ابن

عباس عباس الله عبانهم إذا قيل لهم من خلق السهاء، من خلق الأرض، من خلق الجبال؟ قالوا الله وهم مشركون، هكذا يقول ابن عباس، قالوا الله الذي خلق وهم مشركون.

نقف عند هذا إن شاء الله ونكمل في الدرس القادم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## الدرس الرابع:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليها كثيرا.

أما بعد:

توقفنا في الكلام عن أنواع التوحيد الثلاثة وسبق في الدرس الماضي الكلام عن توحيد الربوبية وقلنا أن أنواع التوحيد هذه مأخوذة بأدلة الاستقراء والتتبع، وليس هو شيء جديد، فالربوبية هو إثبات أفعال الله جل وعلا، والألوهية هو توحيد الله جل وعلا بأفعال عباده، والأسهاء والصفات هو إثبات ما أثبته الله جل وعلا لنفسه من الأسهاء الحسنى والصفات العلا، وكذلك ما أثبته له رسوله هي ذلك.

ثم توحيد الله على بالعبادة هو إفراده العبادات، بأن يعلم العبد العلم اليقين الجازم أن الله على هو المعبود وحده اله و أن صفات الألوهية وخصائص الألوهية غير موجودة في أحد من الخلق، فليس هناك من الخلق من يستحق أن يتقرب إليه بشيء من العبادات، كل عبادة تصرف لله على وحده لا شريك له، الله جل وعلا أمر بهذا، قال: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ} [البقرة: ٢١].

فكون الله عَلَق هو الخالق إذًا هو المستحق للعبادة، وقال جل وعلا: {وَمَا خَلَقْتُ

الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونَ [الذاريات:٥٦]، إذًا الغاية العظمى من الخلق هو عبادة الله جل وعلا، إلاَّ لِيَعْبُدُون، اللام هنا لام التعليل، خلقهم الله جل وعلا لعبادته سبحانه.

وبين الله جل وعلا المقصود من بعثة الرسل هو تحقيق هذا التوحيد، {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ الله وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ} [النحل:٣٦]، بل أنزل الله عَلَى مُلَ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ الله وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ} [النحل:٣٦]، بل أنزل الله عَلَى هذه الكتب جميعها لتحقيق العبادة لله عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَقُون} بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَقُون} [النحل:٢].

كذلك أمر النبي الله بتحقيق هذا التوحيد لله الله على العِبَادِ على العِبَادِ الله على العِبَادِ أَنْ الله عَلَى العِبَادِ عَلَى الله إِذَا فَعَلُوا ذَلِك؟ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَالله عَلَى الله إِذَا فَعَلُوا ذَلِك؟ قال الله ورسوله أعلم، قال: أَنْ لاَ يُعَدِّبَهُمْ إِن لم يشركوا به فهم من أهل توحيده.

وحينها أرسل النبي على معاذا إلى أهل اليمن قال: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَن يوحدوا الله» وفي رواية: إلى أن يعبدوا الله، وفي رواية: إلى أن يعبدوا الله، وفي رواية: إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وجاء من حديث جابر عند مسلم: «مَنْ لَقِيَ الله لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّة».

الأمر الثاني: الواقع المشاهد من صرف العبادة لغير الله، من الناس من يذبح للجن، أو من يدعو الجن أو من يدعو الميتين، فيأتي إلى قبر فلان يا فلان أغثني، اشفي مريضي، فك كربتي، هل هذا التوحيد؟ هل من يقوم بهذا الفعل يعبد الله على وحده؟ حقق العبادة لله وحده أم أشرك مع الله؟ أشرك مع الله، دعا غيره، استغاث بغيره الله. فإذًا توحيد الألوهية هو أساس دعوة الرسل، {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ عَبُدُواْ الله وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ} [النحل:٣٦]، {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ عَبْدُواْ الله وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُونَ} [الأنبياء:٢٥].

ودلت النصوص في كتاب الله على أن هذا النوع من التوحيد هو مفتاح دعوة الرسل؛ لأنه كما سبق معنا أن توحيد الله على في الخلق والرزق والتدبير لم ينكره إلا شذاذ الخلق، لكن هذا الباب هو الذي أنكره كفار قريش لما أرسل إليهم النبي على كان أحدهم يعبد صنما، ربما يشتري تمرا ويصنع منه هذا المعبود الذي يتعبد له ثم إذا جاع

أكله، وربها اشتراه من أخشاب ويتعبد له، كانوا يعبدون ما يقارب ثلاثهائة وستون صنها، وكل قبيلة لها صنم تتوجه له.

إذًا النبي على جاء بعقيدة التوحيد، أليس كذلك؟ إفراد الله جل وعلا بالعبادة، فكانت الخصومة بين الرسل والأنبياء وبين أقوامهم أصالة في هذا الباب، نعم كان هناك دعوة لبعض الأقوام في ترك المنكرات الأخلاقية أو فيها يتعلق بالبيع والشراء وما يحصل من غش في الميزان ونحو ذلك، لكن كان أصل الخلاف بين الرسل وبين أقوامهم عدم قبولهم لتوحيد العبادة لله جل وعلا.

قال الله جل وعلا عن قوم نوح: {وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهِتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُواعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿ وَقَدْ أَضَلُوا كَثِيرًا وَلاَ تَزِدِ الظَّالِينَ إِلاَّ ضَلاَلاً} شُواعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿ وَقَدْ أَضَلُوا كَثِيرًا وَلاَ تَزِدِ الظَّالِينَ إِلاَّ ضَلاَلاً} [نوح:٢٣-٢٤]، قال عن قوم هود: {قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهِتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِين} [الأحقاف:٢٢].

قال عن قوم صالح: {قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكِّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيب} [هود: ٦٢]، والله جل وعلا قال في حال كفار قريش: {وَإِذَا رَأُوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ الله رَسُولاً \* في حال كفار قريش: {وَإِذَا رَأُوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ الله رَسُولاً \* إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِمِينَا لَوْلاً أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً} [الفرقان: ٤١-٤١].

هذا النزاع، هذا الخلاف، ولذلك كما سبق معنا النبي على قال لهم: قولوا لا إله إلا الله كلمة أحاج لكم بها عند الله، لا إله إلا الله ما معناها؟ لا معبود بحق إلا الله، إذًا هي تحقيق العبودية لله جل وعلا، فهم أبوا هذا الأمر وهم يعتقدون ويقولون بأن الله هو الخالق وهو الرازق، ولكنهم لا يعتقدون أنه المستحق للعبادة وحده، {أَجَعَلَ اللهَ فَهُ إِلَا لَهُ عُجَاب} [ص:٥].

إذًا هنا عندنا نقطة مهمة جدا: إذا كان الأنبياء والرسل أول ما بدأوا في أمر تصحيح العقائد للناس فإن أول ما ينبغي على الدعاة إلى الله جل وعلا أن يصححوا عقائد الناس وأن يوجهوا الناس إلى ربهم جل وعلا مع العناية بالبعد عن الفواحش وسيء الأخلاق ونحو ذلك، لكن أول الأمر ما تصلح به عقيدتهم وما يستقيم به دينهم.

فدعوة الرسل ككل في دعوتهم إلى توحيد الألوهية يتجلى في أمور؟

أما الأمر الأول: فإن الرسل جميعا اتفقوا على ذلك، جميع الرسل متفقين على توحيد العبادة لله جل وعلا.

والأمر الثاني: أن الرسل لم يذكروا مسألة توحيد الله على سبيل الإلزام لأقوامهم.

الأمر الثالث: أن الأنبياء والرسل حينها لم يستجب لهم أقوامهم في هذا الأمر

اعتزلوهم كما قال الله عَجْكَ في قصة إبراهيم ذاكرا قول إبراهيم قال: {وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ الله وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بدُعَاء رَبِّي شَقِيًّا} [مريم: ٤٨].

وكذلك قبل أن يعتزلوهم نهوهم عن هذا الأمر، كما تقدم معنا في قصة صالح ونوح وهود عليهم الصلاة والسلام، إذًا هذه هي دعوة الرسل، هو الأمر بتوحيد الله جل وعلا، كل عبادة، ما هي العبادة؟ اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

كل ما يحبه الله جل وعلا فالتقرب إليه به عبادة، الله يحب المتوكلين التوكل عبادة، يرضى أن يذبح الناس له هذه عبادة، ولذلك قال النبي على: «مَن ذَبَحَ لغيرِ الله فقدْ أشرك»، فإذًا كل عبادة سواء كانت بدنية أو كانت مالية أو كانت قلبية أو كانت مركبة من البدن والمال أو كانت لسانية كالاستغفار والمتكبير والتحميد، كل هذه عبادات، لا يجوز للإنسان أن يصرف شيئًا من هذه العبادات لغير الله جل وعلا.

وفي العبادة التي يتقرّب العبد بها إلى ربه جل وعلا لها ثلاثة أركان، كل عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه لها ثلاثة أركان:

- كَمَالَ الحِبِ لللهِ جل وعلا، قال الله ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لله }

[البقرة:١٦٥]

- وكمال الرجاء، أن يتقرب العبد إلى ربه بكمال حبه لله جل وعلا ولتحقيق رجائه بما عند الله الله
  - ولخوفه من عذاب الله.

إذًا المحبة والرجاء والخوف، والإنسان في سيره إلى الله على لا بد أن يصطحب معه دائم الخوف والرجاء، فلا يميل به الخوف فيقنط من رحمة الله، ولا يميل به الرجاء فيترك العمل، وهو في ذلك طبيب نفسه، النفس أحيانا تحتاج إلى شيء من التخويف، إذا صار عندها تكاسل وصار عندها تهاون والاتكال على رحمة الله جل وعلا، وكذلك إذا صار عند النفس الخوف الذي يؤدي بها إلى القنوط من رحمة الله احتاجت إلى شيء من الرجاء، والإنسان في الدنيا يسير بهاذين الجناحين، فهو كالطائر الذي لا يستطيع أن يطير بجناح واحد، لا بد أن يطير بالجناحين.

وهذه العبادة لا تقبل إلا بشرطين، كل عبادة لا تقبل إلا بشرطين،

- الإخلاص لله جل وعلا
  - والمتابعة للنبي ﷺ

في كل العبادات؛ في المحبة والخوف والرجاء والرغبة والرهبة والخشوع والإنابة وغير ذلك من أنواع العبادات لله جل وعلا.

ما الذي ينقض هذا التوحيد؟

الشرك، {إِنَّ الله لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ} [النساء: ٤٨] والله جل وعلا حذر من الشرك في آيات كثيرة، قال الله جل وعلا: {إِنَّ الله لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ} وقال الله جل وعلا: {إِنَّ الله لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ} وقال الله جل وعلا: {إِنَّ الله رُكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٍ} [لقهان: ١٣]، وقال جل وعلا: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَعَلا: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٍ} [لقهان: ١٣]، وقال جل وعلا: {إِنَّ الله مَن يُشْرِكُ بِالله فَقَدْ حَرَّمَ الله عَلَيهِ الجُنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّالُ وَمَا لِلظَّالِينَ مِنْ أَنصَارٍ} [المائدة: ٢٧].

### فها هو الشرك؟

هو تسوية غير الله بالله فيها هو من خصائصه، يشرك إذا اعتقد أن غير الله يخلق أو يدبر الكون كها يقول بعض الناس أن هناك أبدال أو أقطاب يتحكمون في الكون، ينزلون الغيث ويتحكمون في الجنة وفي النار وفي الأرزاق.

أو الشرك في توحيده، يدعون غير الله ويذبحون لغير الله ويستغيثون بغير الله. أو الشرك في أسمائه وصفاته، التعطيل.

الله جل وعلا أثبت لنفسه الأسماء والصفات وهم يعطلون هذه الأسماء والصفات، كما تقول الجهمية، لا يثبتون لله الأسماء ولا يثبتون لله الصفات، لا سميع ولا يسمع ولا بصير ولا يبصر ولا قدير ولا يقدر، الله على أثبت لنفسه هذه الأسماء

وهذه الصفات، كيف لي الحق في أنفي عن الله ما أثبته لنفسه؟ لا يجوز، فالله جل وعلا حذر من الشرك، ومن الشرك ما يكون شركا أكبر وهذا مخرج من الملة، وصاحبه مخلد في النار، ومنه ما يكون شركا أصغر وهو ما كان ذريعة إلى الشرك الأكبر أو سببا إلى الشرك الأكبر كيسير الرياء، كما قال النبي على: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر».

إذًا كلمة الشرك الأصغريا أخوة ليست من عندنا، هذه من الحديث، النبي السياه شركا أصغر، فدل على أن الشرك الأصغريقابله شرك أكبر، فقال النبي كما في مسند أحمد بسند صحيح: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغريا رسول الله؟ قال: الرياء» الرياء ما هو؟ أن الإنسان يظهر العبادة لغيره، يطلب ممدحة الناس.

قال: يقول الله جل وعلا: إذا جاز الناس بأعمالهم وهذا تكملة الحديث: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟ ومن ذلك أيضًا قول لولا الله وفلان، الصواب أن تقول لولا الله وحده، الله جل وعلا قال: {فَلاَ تَجْعَلُواْ لله أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُون} [البقرة: ٢٢].

انظروا هذه الآية وتأملوها، {فَلاَ تَجْعَلُواْ لله أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُون} ماذا قال ابن عباس ترجمان القرآن؟ قال: الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صافة

سوداء في ظلمة الليل، شرك خفي، قال: وهو أن تقول، ضرب لنا أمثلة ابن عباس عباس عباس قال: وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلانة وحياتي، هذا حلف بغير الله، النبي على قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك» شركا أصغر، شرك الألفاظ.

قال أيضًا ابن عباس: وتقول لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، يعني لولا أن هذه الكلبة رفعت صوتها عندما رأت اللصوص وإلا كان اللصوص أخذوا أموالنا، إذًا ما الصواب. الصواب أن نقول: لولا أن الله جل وعلا هيأ هذا السبب، أو نقول لولا أن الله على حفظنا بحفظه، ورعانا برعايته.

وقال أيضًا من الأمثلة: ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، يعني البط رأى شخص غريب رفعت أصواتها، وقال أيضًا عليه وقول الرجل لأصحابه ما شاء الله وشئت، وفي ذلك جاء في الحديث عن النبي عليه قال: «قل ما شاء الله وحده».

يقول ابن عباس أيضًا: وقول الرجل لولا الله وفلان، قال لا تجعل فيها فلانا، هذا كله به شرك، الآن الناس يقولون لولا حنكة هذا السائق لمتنا، لولا حسن كذا، نقول لولا الله جل وعلا، فالعناية، وهذا من الأدب مع الله جل وعلا، من الأدب مع الله أن تحيل الأمر إليه، فلو لم يهيئ الله جل وعلا هذه الأسباب في حفظك لهلكت.

فالإنسان يجتنب الوقوع في هذه الأنواع من شرك الألفاظ، لولا فلان، ما شاء الله وشئت، توكلت على الله وعليك، وما الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر؟

الشرك الأكبر مخرج من الدين، صاحبه مخلد في النار، وهو محبط لجميع الأعمال، وهذا خلاف الشرك الأصغر، فإنه غير محبط للأعمال وصاحبه ما زال من أهل الإيمان، لا يحكم بكفره، وكذلك هو غير خالد في النار.

هذا مختصر فيها يتعلق بتوحيد الله جل وعلا بعبادته.

أما ما يتعلق بتوحيده على بالأسهاء والصفات فالله جل وعلا له الأسهاء الحسنى والصفات العلا، فالله على قال: {وَلله الأَسْهَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} [الأعراف:١٨٠] فنثبت لله جل وعلا ما أثبته لنفسه على من غير تحريف ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير} [الشورى:١١].

الله جل وعلا يعلم بها يستحق أم نحن الذين نعلم بها يستحق سبحانه؟
الله جل وعلا، قال الله على: قل أأنتم أعلم أم الله، وقال على: {فَلاَ تَضْرِبُواْ لله الأَمْثَالَ إِنَّ الله يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُون} [النحل: ٤٧]، فإذًا الواجب على الإنسان أن يثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله هي، ليس لك أن تثبت لله اسها ليس من أسهائه ولا أن تثبت لله صفة ليست من صفاته؛ لأن إثباتك لاسم أو لصفة لم يثبتها الله على لنفسه ولم يثبتها له رسوله على عندك ليس عليه دليل، وهذا أمر غيبي.

ولذلك نثبت لله أنه الرحمن، الرحيم، الغفور، الجبار العزيز الحكيم العليم، هذه الأسماء جاءت في القرآن وجاءت أيضًا أسماء في السنة، المحسن، السلام، المهيمن،

العلي الكبير، الستير، لكن نثبت لله على السم لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة؟ هذا لا يجوز، فإذًا نثبت ما أثبته الله على لنفسه من غير تحريف لهذا الاسم سواء لمعناها أو للفظه ولا تكييف، ما معنى تكييف؟ لا نجعل لله جل وعلا أو لصفات الله كيفية معينة، نفوض الكيفية.

جاء رجل إلى الإمام مالك فسأله الرحمن على العرش استوى، كيف استوى؟ هو سأل هنا عن الكيف، الإمام مالك من هول هذا السؤال العظيم طأطأ رأسه ثم رفع رأسه وقد علته الرحضاء، العرق الشديد، قال له: "الاستواء معلوم معنى الاستواء في اللغة –والكيف مجهول"، ما نعرف كيف استوى، كيف ينزل، كيف يأتي، هذا لأن إثبات الكيفية تمثيل وتشبيه لله جل وعلا، فلا يجوز أن تقول كيفية صفات الله كذا.

وإذا كنت لا تعرف كيفية ذات الله جل وعلا فإنك لا تعرف كيفية صفاته؛ لأن القاعدة عند أهل العلم: الكلام عن الصفات فرع عن الكلام في الذات، فقال له الإمام مالك: "الاستواء معلوم والكيف مجهول، الإيهان به واجب والسؤال عنه بدعة".

لا يجوز لك أن تسأل عن كيفية صفات الله، تفوض الكيفية، فنثبت ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات ونفوض هذه الكيفية لله جل وعلا.

وهذه القاعدة التي ذكرها الإمام مالك رحمه الله في جميع الصفات، ينزل ربنا جل وعلا كما جاء في حديث أبي هريرة في الصحيح في ثلث الليل الآخر، فلا تأتي وتقول كيف ينزل، ما نعلم كيف، لا يجوز هذا السؤال، نثبت النزول له على ظاهر النص الشرعى.

وهل نقول تنزل ملائكة الله؟

يا أخي النبي على يقول: ينزل ربنا، إذا كانت تنزل الملائكة يقول النبي على تنزل ملائكة ربنا، أليس كذلك؟ إذًا هذا النزول يليق بالله جل وعلا الذي ينفي عن الله النزول وقع في ذهنه التشبيه فلجأ إلى تعطيل هذه الصفة، لكن إذا قلت الله جل وعلا أخبر عن نفسه في القرآن والنبي على أخبر عن ربه في السنة بصفات، والله جل وعلا أعلم بنفسه والنبي على أعلم الخلق بربه.

فإذا أثبت النبي على صفة لله فنحن نقول ما قاله الرسول، أنا إذا قلت ينزل ربنا، أنا وافقت قول الرسول؟ وافقت قول الرسول؟ أضفت من عندي، إذًا الأصل أن نخبر عن الله بها أخبر به عن نفسه وبها أخبر به عنه رسوله على، لا نتجاوز القرآن والحديث، لا نتعداهما، هذا التعدي للقرآن والحديث هذا تحكم لا دليل عليه.

إذا أنت تقول أنا أنزّه الله جل وعلا، هل الله لم ينزه نفسه؟ وهل النبي على لم ينزه

ربه؟ فأنت تنزه الله أفضل من نبيه الله على الله جل قال وأثبت لنفسه {وَلله الأَسْمَاء الْخُسْنَى} البالغة في الحسن غايته، وهذه الأسهاء حسنى لأنها دالة على صفات الكهال، ولأنها كذلك دالة على الملح لله جل وعلا، ولأن غير هذه الأسهاء لا يقوم مقامها ولا يدل على معناها.

أعطيكم مثال: الله على سمى نفسه بالعظيم، أليس كذلك؟ وهو العلي العظيم، يقول قائل: أنا سأسمي الله باسم مثل العظيم، العظيم الكبير مثلا أقول الضخم، هل يجوز له هذا؟ ما جاء في القرآن والسنة هذا، نقول لا يجوز لك، المسألة ليست استحسان، وإنها وقوف على نصوص الكتاب والسنة.

ولذلك قال أهل العلم: قاعدة: أسهاء الله كلها حسنى وأسهاء الله وصفاته توقيفية، ما معنى توقيفية؟ يعني لا يجوز لك أن تثبت لله اسم ولا يجوز لك أن تثبت له صفة ما أثبتها الله جل وعلا لنفسه، ولا أثبتها له نبيه هم من مسائل الأسهاء والصفات أن كل اسم يدل على صفة ولا عكس، فالسميع يدل على صفة السمع والبصير يدل على صفة البصر والقدير يدل على صفة القدرة، والرحيم والرحمن يدلان على صفة الرحمة.

كل اسم أثبته الله جل وعلا لنفسه فهو يدل على صفة، إذًا تشتق الصفات من الأسماء ولا تشتق الأسماء من الصفات، إذًا ما الأوسع باب الأسماء أم باب الصفات؟

باب الصفات، لأن كل اسم يدل على صفة، وهناك صفات غير ما اشتقت من الأسهاء، فنقول باب الصفات أوسع من باب الأسهاء.

مثلا: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ} [الفجر:٢٢] ، لا يقول قائل جاءت ملائكة ربك، لأن الله عَجْكَ ذكر أنه جاء وجاء الملك، جاء ربك والملك، إثبات صفة الكيف يجوز؟ لا يجوز، الكيفية نفوضها لله جل وعلا، لا يجوز أن تتكلم في كيفية صفات الله.

فإذًا هل نقول جاء ربك إذًا نسميه الجائي؟

لا، تشتق الصفات من الأسهاء وليس الأسهاء من الصفات.

ثم لا بد أن نعلم أن أسماء الله جل وعلا غير محصورة بعدد معين، وأن قول النبي « إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة » المراد بأن من أحصى تسعة وتسعين اسم ويوجد غيرها، لكن من أحصى تسعة وتسعين اسم كان هذا الإحصاء بلفظها، يعني بحفظها ومعرفة معناها والعمل بمقتضاها، ثلاثة أنواع للإحصاء:

- أن تحفظ الأسماء.
- أن تعمل بمقتضاها، ما تدل عليه الأسهاء.
  - وأن تعرف هذه المعاني.

فكان مستحق من فعل هذا أن يدخل الجنة، ما الدليل على أنه لله جل وعلا أكثر من تسعة وتسعين اسم؟ قول النبي على في دعائه: «اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك

سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحد من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك» في علم الغيب أسهاء لله نحن لا نعلمها.

وكذلك قول النبي على الله جل وعلا؟ بأسمائه وصفاته، وكذلك استدل العلماء بحديث الشفاعة، يثنى على الله جل وعلا؟ بأسمائه وصفاته، وكذلك استدل العلماء بحديث الشفاعة، قال: فأسجد عند العرش، قال: فيفتح الله على من المحامد ما لا أحسنه الآن، وهذه المحامد هي بأسمائه وصفاته جل وعلا، فيقول الله على: يا محمد ارفع رأسك وسل تعطى واشفع تشفع.

إذًا هذه المسائل لا بد أن تُضبط، فنثبت ما أثبته الله على لنفسه، أو أثبته له رسوله على وننفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله على المنتجاوز القرآن ولا السنة، الله على طائفتين في كتابه:

الطائفة الأولى التي قالت ننزه الله جل وعلا عن هذه الأسماء والصفات فننفيها عن الله.

والطائفة الثانية التي قالت: لا نفهم من هذه الأسهاء والصفات إلا ما نفهمه من جوارحنا ومن أنفسنا، فقالوا يد الله كيدي وسمع الله كسمعي، هذا ضلال وانحراف. قال الله جل وعلا: {ليسَ كَمِثْلهِ شيءٌ}، نفى التشبيه والتمثيل، وهو السميع البصير، وأثبت لنفسه الأسهاء والصفات، وقال الله جل وعلا: {وَلله المُثُلُ الأَعْلَى وَهُوَ

الْعَزِيزُ الْحُكِيم} [النحل: ٦٠] يعني الوصف الأعلى، وقال جل وعلا: {قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَعْلَمُ أَعْلَمُ أَعْلَمُ أَعْلَمُ الله على الله على وقال جل وعلا: ﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ الله } [البقرة: ١٤٠] نحن لا نعلم، الله جل وعلا أعلم منا، ولذلك نثبت ما أثبته لنفسه جل وعلا من الأسماء والصفات، سواء في كتابه أو في سنة نبيه على الأسماء والصفات، سواء في كتابه أو في سنة نبيه على المناسماء والصفات، سواء في كتابه أو في سنة نبيه الله الله المناسماء والصفات، سواء في كتابه أو في سنة نبيه الله المناسماء والصفات، سواء في كتابه أو في سنة نبيه الله الله المناسماء والصفات، سواء في كتابه أو في سنة نبيه الله المناسماء والصفات، سواء في كتابه أو في سنة نبيه الله الله المناسماء والصفات، سواء في كتابه أو في سنة نبيه الله الله الله المناسماء والصفات، سواء في كتابه أو في سنة نبيه الله المناسماء والصفات، سواء في كتابه أو في سنة نبيه الله المناسماء والمناسماء وال

ولا يجوز لنا أن نؤول شيء من الصفات بغير ظاهرها، آيات وأحاديث الصفات تؤخذ على ظاهرها، أثبت الله جل وعلا لنفسه النزول نثبت النزول لله جل وعلا دون تأويل، أثبت لنفسه الاستواء نثبت الاستواء دون تأويل، كيف؟ هذا الذي لا يجوز، نفوض الكيفية لله على فهو أعلم بنفسه على.

ما فائدة أن الإنسان يعتني بمعرفة أسهاء الله جل وعلا وبمعرفة صفاته؟ هناك منافع كثيرة، من ذلك أن سعادة الإنسان متوقفة على معرفة الإيهان بالله، ومن الإيهان بالله أن تعرف أسهاءه وصفاته جل وعلا، ثم كذلك معرفة الأسهاء والصفات من أعظم الأسباب لتحقيق الخوف من الله على ومن خشيته، إذا علم الإنسان أن الله جل وعلا هو الجبار وهو الرقيب، وعلم أن الله جل وعلا هو السميع البصير فإنه لا شك يراقب الله على يقول ويعمل.

الله جل وعلا قال: {مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد} [ق:١٨]، فيراقب الله عَلَى عَلَى ما يقول وفي كل ما يفعل، كذلك يجد الإنسان في نفسه طمأنينة إذا علم أن الله عَلَى هو الرحمن الرحيم الكريم الوهاب الغفور الودود، وهذه تعطيه من

الطمأنينة والرجاء برحمة الله على عباده.

ثم كذلك أن الإنسان في إيهانه بهذه الأسهاء والصفات يلجأ إلى الله جل وعلا، هو الذي يرحم العباد، وهو الذي يستجيب دعاءهم وهو الذي يكشف الضرعنهم، {أَمَّن يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلْكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أَإِلَهُ مَّعَ الله قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُون} [النمل: ٦٢].

إذا ألمت بك ملمة التجأت إلى الله، لا تلتجئ إلى غيره؛ لأنك تعلم أنه السميع لدعائك البصير بحالك، الذي يراك ويعلم حالك، ويسمع دعاءك، فإذًا تتقرب إلى الله، تطلب الرحمة من الله لأنه الرحيم، وتطلب المغفرة من الله لأنه الغفور، وتطلب إجابة الدعاء لأنه المجيب، الله الله المنه المجيب،

ثم كذلك ما في معرفة هذه الأسهاء والصفات من النفع للعبد في دخول الجنة لقوله على: «إن لله تسعة وتسعين اسها من أحصاها دخل الجنة» فلا شك أن هذه منافع

كثيرة لمعرفة هذا الأمر.

إذًا توحيد الله جل وعلا سواء بالخلق والتدبير والتصرف في الكون أو توحيده بالعبادة أو توحيده في أسمائه وصفاته هذا كثير في القرآن، القرآن إذا جئنا نقسم مواضيع القرآن فهي ثلاثة، إما توحيد الله جل وعلا وإما باب الشرائع والأحكام، والثالث: قصص الأنبياء مع أقوامهم، هذا في الجملة، في جملة التقسيم.

ولذلك قال أهل العلم: سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، ما هو الثلث هذا؟ التوحيد، {قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ \* الله الصَّمَدُ \* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ \* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوا أَحَدٌ } التوحيد، {قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ \* الله الصَّمَدُ \* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ \* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوا أَحَدٌ } [الإخلاص: ١-٤]، هل ذكر شيء من الأحكام الشرعية الفقهية؟ كلها في التوحيد، فلذلك هي تعدل ثلث القرآن؛ لأن ثلث القرآن توحيد.

الفاتحة القرآن كله، لماذا؟

لأنها متضمنة للأنواع الثلاثة، فهي متضمنة للتوحيد ومتضمنة للأحكام والتقرب لله جل وعلا ومتضمنة لحال الرسل مع المخالفين، في قول الله جل وعلا: الحمد لله رب العالمين: توحيد الربوبية، الرحمن الرحيم: الأسهاء والصفات، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، ألوهية، اهدنا الصراط المستقيم: هذا فيه الانقياد لأمر الله جل وعلا، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين: هذا ذكر للمخالفين للرسل، ولذلك الفاتحة هي أم القرآن.

جاء في الحديث هي القرآن العظيم، لأنها تضمنت معاني القرآن في هذه السورة، فهذه الأنواع من التوحيد ما من آية في القرآن إلا وهي تدل على توحيد الله جل وعلا؛ لأن القرآن أمر بالتوحيد أو بيان لجزاء أهل التوحيد أو بيان لحال الموحدين من الأنبياء وأتباعهم، أو نهي عن نقيض التوحيد وهو الشرك، أو جزاء المشركين، أو ذكر أقوال المخالفين للرسل ممن لم يقوموا بالتوحيد، أو بيان مكملات التوحيد من الأحكام الشرعية والحدود وغير ذلك. إذًا هذا الباب عظيم والعناية به أمر لازم لا شك فيه. نتوقف هنا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## الدرس الخامس:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليها كثيرا.

أما بعد ...

فهذا هو المجلس الخامس من مجالس شرح حديث جبريل الطّيكا، ووقفنا عند ذكر أركان الإيهان فقال جبريل الطّيكان: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيهَانِ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وسبق معنا الكلام عن هذا الركن وأنه هو أصل الأركان جميعها.

قال: "وَمَلَائِكَتِهِ"، وهو الركن الثاني من أركان الإيهان، الإيهان بالملائكة، الإيهان بالملائكة، الإيهان بالملائكة، هذه المخلوقات التي خلقها الله جل وعلا وجعل لها وظائف وجعل لها خصائص تتميز بهذه الخصائص عن غيرها، والملائكة مأخوذة من الألوكة، والألوكة هي الرسالة، وسميت الرسالة بالألوكة لأنها تؤلك في الفم، فتنطق بالفم، تذكر بالفم، وأما الملائكة فهم خلق من خلق الله وهم أجسام نورانية أعطيت قدرة على التشكل والظهور بأشكال مختلفة بإذن الله تعالى.

ومعنى أن نؤمن بالملائكة أن نؤمن بوجودهم إيهانا جازما واعتقادًا صحيحًا لا يتطرق إليه شك، ونؤمن بهم إجمالاً وتفصيلاً كها سيأتي معنا. ونؤمن بأن الله جل وعلا خلقهم من النور، تقول عائشة: قال رسول الله ﷺ: «خُلقت الملائكة من نور وخُلِق الجان من مارجٍ من نار وخلق آدم مما وصف لكم» من طين.

فالملائكة مخلوقات من خلق الله الله ومن الأمور المهمة أن النبي الخير النبي الملائكة خلقت من نور لم يبين لنا ما هو هذا النور الذي خلقوا منه، وإنها أخبر النبي المهمة أنهم خلقوا من نور، ثم أيضًا لم يبين لنا الله الحلق في كتابه ولا النبي اله في سنته متى خلقت الملائكة، فهذا أمر غيبي، لكن المعلوم أنهم خلقوا قبل آدم الها، لقوله جل وعلا: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } [البقرة: ٣٠].

ثم من الأمور المتعلقة بالملائكة أن الله و جل الله المنظلة جعل لهم الصفات الكثيرة، من ذلك أن الملائكة موصوفون بالقوة كما قال الله جل وعلا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ الله مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون} [التحريم: ٦]، إذًا من صفاتهم أنهم من الملائكة من خلقه أنه شديد وقوي، وكذلك أنهم موصوفون بعظم الأجسام، لما وصف النبي على جبريل قال: إنها هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين قال

رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء والأرض.

وجاء في الرواية الأخرى قول ابن مسعود في الإخبار عنه على قال: رأى رسول الله عبريل في صورته وله ستائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق، هذا خلق عظيم. ومما يدل على أن خلق الملائكة خلق عظيم ما جاء في سنن أبي داود أن النبي على قال: «أُذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه وعاتقه مسيرة سبعائة عام»، خلق عظيم، هذا أحد حملة العرش.

ثم أيضًا من صفاتهم أنهم يتفاوتون في الخلق، منهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة ومنهم من له أربعة، وجبريل كما جاء في الوصف له ستمائة جناح، الله جل وعلا يقول: {الْحَمْدُ لله فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ اللَّائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّشْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخُلْقِ مَا يَشَاء إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير} [فاطر: ١].

ومما ذكر في وصفهم أيضًا أنهم أن أشكالهم حسنة كما قال الله عَلَى: {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى \* ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى} [النجم:٥-٦]، ذو مرة يعني منظر حسن كما جاء عن ابن عباس في وصف جبريل، لأن الآية في سياق ذكر جبريل التَّكِيُّلِا.

ولذلك لما النساء في قصة يوسف أردن أن يبين جمال يوسف قالوا: {وَقُلْنَ حَاشَ لِللهِ مَا هَذَا بِشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكُ كَرِيم} [يوسف:٣١]، فمتقرر أن الملائكة على الصفات الجميلة، ووصفهم الله جل وعلا بأنهم كرام بررة، كما قال ربنا ربنا المُحلِيّة على الصفات الجميلة، ووصفهم الله جل وعلا بأنهم كرام بررة، كما قال ربنا المحلِيّة الله على الله ع

سَفَرَةٍ \* كِرَامِ بَرَرَةٍ } [عبس:١٥ - ١٦].

ومن أوصافهم التي جاءت أنهم يستحيون، قال نبينا في في حق عثمان في: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»، هذا يجرنا إلى مسألة أن الملائكة أيضًا يعقلون الخطاب، فالقول بأن الملائكة لا عقول لهم قول خطأ، ما الدليل أنهم يعقلون؟ أن الله جل وعلا سألهم، ولو كانوا لا يعقلون الخطاب لكان في هذا السؤال مشقة عليهم، أليس كذلك؟ والله على قال: {فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْهَاء هَوُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِين} [البقرة: ٣١].

ومن الأدلة أن الملائكة يعقلون أن بعضهم يخاطب بعضا، {قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحُقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِير} [سبأ: ٢٣]، والدليل أنهم يعقلون أيضًا هم الذين يبلغون الرسل عن الله عَلَى الشرائع، لو قلنا أنهم لا عقول لهم كان الذين يؤدون الشرائع لا عقول لهم فهذا نقص، ليس مدح.

ثم أيضًا من صفاتهم العلم، فالله جل وعلا أثبت لهم أنهم عندهم شيء من العلم، {قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُون} [البقرة: ٣٠]، إذًا قد يدركون ويعلمون بعض الأمور وتخفى عنهم بعض، والله جل وعلا قال: {عَلَمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى} في حق جبريل، الله جل وعلا علمه، فيوصفون بالعلم.

وجعل الله جل وعلا للملائكة خصائص اختصوا بها عن غيرهم من المخلوقات،

من ذلك أن الملائكة أصل مساكنهم في السماء، كما قال الله عَلَى { يُنَزِّلُ المُلاَئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ عَبَادِهِ } [النحل: ٢] والنزول يكون من أعلى إلى أسفل، وقال الله عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ } [النحل: ٢] والنزول يكون من أعلى إلى أسفل، وقال الله جل وعلا: {وَتَرَى المُلاَئِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ } النومر: ٧٥].

وجاء في الصحيح قوله على: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» يذهبون ويأتون، قال: ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم يصعدون فيسألهم الله وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ يقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون.

ثم أيضًا من خصائصهم عدم وصفهم بالأنوثة، استنكر الله جل وعلا وأنكر هذا القول، قال الله جل وعلا: {وَجَعَلُوا الْمُلاَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ} [الزخرف:١٩]، وقول الله جل وعلا: {إِنَّ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ} [الزخرف:١٩]، وقول الله جل وعلا: {إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ المُلاَئِكَةَ تَسْمِيَةَ الأَنْثَى} [النجم:٢٧] لم يصفهم الله جل وعلا بهذا الوصف. وأمرهم إلى ربهم جل وعلا.

من خصائصهم أيضًا أنهم لا يعصون الله جل وعلا، هم مجبولون مجبورون على طاعته، كما قال الله جل وعلا: {لاَ يَعْصُونَ الله مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون} الله على الله جل وعلا: {لاَ يَعْصُونَ الله مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون} [التحريم: ٦]، كما قال الله جل وعلا: {لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُون}

[الأنبياء:٢٧].

كذلك لا يفترون عن العبادة، هذا من خصائصهم، يقول ربنا جل وعلا: {وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُون \* مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُون \* يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُون } [الأنبياء:١٩١-٢٠].

ما حكم إنكار الملائكة؟ الإيهان بالملائكة ركن من أركان الإيهان، إنكار هذا الركن لا شك أنه كفر، يقول ربنا جل وعلا: {وَمَن يَكْفُرْ بِالله وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْم الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا} [النساء:١٣٦].

قال أهل التفسير: الإيهان بالملائكة أحد أصول الإيهان، ولا يتم الإيهان بالله وكتبه ورسله إلا بالإيهان بالملائكة، فلو أن قائلا قال أنا أؤمن بوجود الله وبتوحيده وأؤمن بكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقضاء والقدر خيره وشره لكني لا أؤمن بوجود الملائكة، هذه ليست مخلوقات، نقول لا يتم لك إيهان حتى تؤمن بالملائكة، بل لو أنكر أحد الملائكة كجبريل أو ميكائيل أو إسرافيل فإن هذا تكذيب للقرآن وتكذيب للسنة.

{مَن كَانَ عَدُوًّا لله وَمَلاَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ الله عَدُوُّ لِّلْكَافِرِين} [البقرة: ٩٨]، كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر البقرة: ٩٨] الماوات والأرض....» الحديث، فإنكار هؤلاء الملائكة أو أحدهم إنكار للنصوص

الشرعية.

وكذلك من الأمور الخطيرة سب الملائكة، وما يصدر من بعض ضعاف الأنفس لا شك أن هذا مخرج من الدين، أو الاستهزاء بهم، يقول ابن حزم رحمه الله: وصح بالنص أن كل من استهزأ بالله جل وعلا أو بملك من الملائكة أو بنبي من الأنبياء أو بآية من القرآن أو بفريضة من فرائض الدين قال بعد بلوغ الحجة إليه فهو كافر.

الإسلام جاء ببيان أهمية هذه الأركان، وأن إيهان العبد إنها يكون بالإيهان بجميعها، من كفر بنبي واحد لم يكن مؤمنا، من كفر بكتاب واحد لم يكن مؤمنا، فأهل الإسلام يؤمنون بالملائكة جميعهم ويؤمنون بالكتب جميعهم، وسيؤمنون بالرسل جميعا.

قال الله جل وعلا: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِين} [الشعراء:١٩٣] وهو جبريل، {عَلَى قَالِهِ اللهِ جِلَ النَّورِين قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينِ ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينِ } [الشعراء:١٩٤–١٩٥].

ثم أيضًا نؤمن بأنهم يتفاوتون في الفضل، وأفضل الملائكة الثلاثة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل، وأفضل الملائكة على الإطلاق جبريل، هو الموكل بالوحي، ولذلك جاء ذكرهم في الحديث في قوله في دعائه: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل»، قال ابن القيم رحمه الله: ذكر هؤلاء الثلاثة لكال اختصاصهم واصطفائهم وقربهم من الله.

وكذلك من أفضل الملائكة، وهذا دليل على تفاضل الملائكة من أفضل الملائكة من أفضل الملائكة من شهدوا بدرا، يقول في غزوة بدر، «ما تعدون أهل بدر فيكم» يعني من المسلمين من البشر، قالوا من أفضل المسلمين، قال النبي في: «وكذلك من شهد بدرا من

الملائكة» يعنى من أفضل الملائكة.

إذًا من الإيهان بهم أيضًا الاعتقاد بأنهم خلق من خلق الله لا شأن لهم في تدبير الكون أو في التصرف فيه ولا في رزق العباد، فلا يجوز دعاءهم ولا طلبهم ولا الاستغاثة بهم ولا التقرب إليهم بشيء من أنواع القرابين، هم خلق من خلق الله، والله جل وعلا وكلهم ببعض المهام كها سيأتي تفصيل ذلك.

فَالله جَلَ وَعَلَا نَهِي عَنَ عَبَادَتُهُمْ أَو اتَخَاذَهُمْ أَرْبَابًا، قَالَ تَعَالَى: {وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَخِذُواْ اللَّائِكَةَ وَالنّبِيّنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُون} [آل عمران: ٨٠].

فالله جل وعلا لم يأمر بعبادتهم وإنها خلقهم فهم من خلق الله على، ومن الإيهان بهم الإيهان التفصيلي، وذلك أن نؤمن بمن جاء ذكرهم بأسهائهم أو بأعهاهم، فجاءت النصوص بذكر جبريل وميكائيل وإسرافيل ومالك، كها قال الله جل وعلا: {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُون} [الزخرف:٧٧]، وكذلك من الملائكة هاروت وماروت، ومن وصف الملائكة منكر ونكير، وكذلك من الوصف رقيب وعتد.

{مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد} [ق:١٨]، وملك الجبال وملك الموت، وهنا أمر هو أنه لم يثبت أن سم ملك الموت عزرائيل، لم يأت بهذا نص صحيح، لكن

جاء تسميته كما في الصحيح وفي غيره ملك الموت، إذًا يجب علينا الإيمان إجمالا بما ذكرنا والإيمان تفصيلا بأعمالهم وأسمائهم وأوصافهم، وهذا كله من الإيمان بالملائكة.

كذلك من المسائل المتعلقة بالملائكة أن الملائكة لهم علاقة بالمؤمنين، انظروا هذا الخلق العظيم وهذا التكوين الذي يدل على قدرة الله جل وعلا وعلى حكمته في أنه يفعل ما يشاء، هذا الصنف من المخلوقات لهم علاقة بأهل الإيهان، فهم يحبون أهل الإيهان، يقول النبي في: «إذا أحب الله فلانا نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في أهل السهاء، إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السهاء ثم يوضع له القبول في الأرض».

كذلك إعانة المؤمنين كما قال النبي في دعائه لحسان: «اللهم أيده بروح القدس» وهم كذلك يدعون للمؤمنين، قال الله جل وعلا: {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ} [الأحزاب:٤٣] الصلاة هنا يعني الدعاء، {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُهَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالمُؤْمِنِينَ رَحِيًا} [الأحزاب:٤٣].

ويستغفرون للمؤمنين، هذا من خصائصهم، قال الله جل وعلا: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَاللَّائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَمِن فِي الأَرْضِ أَلاَ إِنَّ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَاللَّائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَمِن فِي الأَرْضِ أَلاَ إِنَّ الله هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم} [الشورى:٥]، ويدعون للمؤمن، قد جاء في الحديث أن الله هُو الْغَفُورُ الرَّحِيم} الملك: آمين ولك بالمثل، فإذا دعوت لأخيك بسعة الرزق المؤمن كلما دعا بخير قال الملك: آمين ولك بالمثل، فإذا دعوت لأخيك بسعة الرزق

قال الملك ولك بمثله، إذا دعوت له بالعافية قال الملك ولك بالمثل وهكذا.

ثم أيضًا أنهم يشهدون مجالس الذكر، ونسأل الله أن يجعل هذه المجالس مما تحفها الملائكة، ومما تغشاها الرحمة ومما تكون سببا للمغفرة لنا جميعا ولمن يسمع، فقد جاء في الحديث: "إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى قالوا هلموا إلى حاجتكم، تعالوا إلى مبتغاكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السهاء الدنيا» وهذا دليل على فضل حلق الذكر ومجالس العلم.

والنبي على يقول كما في الحديث الحسن: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر» لا شك أن هذا من الأمور العظيمة التي ينبغي للعبد أن يحرص عليها وأن يتقرب إلى الله جل وعلا بحضورها.

كيف نعامل نحن الملائكة مع ما ذكرنا من الإيهان بهم ونحو ذلك؟ أيضًا من المعاملة للملائكة اجتناب الذنوب والمعاصي، الملائكة ينفرون من أماكن الذنوب والمعاصي؛ لأن أماكنهم أماكن الذكر ويلتمسون حلق الذكر، ولذلك جاء في الحديث: «إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا صورة»، والناس الآن يتهاونون في الأمرين، يتهاونون في التصاوير التي لا فائدة منها ولا نفع فيها ويتهاونون في تربية الكلاب في بيوتهم، إنها أجاز النبي على من الكلاب ما كان كلب صيد وكلب ماشية، وذكر أهل العلم أيضًا كلب الحراسة، أما مجرد تربية الكلاب فالملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا

صورة، وهي تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم.

لذلك جاء في الحديث النهي عن أن الإنسان يأتي إلى المسجد وقد أكل ثوما أو بصلا، قال النبي على: فليميتها طبخا، قال: فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، ولذلك الإنسان إذا أكل بصلا أو أكل ثوما فلا يجوز له لكن أيضًا لا يجوز له أن يأكل الثوم أو البصل ليتخلف عن الجهاعة، فإن أكلها فلا يجوز له الحضور لأن هذا فيه أذية، والنبي على عن هذا. كذلك مولاة الملائكة، والمولاة تقتضي المحبة لهم.

من المسائل المتعلقة أيضًا بالملائكة: أن الله جل وعلا جعل لهم وظائف، هذا له وظيفة في كذا وهذا له وظيفة في كذا، منهم الموكل بالوحي كجبريل التَّلِيُّ، قال الله عَلَى الله عَلَى الله عَربي التَّلُونَ مِنَ المُنذِرِين بِ بِلِسَانٍ عَربي مُّبِين } {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِين بِعَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِين بِ بِلِسَانٍ عَربي مُّبِين } [الشعراء:١٩٥-١٩٣].

ومنهم من وكله الله جل وعلا بأمر القطر والنبات وهو ميكائيل، وقد جاء ذكره في قول الله جل وعلا: {مَن كَانَ عَدُوًّا لله وَمَلاَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ الله في قول الله جل وعلا: {مَن كَانَ عَدُوًّا لله وَمَلاَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ الله عَمُونًا لله عَلَيْ للكافِرين} [البقرة: ٩٨]، ومنهم الموكل بالنفخ في الصور، وقيل أن هذا الملك هو إسرافيل، لم يرد في السنة حديث صحيح الإسناد على أن الموكل بالنفخ في الصور هو إسرافيل.

ورد النفخ في الصور وورد اسم إسرافيل، لم يرِدْ بسند صحيح أن إسرافيل هو

النافخ في الصور وإن كان بعض أهل الاعتقاد ذكر الإجماع على ذلك، أما اسمه فقد ورد في قول النبي على في الدعاء: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل».

وأما دليل أن هناك ملك ينفخ في الصور فقوله في: «كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن القرن» صاحب الصور التقم القرن أخذه لينفخه، «كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنا جبهته وأصغى سمعه ينظر متى يؤمر، قال المسلمون: ما نقول؟ قال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا».

وهذا من شدة خوفه ومراقبته لربه وهذا ما ينبغي أن يشعر به المؤمن، كيف ترتاح نفسه، كيف تطيب عيشه وقد أخبره نبيه أن ملك النفخ في الصور قد التقم القرن لينفخ، وكيف أيضًا يرتاح الإنسان وهو يعلم أن مآله إلى الموت، وأنه قادم على ربه جل وعلا وأنه محاسب على عمله، هذا يدعوه إلى الاجتهاد وإلى البذل وإلى الصبر على طاعة الله جل وعلا وإلى العناية بفعل الأوامر واجتناب النواهي.

كذلك من الملائكة من هو موكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت، قال الله جل وعلا: {قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ المُوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُون} وعلا: {قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ المُوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُون} [السجدة: ١١]، الله جل وعلا وكل ملك الموت، وملك الموت له أعوان، كما قال الله جل وعلا: {حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ المُوْتُ تَوَفَّتُهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُون} [الأنعام: ٦١]

وهم أعوان لملك الموت.

ومنهم من هو موكل بالجبال، قال النبي على حينها خرج من الطائف: «فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بها شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد، فقال ذلك فيها شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي على: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا» وهذا دليل على رحمته وعلى حرصه على أمته، على أن يتقبلوا الإسلام.

ومن وظائفهم من هو موكل بالرحم، قد جاء في الحديث في البخاري ومسلم قوله على: «إن الله وكل ملكا يقول يا رب نطفة، يقول يا رب علقة، يا رب مضغة، فإذا أراد أن يقضي خلقه قال أذكر أم أنثى، شقي أم سعيد، في الرزق والأجل، فيكتب في بطن أمه».

وكما جاء في حديث الصادق المصدوق فيه ملكان ويكتبان أجله ورزقه وشقي أو سعيد، وهذا موكل بالجنين في بطن أمه، بما في الأرحام، ومن الملائكة من وظيفته حمل العرش، كما قال الله عَلَى : { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ } [غافر: ٧]، وقال جل وعلا: { وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَة } [ الحاقة: ١٧]،

هؤلاء الثهانية موكلون بحمل العرش.

وكذلك من جعلهم الله جل وعلا خزنة لجهنم، كما قال ربنا رضي الله الله خَوْنَة النار، قال الله عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِين} [الزمر: ٧٣]، ومنهم من هو من خزنة النار، قال الله جل وعلا: {عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَر} [المدثر: ٣٠]، {وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النّارِ قِالَ الله جل وعلا: {وَقَالَ الّذِينَ فِي النّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنّمَ النّارِ إِلاّ مَلاَئِكَةً } [المدثر: ٣١]، وقال جل وعلا: {وقَالَ الّذِينَ فِي النّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنّمَ النّارِ الله عَنّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَاب} [غافر: ٤٩]، ما قالوا يخفف عنا العذاب، يوم، نسأل الله عَنّا أن ينجينا من نار جهنم، وأن يرحمنا برحمته الواسعة.

ومنهم من هم زوار البيت المعمور كها جاء في الحديث السابق فيها ذكرناه، ومنهم الكرام الكاتبين الذين يتولون كتابة أعهال العباد، قال الله على: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِين \* كَرَامًا كَاتِبِين} [الانفطار:١٠-١١]، ومنهم من هو موكل بفتنة القبر وسؤال القبر وامتحان العباد في قبورهم، قد جاء في الحديث قوله على: «إذا قُبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل» يعنى النبي على النبي الله المنكر والآخر النكير فيقولان: ما كنت تقول في هذا

وجاء في الحديث الآخر: فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة، هذا لأهل الإيهان، فهذه جملة من الوارد في وظائف الملائكة عليهم الصلاة والسلام.

ثم أيضًا من المسائل التي نختم بها الكلام عن الإيهان بالملائكة: ما الذي يثمر عند العبد هذا الركن من أركان الإيهان؟

ما الذي يستفيده العبد مع ما استفاده من الاعتقاد ومن تصديق ما أخبر الله على به من حال هذه الكائنات العظيمة؟

يستفيد كذلك مراقبة الله على ومحاسبة النفس، إذا علم أن الله جل وعلا جعل عليه حافظين كراما كاتبين، وأنه جعل عليه رقيب وعتيد يكتبان الحسنات ويكتبان السيئات، فإنه يراقب ربه جل وعلا فيها يأتي ويذر.

وكذلك أن يجتهد في الأعمال، الملائكة يرفعون الأعمال إلى الله جل وعلا، فيجتهد في الأعمال الصالحات ويجتنب المحرمات، ويستحي أن تراه الملائكة وهو على معصية، يقول نبينا على: «ألا أستحي من رجل يعني عثمان تستحي منه الملائكة» كذلك العبد يجتنب كل سبيل وكل سبب لمعصية الله جل وعلا، فلا تراه الملائكة إلا فيها هو طاعة لله جل وعلا، في قراءة القرآن، فيهيئ الله جل وعلا من الملائكة من يحفظون العبد.

الإنسان إذا قرأ قبل نومه آية الكرسي لا يزال عليه من الله حافظ حتى يصبح، يهيئ الله جل وعلا لك ملكًا يحفظك بحفظ الله جل وعلا من كل أمر فيه مضرة عليك، فلا يزال عليك من الله حافظ. كذلك من منافع الإيهان بالملائكة وثمرات الإيهان بالملائكة؛ العلم بعظم الخالق جل وعلا الذي خلق هذه الكائنات العظيمة وجعل لها هذه الوظائف وهذه الخصائص وهذه الصفات، وهو على خالق كل شيء وهو القادر على كل شيء.

كذلك شكر الله جل وعلا على لطفه بأهل الإيهان، فإنه أرسل لهم الشرائع عن طريق الملائكة، وجعل الملائكة يحفونهم ويحفظونهم بحفظه ويحرسونهم ويحققون لهم الكثير من المصالح، هذا دليل على عناية الله جل وعلا بأهل الإيهان، ثم أيضًا معرفة أو الاعتقاد بها ذكر من هذا الخلق العظيم الذي خلقت به الملائكة، وأن الله جل وعلا خلق هذا الخلق، خلق الجبال وخلق الأرض وخلق السهاء وخلق الأنهار والبحار، وهو الخالق لكل شيء.

هذه بعض المسائل المتعلقة بالإيهان بالملائكة، وعليها نقف إن شاء الله ونكمل ما بقى في الدروس القادمة، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

## الدرس السادس:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسهاء الحسنى والصفات العلا، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، صل الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليها كثيرا.

أما بعد ..

فهذا هو المجلس السادس في شرح حديث جبريل الطويل، وقد وقفنا في الدرس الماضي على الإيمان بالكتب في قول النبي على سأله جبريل فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، وَالْمَانِي عَلَى الْإِيمَانِ بَالْكتب في قول النبي على سأله جبريل فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، وَالْمَانِي عَلَى اللهِ عَنْ اللهُ عَنْ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِاللهُ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِاللهُ وَمَلَائِكَتِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِاللهُ وَمَلَائِكَتِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِاللهُ وَمَلَائِكَتِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِاللهُ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ

الإيمان بالكتب ما معناه؟

ما الغاية من إنزال الكتب؟

الغاية من إنزال الكتب غاية واحدة، وهو أن يُعبد الله جل وعلا وحده لا شريك له، وتضمنت هذه الكتب السعادة والمنهج الكامل للبشرية، سعادتهم في أمور دينهم ودنياهم.

الكلام على الإيمان بالكتب يدعونا إلى الكلام عن مسألة مهمة:

وهي نزول هذه الكتب على الرسول البشري عن طريق الوحي.

ينزل الرسول الملكي فيوحي إلى الرسول البشري بها أمره الله جل وعلا به.

ما هو الوحي؟

هو إعلام الله جل وعلا أنبياءه بها يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو بغير واسطة.

ما معنى هذا التعريف لأهل العلم لمعنى الوحي؟

الوحي هو أن الله جل وعلا يعلم أنبياءه بأمر، هذا الإعلام لأنبيائه والإبلاغ لهم إما أن يكون بواسطة الملك أو بغير واسطة.

كيف يكون بغير واسطة؟

ذكر الله جل وعلا أنواع الوحي في كتابه فقال جل وعلا في سورة الشورى: {وَمَا كَانَ لِبَشَرِ أَن يُكَلِّمَهُ الله إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابِ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا

يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيم} [الشورى:٥١].

إذًا ذكر الله جل وعلا قال: أَن يُكلِّمَهُ الله إِلاَّ وَحْيًا، واحد، أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ، اثنين، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء، ثلاثة.

ما هو الوحي الذي ذكره جل وعلا أولا؟ قوله: إلا وحيا.

قال أهل العلم: الوحي هنا هو الوحي المجرد وهو ما يقذفه الله جل وعلا في قلب الموحى إليه من أمر، قالوا: ودليل ذلك قوله روح القدس نفث في روعي، يعني ألقى في نفسي: لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب».

إذًا هذا أمر ألقي في روع رسول الله و الله و

المرتبة الثانية: كلام الله جل وعلا لرسله من غير واسطة، يسمعون كلامه على المرتبة الثانية: كلام الله جل وعلا صفة من صفاته، يسمعه من قرب كما يسمعه من بعد، وهو كلام حقيقي، الله على يقول: {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ الله } [التوبة: ٦] والله على قال: {وقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: ٢٠].

إذًا القول والكلام كله حقيقي.

ودليل هذا النوع من الوحي أن الله جل وعلا قال: {وَكَلَّمَ الله مُوسَى تَكْلِيمًا} النساء: ١٦٤]، من الفاعل؟ الله جل وعلا، الآية أن الله جل وعلا كلم موسى، بعض أهل الضلال قالوا: وَكَلَّمَ الله مُوسَى تَكْلِيمًا، فصار المكلّم هو الله والمتكلم هو موسى، إذًا جعلوا الفاعل موسى، وبعضهم قالوا: {وَكَلَّمَ الله مُوسَى تَكْلِيمًا} أي كلّمه أي جرحه بالحكمة، هذا كله تأويلات قبيحة.

عندما قال أحد هؤلاء لأحد علماء المسلمين قال له: وَكَلَّمَ الله مُوسَى تَكْلِيمًا، جعل المتكلم هو موسى، قال له: هب أني صدقتك في هذه فهاذا تقول في قول الله جل وعلا: {وَلَّمَا جَاء مُوسَى لِمِقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} [الأعراف:١٤٣]؟ فبهت هذا الضال، هذه لا يمكن أن يكون الفاعل فيها هو موسى.

إذًا موسى كلمه الله على الله الله على التكليم الرؤية، هذا تكليم من وراء حجاب لكن بغير واسطة الملك، قال الله جل وعلا: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ} البقرة: ٣٧]، والنبي على في ليلة الإسراء من تفضل الله عليه ومن إكرامه له على كلمه.

المرتبة الثالثة: الوحي بواسطة الملك وهو جبريل الطَّيْكُ، قال الله جل وعلا: {أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيم} والقرآن كله نزل بهذه الطريقة،

قال الله جل وعلا: {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِين \*نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِين \*عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ اللَّذِرِين \* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِين} [الشعراء:١٩٥ –١٩٥]. كل القرآن نزل بهذه الطريقة.

إذًا هذه هي طريقة إنزال الكتب على الأنبياء والرسل، حكم إنكار الإيهان بالكتب بالكتب الإيهان بالكتب أصل من أصول الإيهان، وعلى هذا فإنكار الإيهان بالكتب كفر بالله، وإنكار لما هو معلوم من الدين بالضرورة، الله جل وعلا ذكر الكتب في كتابه وذكر النبي الله أن هذا من أصول الإيهان وذكر بعضها في سنته، وهذا الإنكار يستلزم منه تكذيب القرآن.

الله جل وعلا قال: {وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون} [الأعراف:٣٦]، وكذلك قال أهل العلم: إنكار الكتب فيه إنكار لصفة الكلام لله جل وعلا، لأن الله تكلم بها، فأجمع أهل العلم فيها نقله القاضي عياض وإسحاق وغيرهم على كفر من أنكر الإيهان بالكتب.

فإذًا هي ركن عظيم من أركان الدين، وأمر الله جل وعلا بها ووصف بها عباده المؤمنين، أمر بها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِالله وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى المؤمنين، أمر بها: أيَّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِالله وَمَلاَئِكَتِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِالله وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ اللَّخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا} [النساء:١٣٦] الكتاب الأول القرآن والكتاب الآخر

هو جنس الكتب السهاوية التي أنزلت من عند الله على كالإنجيل والتوراة والزبور والصحف وغير ذلك، أمر الله جل وعلا بالإيهان بها وجعل الله على من البر الإيهان بالكتب.

هذه الكتب جميع ما أنزل الله على عباده من الكتب فهي متفقة في أمور، أما الأمر الأول فمتفقة في أنها كلها منزلة من عند الله جل وعلا، هذا الاتفاق الأول بين الأمر الأول فمتفقة في أنها كلها منزلة من عند الله جل وعلا، هذا الاتفاق الأول بين الكتب، قال الله عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإنجِيل} [آل عمران: ٣].

الأمر الثاني: أن المقصد منها جميعا هو الدعوة إلى التوحيد كما قال الله جل وعلا: {إِنَّ الدِّينَ عِندَ الله الإِسْلاَمُ } [آل عمران: ١٩] وسبق أن ذكرنا أن الإسلام له معنيان، معنى عام وهو جميع أديان الرسل، والإسلام بالمعنى الخاص الذي هو دين نبينا محمد

كذلك تتفق الكتب على أصول الاعتقاد كالإيهان بالغيبيات واليوم الآخر ومسائل البعث والنشور والإيهان بالرسل، هذه جميعها تتفق فيها، ثم أيضًا تتفق في

مسائل الثواب والعقاب وما يتعلق بالحث على التنزه عن الأمور الخبيثة، وكذلك تتفق هذه الكتب على محاربة الفساد، سواء كان هذا الفساد أخلاقيا أو كان عقديا أو غير ذلك.

كذلك تتفق على الدعوة إلى مكارم الأخلاق، وهناك اتفاق أيضًا على العبادات في بعضها على الحتلاف صفاتها، فتجد عند النصارى الصلاة وعند اليهود الصلاة وعند أهل الإسلام الصلاة لكن تختلف صفات هذه العبادات.

إذًا ما أوجه الاختلاف بعد أن ذكرنا أوجه الاتفاق؟ أوجه الاختلاف في الشرائع، في العبادات، وكذلك تختلف في أن شريعة نبينا على عامة، قال النبي الله وكان يرسل الرجل إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»، ميزة شريعة الإسلام أنها عامة للناس وأنها أبطلت ما قبلها من الشرائع والأديان، نسختها، قال النبي الله والله لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهوديا ولا نصرانيا ثم لا يؤمن بها جئت به إلا أدخله الله النار»، {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُون} [سبأ: ٢٨]، {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمةً لِلْعَالَينِ } [الأنبياء: ٢٨].

فرسالة النبي الله رسالة خاتمة للأديان، وهذا الكتاب كم سيأتي وصفه الله الله أي القرآن بأنه مهيمن على الكتب السابقة ناسخ لها، فإذًا مع ما ذكرنا الكتب السابقة مع القرآن يصدق بعضها بعضا في أن القرآن يدل على صحة إنزال الله على للتوراة

والإنجيل والزبور وغير ذلك كما قال الله جل وعلا: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحُقِّ مُصَدِّقًا لِمَا يَكِيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} [المائدة:٤٨].

وكان تنزيل الإنجيل مصدقا لما قبلها كها قال الله على عن عيسى: {وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَمُوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِين} فيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِين} [المائدة: ٢٤]، ثم من الإيهان بالكتب الإيهان بها سمى الله على وجه التفصيل، ومما سمى الله على موسى، قال ومما سمى الله على موسى، قال سمى الله على موسى، قال سبحانه: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون} [القصص: ٣٤].

وجاء في حديث الشفاعة أن النبي الله قال: «ولكن ائتوا موسى عبدا أتاه الله التوراة وكلمه تكليما»، كذلك مما نؤمن به أن الله قل في إنزاله لهذه التوراة كانت فيها الهداية لبني إسرائيل، وقد وصف الله قل التوراة بذلك، {إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِهَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ الله وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء} [المائدة: ٤٤].

ثم أخبر الله جل وعلا كما سيأتي معنا أن بني إسرائيل حرفت التوراة، كما أن النصارى حرفوا الإنجيل، ومما نؤمن به الإنجيل وهو ما أنزله الله جل وعلا به على عيسى، قال جل وعلا: {وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ

التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِين} [المائدة:٤٦] وأخبر الله عَلَى في كتابه أن البشارة بالنبي على جاءت في التوراة والإنجيل، لكنهم يطمسون ويحرفون، قال الله جل وعلا: {الَّذِينَ يَتَبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ اللَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ} [الأعراف:١٥٧] موجود وصفه على ومكان خروجه وشيء من صفاته وشيء من أخباره موجود في الإنجيل وموجود في التوراة.

كذلك من الكتب التي أنزلها الله جل وعلا الزبور كها قال: {وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا} الإسراء:٥٥] الزبور من الكتب التي أنزلها الله على داود، قول الله على (وآتَيْنَا دَاوُودَ زُبُورًا أي دَاوُودَ زُبُورًا أي الزبور بفتح الزاي هو اسم الكتاب، ومن قرأها وَآتَيْنَا دَاوُودَ زُبُورًا أي كتب مزبورة متقنة، فزبورا هو اسم الكتاب.

وقد قيل أن هذا الكتاب لم يكن فيه شيء من الحلال والحرام وإنها كان عبارة عن حكم ودعاء علمه الله على لداود، ثم أيضًا صحف إبراهيم وموسى كها قال الله على التوراة؟ قال أهل العلم هي غير التوراة على خلاف بين أهل العلم.

فالله جل وعلا ذكر الزبر وذكر الصحف وأن هذه الكتب من عنده على ثم ذكر القرآن العظيم في آيات كثيرة، قال الله جل وعلا: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحُقِّ مُصَدِّقًا

لِمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} [المائدة: ٤٨] وهذه الآية هي أظهر الآيات كما ذكر أهل العلم في الدلالة على نسخ الكتب السابقة، {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحُقِّ مُصَدِّقًا لِمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ}.

وقال الله جل وعلا: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان: ١] سمى الله جل وعلا هذا الكتاب بالقرآن وسهاه بالفرقان وسهاه بالتنزيل وسهاه بالذكر ووصفه بأوصاف كثيرة، وقاعدة عند أهل العلم: "كلها زادت أسهاء الشيء وتعددت أوصافه فهو دليل على مكانته وقيمته ومنزلته".

ثم مما نؤمن به فيها يتعلق بهذه الكتب الاعتقاد الجازم بأنها جميعا نسخت بالقرآن، ولذلك الله جل وعلا أمر نبيه الله أن يحكم بين أهل الكتاب، قال: فاحكم بينهم بها أنزل الله، يعني في القرآن، {فَاحْكُم بَيْنَهُم بِهَا أَنزَلَ الله وَلاَ تَتَبعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحُقِّ إِلَا لَلهُ وَلاَ تَتَبعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحُقِّ إِلَا لَلهُ وَلاَ تَتَبعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحُقِّ إِلَا لَا لَهُ وَلاَ تَتَبعْ أَهُواءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحُقِّ إِلَا لَا لَهُ وَلاَ تَتَبعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحُقِّ إِلَا لللهُ وَلاَ تَتَبعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْمُرَان.

وهنا سؤال: هل يجوز للإنسان النظر في الكتب السابقة؟

النبي الله وأى عمر ومعه كتاب أصله من بعض هذه الكتب السابقة أعطاه له بعض أهل الكتاب، فقال النبي الله والمتهوكون يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوه، والذي نفسي بيده لو أن موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني فهذا الحديث

دلالته ظاهرة على عدم جواز القراءة أو النظر في الكتب السابقة.

لكن قال أهل العلم هذا النظر له أحكام؛

الحالة الأولى: فإما أن يكون هذا النظر لطلب الهداية والاسترشاد، هذا محرم لا شك فيه، لأن الله عجم أنزل الهداية والنجاة والفلاح والسعادة في كتابه في القرآن.

الحالة الثانية: أن يكون النظر في هذا الكتاب ليحاجج أهل الكتاب بها في كتبهم، شخص متخصص كها يقال في علم الأديان وله من التحاور مع أهل الكتاب فينظر في هذه الكتب ليستدل عليهم بها فيها من نصوص هم يؤمنون بها، فقال أهل العلم هذا أمر جائز، وقد يكون أمر مستحب إذا احتاجه الإنسان لهداية الناس.

الحالة الثالثة: النظر في هذه الكتب لمجرد المطالعة، ليس طلبًا للاسترشاد ولا هو ليقيم حجة على أهل الكتاب وإنها ليطالع فيها فلا شك أن سد هذا الباب هو أولى لئلا يغتر بها فيها.

وبعض الناس عنده جهل وضعف في العلم، وربا أورث لنفسه شيء من الشكوك وخاصة وأن بعض الكتب السابقة لما فيها من التحريف فيها تنقص من حق الله جل وعلا، وفيها ذكر أمور مستقبحة من أن الله على تعب عندما بنى الساوات والأرض، أو أن الله تصارع مع يعقوب أو غير ذلك من العبارات القبيحة التي لا ينبغي للإنسان أن ينظر فيها أو أن يطلع فيها.

فإذًا هذه الكتب السابقة وقع فيها التحريف، وهذا التحريف على الصحيح الراجح أنه وقع في الألفاظ وفي المعاني، بعضها دون بعض، فوقع في بعض الألفاظ ووقع في بعض المعاني، قد تجد لفظا لم يحرف لفظه كلمة لم يحرف لفظها أو تجد معنى لم يحرف لكن الأكثر قد حُرف كها ذكر أهل العلم.

بل إن بعض أهل الكتاب مقرون بهذا التحريف في الكتب السابقة كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله حين قال: "وأهل الكتاب اليهود والنصارى مع المسلمين متفقون على أن الكتب المتقدمة وقع التحريف فيها"، فعلماؤهم يقرون بهذا التحريف الواقع، ولا يجوز للإنسان أن يقول لا بأس أن يبقى النصراني يحكم بكتابه الآن بعد مبعث النبي لا يجوز، الواجب عليك أن تسعى في هدايته وأن تسعى في إصلاح قلبه وأن تبين له ما الواجب عليه وأن هذا الكتاب نسخ بالقرآن.

ومعنى قول الله على الدين، آية محكمة صحيحة نصها ودلالتها لا إكراه في الدين، أنت لا تكره الناس على أن يدخلوا في الإسلام، لكن ليس معنى أنك لا تكرههم على الدخول في الإسلام أنك تقر أن دينهم حق، فرق بين الأمرين، لا يجوز لأهل الإسلام أن يكرهوا غيرهم على الدخول في الإسلام، هذا الدخول يكون بقناعتهم، لكن ليس معنى عدم الإكرام لهم أن ما هم عليه من الدين صحيح، إن الدين عند الله الإسلام.

وقال الله جل وعلا في دين الإسلام الذي أنزله على نبيه الله الله على نبيه على فير عَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام الذي أنزله على نبيه الله على الله

كل من ليس على دين الإسلام، فدين الإسلام دين سعادة ورحمة وفلاح ونجاح للناس في الدنيا والآخرة.

إذًا وقع التحريف في هذه الكتب، ما الدليل على وقوع التحريف؟

الله جل وعلا ذكر هذا في كتابه، قال: {أَفْتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ الله ثُمَّ يُحُرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُون} [البقرة:٥٧]، منه مُ عُون كَلاَمَ الله ثُمَّ الله عُرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ [النساء:٤٦] وقال الله جل وعلا: {مِّنَ النَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ [النساء:٤٦] وقال الله جل وعلا في سياق الكلام عن أهل الإنجيل قال: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُم وَاللهُ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ ثُغْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهُ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِين} [المائدة:١٥].

إذًا هناك تحريف وهناك إخفاء، أهل الكتاب في تعاملهم مع الكتب التي أنزل الله جل وعلا عليهم استعملوا خمس طرق أبطلوا بها دلالات هذه الكتب؛

أما الأمر الأول: فهو لبس الحق بالباطل.

والأمر الثاني: هو الكتمان.

والأمر الثالث: هو تحريف الكلم عن مواضعه.

والأمر الرابع: هو ليّ اللسان به، {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ} [آل عمران:٧٨]. ما هو لي اللسان؟ قالوا أن يحرف لسانه ليلبس على السامع اللفظ.

الأمر الخامس: الإخفاء، كما قال الله جل وعلا: {مِمَّا كُنْتُمْ ثُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} [المائدة:١٥]

هذه خمسة أمور ذكرها ابن القيم رحمه الله في كتابه هداية الحيارى.

هذا التحريف وقع في الكتب السابقة سواء في الإنجيل أو في التوراة، لكن الله جل وعلا سلم القرآن، وما السر في ذلك؟

هل تولى الله جل وعلا حفظ الكتب السابقة؟

لا، وإنها ولى أصحابها أن يحفظوها كما قال الله جل وعلا: {بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ

كِتَابِ الله } [المائدة: ٤٤] ، فحينها هم استحفظوا بكتاب الله لم يحفظوه، فجعل الحفظ لهم، وفي القرآن تولى جل وعلا الحفظ هو، وهذا هو الفرق بين الأمرين.

بل إن الله جل وعلا في دين الإسلام من حفظه و للوحي أنه حفظ السنة، السنة وحي من الله أليس كذلك؟ ما الدليل؟ {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهُوَى \* إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيُ وَحِي من الله الله و النجم: ٣] إذًا السنة وحي من الله، فهيأ الله و الله و الله و الله و الكتب أعظم ما هيأه الله و الله و السنة أن هيأ ويسر علما في الإسلام لم يوجد في الكتب السابقة وهو علم الجرح والتعديل، هذا العلم اعتنى بأحوال الرواة.

فتجد علماء الإسلام ينظرون في حال الراوي في حفظه وفي ضبطه وفي إتقانه وفي بعده عن أسباب الفسوق وخوارم المروءة واتصافه بالعدالة حتى لا يدخل الكذبة الأحاديث على رسول الله ولله الله بعض الناس ضعيف الإيمان إذا اشتهى شيئًا جعله حديثا؛ لأن بعض الناس من الجهل.

التقيت مرة بشخص فقال لي: الحفاظ على النعم، فالله جل وعلا يقول: إذا كنت في نعمة فارعاها فإن المعاصي تزيل النعم، قلت يا أخي هذه ليست آية في القرآن، قال هذا أظنه حديث في البخاري، انظر تلبيس فقط، فهذا كلام باطل، هذا من الحِكم، هذا شعر من الأشعار.

إذا كنت في نعمة فارعاها \*\* فإن المعاصي تزيل النعم،

## وداوم عليها بشكر الله \*\* فإن الإله سريع النقم،

فتساهل الناس، ومن تساهل الناس أنهم تأتيهم الأحاديث الضعيفة والمكذوبة والموضوعة وينشرونها بين الناس، لا بد أن تعرف ما صحة الحديث.

النبي على حذر من هذا قال: «مَن كَذَبَ علي متعمدًا؛ فليتبوأ مقعده من النار»، فمن حفظ الله جل وعلا لسنة نبيه على أن يسر هذا العلم الذي اعتنى به الناس، فردوا على الرواة الضعفاء ردوا عليهم حديثهم، جاء رجل إلى هارون الرشيد فقال له: وضعت ثلاثة آلاف حديث في فضائل القرآن ونشرتها بين الناس، فضحك هارون الرشيد وقال: يعيش لها الجهابذة، ما يهمنا هذا الأمر.

فنادى عبد الله بن المبارك ومن معه من الأئمة أخرجوها من حديث الناس، ولذلك تجد العناية الكبيرة، حتى ألف العلماء المؤلفات الكثيرة في أن هذه الأحاديث ضعيفة وهذه الأحاديث صحيحة، واشترط العلماء شروطا قوية في كتبهم للأخذ عن الرواة، فكان أصح الكتب بعد كتاب الله جل وعلا صحيح البخاري ومسلم.

فإن ما فيها من أحاديث اتفقت الأمة عليها، فلا يجوز التشكيك فيها؛ لأن بعض الناس الآن إما أن ينشر حديث ضعيف موضوع وإما أن يشكك في الصحيحين بلاء من الله، كثير من هؤلاء ما عرفوا جهود العلماء والأئمة في حفظ الحديث، وإنها يرفضون الأحاديث بعقولهم.

حتى قرأت قبل أيام أن رجلا يقول: إن صحيح البخاري خمسة بالمائة منه فقط صحيح، أما خمسة وتسعين هذا ضعيف، أنت الضعيف مائة بالمائة، أنت الذي لا قول لك معتبر ولا يقبل قولك، ولو كنت عند الإمام مالك أو عند أحمد لأمروا بأن يوسع ظهرك جلدًا لإنكارك لسنة النبي الله شك هذا القول باطل، يأتونا يشككونا في مصادرنا؟

إذا شكك في صحيح البخاري ومسلم وجاءوا إلى القرآن فأولوه ماذا يبقى لك؟ دلالات القرآن حرفوها وأحاديث الصحاح ضعفوها، أين يذهب المسلمون؟ إلى عقولهم الخربة التي عششت عليها العناكب وأنسجتها؟ فلا يعقلون ولا يفهمون إلا ما تدعوهم إليها شهواتهم وآراؤهم الكاسدة الفاسدة فقط.

فجهود الأئمة كبيرة في حفظ السنة والعناية بها، بذلوا الأوقات والأعهار، الواحد منهم يسافر شهر مسيرة شهر في حديث واحد، وربها غاب عن أهله عشرين سنة وهو يتنقل بين العلهاء وينظر الأحاديث الصحيحة، كان بعضهم ربها إذا رأى شخص يلعب وهو من المحدثين لم يقبل منهم حديث تحرزا على حديث رسول الله على.

بل كان بعضهم إذا رأى أن الرجل يمد يده إلى حماره أو إلى حصانه يوهمه أن بها سكر هكذا يمد يديه لم يقبل منه الحديث، يقول هذا يكذب على هذا الحيوان، أنا لا آمن أن يكذب على حديث رسول الله على، كانوا يشددون في مسألة الرواية ويختبرونهم

يمتحنونهم في أحاديث رسول الله على الله

فهذا من حفظ الله جل وعلا لسنة نبيه هي، فالله جل وعلا حفظ القرآن من التحريف والتبديل والتغيير، يبقى معنا الكلام عن القرآن ودلائل حفظ الله جل وعلا له وخصائص ذلك، وهذا إن شاء الله في اللقاء القادم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليها كثيرا.

## الدرس السابع:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليها كثيرا.

أما بعد ...

فهذا هو المجلس السابع من مجالس شرح حديث جبريل الطَّيِّلَا، وهو كما قال النبي على العَلِيَّلَا، وهو كما قال النبي على أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينكُمْ».

ووقفنا على الإيهان بالكتب وذكرنا بعض المسائل في ذلك، ومن هذه المسائل المتعلقة بالكتب ما يتعلق بكتاب الله جل وعلا وهو القرآن الذي أنزله الله جل وعلا هدى ونور ورحمة للعباد وجعل فيه الشفاء، {وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ للمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِينَ إَلاَّ خَسَارًا} [الإسراء: ٨٢].

هذا الكتاب الذي هو كلام الله جل وعلا المتعبد بتلاوته المعجز بلفظه جعل الله على لله خصائص، فمن خصائص القرآن ما فيه من أخبار الغيبيات، جعل الله في في هذا القرآن من أنواع الغيب ثلاثة، الغيب في الأمور الماضية السابقة فيها يتعلق بخلق السهاوات والأرض وفيها يتعلق بقصص الأنبياء كآدم في وموسى وعيسى وإدريس وإبراهيم.

قال الله جل وعلا: {تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِين} [هود: ٤٩]، وقال جل وعلا في قصة موسى: {وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِين} [القصص: ٤٤] الله عَلَى يَبِر نبيه عَلَى عن أمر سابق.

وكذلك في قول الله على قصة مريم، {ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُغْتَصِمُون} [آل كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُغْتَصِمُون} [آل عمران: ٤٤]، وأخبر الله جل وعلا في هذا القرآن لنبيه على من أمور الغيب الحاضرة في زمنه التي لو لم يخبره ربنا جل وعلا ما علم عنها، النبي لله لا يعلم الغيب إلا بها أعلمه الله جل وعلا به.

قال الله على النبيه على النبيه على النبيه على من يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ الله عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَام} [البقرة: ٢٠٤]، أليس هذا الأمر غيبي عن النبي على؟

أيضًا من خصيصة القرآن في أمر الغيبيات أنه يخبر عن أمر مستقبلي، قال الله جل

وعلا: {غُلِبَتِ الرُّوم \* فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُون} [الروم: ٢]، هذا أمر غيبي، وكذلك ما وعد الله جل وعلا به نبيه هذا أمر غيبي، وكذلك ما وعد الله جل وعلا به نبيه في الله وَلَوْ مَلَقَ الله وَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحُقِّ لَتَدْخُلُنَّ المُسْجِدَ الْحُرَامَ إِن شَاء الله آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ} [الفتح: ٢٧].

ثم أيضًا ما أخبر الله على به من حديث أهل الجنة ومن حديث أهل النار ومن كلام أهل الإيهان يوم القيامة، وهذا كله من أمور الغيبيات، إذًا جاء في القرآن الأمر الغيبي الماضي والغيبي الحاضر في زمنه والغيبي الذي في المستقبل سواء في مستقبل الدنيا أو في الآخرة.

ثم كذلك من خصائص القرآن أنه معجز بلفظه، القرآن نزل على عرب أقحاح، أليس كذلك؟ على عرب أقحاح من أهل الأدب والشعر والبلاغة، كانوا يكتبون القصائد التي تدون تاريخهم كما يقال الشعر ديوان العرب، فكتبوا التاريخ وأسماء القبائل والأوصاف للبلدان وأسماء الأكابر في أزمانهم ونحو ذلك.

نزل هذا القرآن على قوم فصحاء بلغاء، لكن الله جل وعلا تحداهم بهذا القرآن أن يأتوا بمثله، {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء: ٨٨]، يعني مساعدًا ومعاونًا وعضيدًا لا يأتون بمثل هذا القرآن، لا يأتون بعشر آيات منه، لا يأتون بسورة من مثل سور

القرآن.

فهذا الكتاب العزيز معجز بلفظه، معجز بمعانيه، معجز ببلاغته، معجز بأحكامه وشرائعه، كله من تفضيل الله على لهذا الأمة ومن إكرامها.

وعلى هذا فما ينبه له أنه لا ينبغي التكلف في إنزال النظريات الحديثة والبحث عن آية من القرآن تدل عليها؛ لأن النظريات الحديثة ألا يمكن أن تنقض بنظريات أخرى؟ يمكن، فمن التكلف لي أعناق القرآن الكريم للدلالة على الاكتشافات العصرية، هناك أمور واضحة أخبرنا عنها النبي في ودلالتها في القرآن ظاهرة كإنبات الأرض وخروج الزروع والثهار ونحو ذلك.

لكن ما يحاول البعض به أن يدلل على كل مخترع أنه موجود في آيات القرآن فلا شك أن هذا فيه نوع تحكم وتكلف، ونحن في ديننا لا نكلف بهذا الأمر؛ لأن ما المطلوب من الإنسان مع القرآن؟ ثلاثة أمور، أنت في تعبدك لله جل وعلا بكتابه ثلاثة أمور:

الأمر الأول: فتلاوته وحفظه.

وأما الأمر الثاني: فمعرفة تفسيره ومعانيه، {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالْهُا} [محمد:٢٤].

الأمر الثالث: الامتثال للأوامر كما قال ابن مسعود عليه: إذا سمعت يا أيها الذين

آمنوا فأرع لها سمعك، فإما أمر تؤمر به وإما نهي تنهى عنه، هذا الذي يجب علينا مع القرآن، وهذه هي الأوجه الثلاثة التي ذكرها العلماء في القرآن الكريم.

كذلك من خصائص القرآن تعدد أسهائه وصفاته، القاعدة في هذا أن الشيء إذا تعددت أسهاءه وصفاته دل على مكانته وأهميته، يقول الفيروز أبادي وهو من علهاء اللغة: اعلم أن كثرة الأسهاء تدل على شرف المسمى، ولذلك الله جل وعلا له الأسهاء الكثيرة الحسنى، إن لله تسعة وتسعين اسها من أحصاها دخل الجنة، وفي الحديث: «نسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحد من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك» فلله جل وعلا الأسهاء الحسنى والصفات العلا، وهذا دليل على شرف المسمى بهال والموصوف بها جل وعلا.

أوصل بعضهم أسماء القرآن إلى مائة اسم، وبعضهم أقل من ذلك، وهذه الأسماء موجودة في القرآن، من ذلك التنزيل والكتاب والحق والتذكرة والهدى والتبيان والمفصل والحديث والرحمة والنور، أسماء وصفات كثيرة للقرآن تدل على مكانته ومنزلته، هو كلام الله جل وعلا.

أيضًا من خصائص القرآن أنه يشفع لأهله، خص الله جل وعلا هذه الكتاب عن غيره من الكتب أن المتمسك به التالي له الحريص عليه بحرصه وبتلاوته يكون القرآن شفيعا له يوم القيامة، جاء من حديث أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله عليه

يقول: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين، البقرة وسورة آل عمران فإنها تأتيان يوم القيامة كأنها غهامتان أو كأنها غيايتان أو كأنها فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابها». لا شك أن هذا من رحمة الله على بهذه الأمة ومن عنايته بها أن جعل لها مثل هذه الفضائل.

وجاء أيضًا من حديث ابن عمرو في أن النبي قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه قال: فيشفعان» نعمة عظيمة ومنة جليلة من الله في ولا سيها في مثل هذا الشهر شهر القرآن، {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} [البقرة:١٨٥]. يجتمع لك في هذا الشهر عدة عبادات، ومن ذلك ما يجعلها الله جل وعلا سببا للشفاعة لك، قراءة القرآن والصيام.

وجاء أيضًا في الحديث أن النبي على قال: «يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن يا رب حل له قال فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول يا رب زده فليلبس حلة الكرامة، ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضى عنه فيقال له اقرأ وارق ورتل» وفي رواية: وتزاد بكل آية حسنة.

لا شك أن المغبون من ترك مثل هذه الفضائل العظيمة وهي أعمال يسيرة لكن

جزاءها عند الله كبير وعظيم.

أيضًا من خصائص هذا القرآن أن العبد يتعبد لله على بتلاوته، وهذا من خصائص القرآن التي يفارق بها بقية الكلام سواء كان من الحديث النبوي أو من الآثار أو من كلام الحكماء، أما القرآن وأنت تتلوه تتعبد لله جل وعلا بهذه التلاوة وتجازى عليها، يقول النبي على «بكل حرف حسنة، لا أقل ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف».

ولذلك الله جل وعلا أمر نبيه ﷺ بالتعبد له بتلاوة القرآن، {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ \* قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا \* أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا \* أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا \* أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا \* إِلَّا قَلِيلًا \* إِلَّا قَلِيلًا \* إِلَا قَلِيلًا \* إِلَّا قَلِيلًا \* إِلَّا قَلِيلًا \* إِلَّا قَلِيلًا \* إِلَّا قَلِيلًا \* أَوْ نِهُ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا اللهُ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُورُانَ تَرْتِيلًا اللهُ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ النَّوْمِ اللهُ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ النَّوْمِ اللهُ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ اللهُ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ النَّوْمِ اللهُ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ النَّوْمِ اللهُ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ اللهُ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُورُانَ تَرْتِيلًا عَلِيلًا عَلَيْهِ وَرَتِّلِ اللّهُ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ اللهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ وَكُولُولُولُولُولُتُهِ اللّهُ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْعُلْولُولُ اللّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْعُلُولُ اللهُ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ وَتِيلًا عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْكُولُ اللّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ

كذلك من خصائص هذا الكتاب العزيز أن الله جل وعلا تكفل بحفظه، {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُون} [الحجر: ٩]، وهيأ الله جل وعلا لذلك أسباب من حفظه في صدور الرجال ومن حفظه في سطور هذه المصاحف، هذا كله من حفظ الله جل وعلا لهذا الكتاب، ولذلك لا يمكن أن تختلف ألفاظه على تباعد بلدان المسلمين واختلاف لهجاتهم وألوانهم ولغاتهم، القرآن واحد من حفظ الله جل وعلا له ومن عناية الله هما .

وكان من حفظ الله جل وعلا لهذا القرآن ما فعله الخليفة الراشد أبو بكر الصديق

ه حين جمع القرآن الجمع الأول ثم تهيئة الله جل وعلا بأن جمع عثمان الجمع الثاني، كلاهما جمع القرآن، لكن السبب كان مختلفا، فجمع أبي بكر بسبب ما حصل من موت الحفظة، وجمع عثمان بسبب ما حصل من الاختلاف، فجمعهم على مصحف واحد، فكان هذا الجمع سواء الأول أو الثاني أيضًا من تيسير الله جل وعلا لحفظ كتابه.

ثم أيضًا من خصائص هذا الكتاب أنه آخر الكتب المنزلة، قال الله جل وعلا في وصف نبيه ﷺ: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف:١٥٨]، فالنبي ﷺ رسول إلى جميع الناس، وكان النبي يرسل إلى قومه خاصة وأرسل النبي ﷺ إلى الناس عامة، ولذلك هذا الكتاب جعله الله ﷺ خاتما لجميع الكتب السابقة ومهيمنا عليها كها قال ربنا جل وعلا: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحُقِّ مُصَدِّقًا لمّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} [المائدة:٤٨].

ما معنى مهيمنًا عليه؟

قال أهل العلم: المهيمن هو الأمين عليها، الشاهد على أنها حق من عند الله على وجعل الله على العباد ما لم وجعل الله على التيسير وجعل فيه من الشرائع السهلة اليسيرة على العباد ما لم يجعل فيها قبله، وهذا أيضًا من تيسير الله جل وعلا، ولذلك كان الاتفاق من علماء الأمة على أن هذا القرآن هو خاتم الكتب وأنه لا يجوز للإنسان أن يعمل بشيء من الكتب بعد نزول القرآن، أن الله جل وعلا جعله هداية للبشرية جمعاء.

ما الواجب تجاه القرآن أو كيف يستطيع العبد أن يحرص على معرفة وتدبر القرآن؟

هذا من الأمور المهمة؛ لأن من الغفلة التي تحصل أن الإنسان يتلو القرآن وهو بعيد عن تدبر معانيه، تدبر مطلوبه، أفلا يتدبرون القرآن، قال أهل العلم: من أعظم أسباب التدبر معرفة الله على وتعظيمه؛ لأن القرآن كلام الله جل وعلا، والله على أمر بترتيله.

ما هو الترتيل؟

قال أهل العلم: هو التمهل وعدم الإسراع فيه، وربها من الأمور التي ينتبه لها لا سيها في هذا الشهر أن كثير من الناس ربها يحرص على كثرة الختهات أكثر من حرصه على التدبر، ولو جمع بين الحسنيين لكان أفضل، يقرأ القرآن بتمهل، يقف عند الآيات،

يتدبر في كلام الله على الله على الله على القصص، ما فيها من الأمثال، ما فيها من المعاني، ما فيها من تدبر شرائعه وحدوده وفرائضه، وكذلك الحرص على أن يعدد الختات كما ورد عن سلف هذه الأمة.

فالنبي على كانت تلاوته ترتيلا، تقول حفصة على: "ما رأيت رسول الله على صلى في سبحته سبحته قاعدا"، يعني في النافلة، حتى كان قبل وفاته بعام، فكان يصلي في سبحته قاعدا جالسا، وكان يقرأ بالسورة فيرتلها، قالت: حتى تكون أطول من أطول منها، من الترتيل والتأني فيها كأنها تطول.

وسئل أنس شخادم رسول الله عن قراءة نبينا شفال: كانت مدا، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، والله الرحمن ويمد بالرحيم، وسئلت أم سلمة، لنا أن نتأمل هنا يُسأل أنس، تُسأل أم سلمة، هذا دليل على الحرص على اتباع رسول الله شف فيسألون، وهذا الذي ينبغي على الإنسان أن يسأل عن سنة النبي شختى يحقق الاتباع.

{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَالله غَفُورٌ وَرَحِيم } [آل عمران: ٣١]، فقالت على كان يقطع قراءته آية آية، نعم، هنا يجوز للإنسان إذا كان في مراجعة مثلا أو يقرأ على شيخ يعرض عليه قراءته فتجوز قراءة الحدر، لكن نحن نتكلم عما يعين على التدبر القرآن لا شك التأني والتمهل في ذلك.

وقال الله جل وعلا: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيهَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ هُمُ الأَمْنُ وَهُم مُهْتَدُون} [الأنعام: ٨٦]، النبي في فسرها بآية أخرى، قال هي قول العبد الصالح {وَإِذْ قَالَ لُقْهَانُ لابْنِهِ وَهُو يَعِظُهُ يَا بُنَيَ لاَ تُشْرِكُ بِالله إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم} لاَ تُشْرِكُ بِالله إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم} [لقهان: ١٣]، إذًا المراد بقول الله جل وعلا: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيهَانَهُم بِظُلْمٍ} لم يلبسوا إيهانهم بشرك.

ثم تفسير أيضًا القرآن بالسنة، فالنبي على سنته كلها تفسير للقرآن، أليس كذلك؟ بين مجمله وقيد مطلقه وخصص عامه وفسر لفظه، قول الله جل وعلا: وأقيموا الصلاة، ما هي الصلاة؟ من الذي بين فروضها وأركانها وسننها؟ النبي على بل إن النبي في فسر حتى بعض ألفاظ القرآن، قال الله جل وعلا: {وَأَعِدُّواْ هُمُ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ} [الأنفال: ٢٠]. قال النبي على "ألا إن القوة الرمي".

كذلك ننظر في تفسير الصحابة للقرآن، في تفسير التابعين، فما سطره العلماء في

كتب التفسير والتي من أفضلها وأجلها تفسير ابن جرير الطبري رحمه الله، وهو الجامع لآثار الصحابة والتابعين في تفسير القرآن وهذه ميزة عظيمة في تفسير ابن جرير الطبري، وغيره له ميزة في جمع كل ما قيل في التفسير، ككتاب زاد المسير لابن الجوزي، فإن من ميزته أنه جمع جميع الأقوال في الآية.

فينظر من أراد أن يتدبر القرآن ينظر في تفسيره؛ لأن مما يساعدك على التدبر معرفة معاني الألفاظ، ثم أيضًا مما ذكره أهل العلم مما يعين على تدبر القرآن تحسين الصوت في تلاوته، وهذا جاء الأمر به في السنة في مثل قول النبي في «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» وهو بإقامة ألفاظه وبإقامة أحكام التجويد فيه، ولا شك أن هذا مما يعين على تدبر كتاب الله جل وعلا.

أيضًا من المسائل التي تتعلق بكتاب الله على أن الله على من عنايته بهذا الكتاب جعل في أحكامه اليسر والسهولة، قال الله جل وعلا: { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالمُعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ اللَّمِّ الْفَيْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ اللَّمْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ اللَّمْرَهُمْ وَالأَغْلاَلُ عَنِ اللَّهُ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلُ التِّي كَانَتْ عَلَيْهِمْ } [الأعراف:١٥٧].

إذًا كان من هدي هذا القرآن أن الله عَلَى رفع ما كان من الآصار والأغلال السابقة التي كانت على الأمم، الله جل وعلا قال: {يُرِيدُ الله بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}

[البقرة:١٨٥].

من المسائل التي دل عليها حديث جبريل وهو الركن الرابع: الإيهان بالرسل، ولا شك أن الإيهان بالرسل ركن من أركان الإيهان وهو أصل عظيم وواجب من واجبات الدين أمر الله جل وعلا به وبين خطورة من لم يعتقد بالإيهان بهذا الركن، قال الله جل وعلا: {آمَنَ الرَّسُولُ بِهَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِالله وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ} [البقرة: ٢٨٥].

وقال الله جل وعلا: {إِنَّ الَّذِينَ يَكُفُرُونَ بِالله وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ الله وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا \* وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكُفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا \* وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤُمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكُفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا \* أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًا وَأَعْتَدُنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا } [النساء: ١٥١-١٥١].

الإيهان بالرسل من أعظم أركان الإيهان، ولذلك كان من دعاء النبي في صلاة الليل: «اللهم لك الحمد أن نور السهاوات والأرض ولك الحمد، أنت قيوم السهاوات والأرض ولك الحمد، أنت الحق ووعدك والأرض ولك الحمد، أنت الحق ووعدك حق وقولك الحمد، أنت الحق والجنة والنار حق والنبيون حق» فالإيهان بالأنبياء والرسل هذا من أركان الإيهان العظيمة، ولذلك الله جل وعلا جعل الصلة بين الإيهان به والإيهان برسله، إن الذين يكفرون بالله ورسله.

فمن كفر برسول واحد لم يكن مؤمنا بالله جل وعلا لأنه مكذب للقرآن، ولذلك

أهل الإسلام يؤمنون بجميع الرسل ممن ذكر الله جل وعلا في كتابه وممن لم يذكرهم، رسلا قصصناهم عليك ورسلا لم نقصصهم عليك، نؤمن بالجميع وأن الله جل وعلا اصطفاهم، وأنهم يتفاضلون في المنزلة والمكانة.

الإيهان بالأنبياء والرسل يدعونا إلى التعريف بهم، فمن هو النبي ومن هو الرسول؟ وهل هناك فرق بين النبي والرسول؟

جاءت النصوص الشرعية بالدلالة على الفرق بين النبي والرسول في قول الله جل وعلا: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي، وكذلك في الأحاديث، فالنبي على قال عن آدم نبي مكلم، وقال عن نوح أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض، فدل على أن هناك معنى للنبى وهناك معنى للرسول.

ولذلك قال النبي في حديث البراء قال في الدعاء: ونبيك الذي أرسلت، فقال الصحابي عندما أعاد الحديث: ورسوله الذي أرسلت، قال له النبي في ونبيك الذي أرسلت، إذًا هناك فرق بين النبي والرسول، فما الفرق بينهما؟ قال أهل العلم: النبي هو الذي نبأه الله جل وعلا بشرع إلى قوم موافقين، لم يأت إلى قوم موافقين له في الدين، وإنها جاء إلى قوم موافقين.

وهل النبي يؤمر بالبلاغ أو لا؟

بعض أهل العلم يقول النبي من أمر بشريعة أو أوحي إليه بشريعة ولم يؤمر

بالتبليغ، وقيل النبي يؤمر بالشريعة ويؤمر بالتبليغ لكن إلى قوم موافقين، ما الدليل أنه يؤمر بالتبليغ؟

قالوا: لأن الله جل قال: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيّ } [الحج: ٥٦]. إذًا الإرسال فيه التبليغ للشريعة، فكون الله جل وعلا يرسل نبيا يبلغ الشريعة، ثم ما جاء في الحديث أن النبي شقال: «وعُرضت على الأمم فرأيت النبي ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان والنبي ومعه الرهط وهو ما بين الثلاثة إلى التسعة، والنبي وليس معه أحد» هؤلاء الأنبياء الذين أخبر النبي أنه رآهم هل بلغوا عن الله جل وعلا؟ نعم، لكن منهم من لم يتبع، ليس لتقصير منه ولكن لإعراض عن القوم الذي أرسل فيهم، وهذا فيه تسلية للعباد وللدعاة إلى الله جل وعلا، في أن الإنسان لا يقول الناس لا يقبلون على العلم، الناس لا يستجيبون، مع أن هذا التصور خاطئ، فلا يجوز للإنسان أن يقول الناس بعيدون عن الدين، هذه الإطلاقات غير صحيحة.

ولذلك جاء في الحديث: «من قال هَلَكَ الناس فهو أهلكُهم» فلا يجوز لإنسان أن ينظر هذه النظرة التشاؤمية في المجتمعات، فلا زال الخير في أمة محمد على موجودا حتى تقوم الساعة، إذًا الرسول هو الذي أرسل إلى قوم مخالفين، جاء بشريعة جديدة، هل يجتمع الأنبياء؟ قد يجتمعون في وقت واحد؟ نعم، ألم يجتمع إبراهيم السلا في زمن لوط؟ قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مسرفين إلى قوم لوط، هذا كان في زمن إبراهيم، إنا

أرسلنا إلى قوم مجرمين. فإذًا قد يجتمع الأنبياء في وقت واحد.

كان النبي فيما سبق والرسول يرسل إلى قومه خاصة، إذًا هذا قد يرسل إلى قومه وهذا يرسل إلى قومه وهذا يرسل إلى قومه في زمن واحد، لكن النبي في أرسل للناس كافة، لذلك هو خاتم الأنساء في .

نؤمن بالأنبياء والرسل إيهانا مجملا بأن الله جل وعلا بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادته وحده لا شريك له كها قال ربنا جل وعلا: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ يَدعوهم إلى عبادته وحده لا شريك له كها قال ربنا جل وعلا: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ الله وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ } [النحل: ٣٦] وهؤلاء الرسل لا يحصيهم إلا الله جل وعلا، أرسل الله جل وعلا معهم الشرائع فيها هداية للبشرية وإصلاحا لأحوالهم، فبلغوا عليهم الصلاة والسلام ما أمرهم الله على بتبليغه، فنؤمن بذلك.

هم بشر لكن الله جل وعلا اصطفاهم بالوحي كها قال نبينا على: قل إني بشر مثلكم، ما الفرق بيني وبينكم؟

يُوحى إلي، اصطفاه الله جل وعلا بالرسالة.

وأما الإيهان المفصل فنؤمن بكل من سمى الله جل وعلا من أنبيائه ورسله إيهانًا مفصلا بنحو ما جاءت به النصوص الشرعية من أسهائهم وأخبارهم وأحوالهم وقصصهم مع أقوامهم ونحو ذلك، والله جل وعلا ذكر لنا أسهاء للرسل وللأنبياء في

القرآن.

{وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيم عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيم وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاً هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمانَ لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاً هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي اللَّحْسِنِين} [الأنعام: ٨٣] الآيات.

وقال: وإلى ثمود أخاهم صالحا، وإلى عاد أخاهم هودا، فنؤمن بالتفصيل، وممن ذكر الله على السمه في كتابه النبي الله على الْكُفَّارِ وَمُنَاء بَيْنَهُمْ الله عَلَى الْكُفَّارِ وَمُمَاء بَيْنَهُمْ الله عَلَى الله عَلَى الْكُفَّارِ وَمُمَاء بَيْنَهُمْ [الفتح: ٢٩].

وكذلك نؤمن بها اصطفى الله جل وعلا بعض الرسل على بعض، اصطفى الله جل وعلا جل وعلا إبراهيم بأن جعله خليله، واتخذ الله إبراهيم خليلا، وبتكليم الله جل وعلا لموسى، وكلم الله موسى تكليه، وبها سخر الله على لبعض أنبيائه، كها قال كا وسنح وسنح د الله على ا

هذا كله نؤمن به على وجه التفصيل، كل اسم من أسماء الرسل، من أسماء الأنبياء، من أخبارهم، من قصصهم، من أقوالهم التي ذكرها الله جل وعلا في كتابه نؤمن بذلك على وجه التفصيل.

هل يجب علينا شيء تجاه الأنبياء؟

نعم، نؤمن بهم جميعهم، وهذا الأمر الأول، نؤمن بجميع الأنبياء وأنهم مرسلون من ربهم جل وعلا، مبلغون عن الله على ما أمرهم بتبليغه، وكذلك المولاة لهم، ما معنى الموالاة؟ المحبة، من معاني المولاة المحبة لهم، فنحن أهل الإسلام نؤمن بعيسى وموسى وإدريس ونحبهم، نحب أنبياء الله على الله على قال: {وَمَن يَتُولَ الله وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْغَالِبُون} [المائدة:٥٦].

فنؤمن بهم ونتولاهم ونعتقد فضلهم على غيرهم من الناس، الله جل وعلا فضلهم على الناس، الله جل الفضل فضلهم على الناس، اصطفاهم بالرسالات، اصطفاهم بالشرائع، فنؤمن بهذا الفضل الذي فضلهم الله عَلَى لأن هذا اصطفاء من الله عَلَى كما قال ربنا عَلَى: {الله يَصْطَفِي مِنَ الله عَلَى وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ الله سَمِيعُ بَصِيرٍ} [الحج: ٧٥].

كذلك نعتقد أنهم يتفاضلون فيها بينهم كها قال ربنا جل وعلا: تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض، إذًا هذا تفضيل من الله جل وعلا، لكن لا يجوز للإنسان أن يفاضل بين الأنبياء بجهل، أو بظن، لا تكون المفاضلة إلا بها بينه الله على من أمر المفاضلة.

كذلك الصلاة على الأنبياء، الله جل وعلا صلى عليهم وسلم عليهم، قال: سلام على نوح في العالمين، سلام على إبراهيم، سلام على موسى وهارون، وهو تسليم من

الله عجلًا لهم، وحفظ لهم والعناية لهم بالسلامة.

ومن هذا التفاضل أن الله على اصطفى من الرسل فجعلهم أولي العزم من الرسل، الله على قال: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف: ٣٥] من هم أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف: ٣٥] من هم أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ؟ بعض أهل العلم نظر إلى الأوصاف وبعضهم نظر إلى الأسماء، والراجح في أولي العزم من الرسل أنهم خمسة وهم إبراهيم وموسى وعيسى ونوح ونبينا على خمسة.

ما الدلائل على هذه الخمسة؟

عندنا في الدلائل على هذه الخمسة أربعة أدلة، أما الدليل الأول فقول الله جل وعلا: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النّبِيِّنَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْ النّبِيِّيلَ عَلْطًا} [الأحزاب:٧] ذكروا هنا الخمسة، قال: ومنك، أي النبي على وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ.

الدليل الآخر قول الله جل وعلا: {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى} [الشورى: ١٣] فذكر الخمسة، قد يقول القائل: ذكر هذه الخمسة قد لا يدل على الاصطفاء أو أنهم أولي العزم من الرسل نصا.

نقول لا، جاء ما يؤيد ذلك من قول ابن عباس عباس الله قال: أولو العزم من الرسل

النبي الله ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وهذا القول من ابن عباس الله ليس من النبي الله ونوح وإبراهيم وموسى الاجتهاد؛ لأن هذا أمر غيبي.

قال أهل العلم أيضًا: ومما يدل على هذا أن النبي شقال كما في الحديث الذي أخرجه البزار والحاكم وغيرهم قال: خيار ولد آدم أو الحديث موقوف على أبي هريرة «خيار ولد آدم خمسة» والخيار هو المصطفين، نوح وإبراهيم وعيسى وموسى ومحمد شي، فهذه جملة الخمسة الذين اصطفاهم الله جل وعلا فجعلهم من أولي العزم من الرسل

## الدرس الثامن:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليها كثيرا.

أما بعد ...

فهذا هو المجلس الثامن من مجالس شرح حديث جبريل الطويل، قد سبق أن بدأنا الكلام في المجلس السابق عن الإيهان بالرسل، وذكرنا بعض المسائل منها الإيهان بهم جملة وتفصيلا والإيهان بتفاضلهم ومن هم أولي العزم من الرسل.

ومن المسائل التي تذكر في الإيهان بالرسل ما يتعلق بنبينا هي، فنبينا هي كها سبق ذكر ذلك وهو من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة أنه خاتم الأنبياء والرسل هي وأن الله هي ختم به الرسالة وأن شريعته هي خاتمة الشرائع ودينه هو خاتم الأديان.

ومن الأمور المتعلقة بنبينا الله الكلام عن خصائصه الله وما ميزه الله الله عن غيره، ومن أعظم خصائصه الله الله جل وعلا أخذ الميثاق على الأنباء أن يؤمنوا به الله كما قال ربنا جل وعلا: {وَإِذْ أَخَذَ الله مِيثَاقَ النّبِيّنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِمَّا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَ بِهِ وَلتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَاقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَا مَعَكُم مِّن الشَّاهِدِين} [آل عمران: ٨١].

الشاهد من الآية هو قوله جل وعلا: {ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِمَّا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ}.

وكذلك من خصائصه الله جل وعلا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وقد دل على هذا أحاديث كثيرة.

فلو قال قائل: ما الدليل أن هذا لم يحصل لمن قبل من الأنبياء؟

استدل أهل العلم بأن ما من نبي من الأنبياء في الشفاعة، يُطلب منه أمر الشفاعة إلا يقول: نفسي نفسي، وبعضهم يذكر خطيئته إلا النبي على فإنه يقول: أنا لها.

كذلك من خصائصه على عموم رسالته لكافة الثقلين من الجن والإنس، قال الله جل وعلا: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالِمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان: ١] فهو على مرسل من ربه على للناس كافة، وكها جاء في الحديث: «وكان النبي يُرسل إلى قومه خاصة وأرسلت إلى الناس عامة».

كذلك من خصائصه إيثاره أمته على نفسه، الله جل وعلا أعطى للأنبياء دعاء يستجيب لهم فيها، فكل نبي تعجل دعوته إلا النبي في فإنه جعل دعوته لأمته يشفع لها، قال في: «إن لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئًا»، إذًا كذلك من خصائصه في أنه جعل هذه الدعوة لأمته، وهذا من رحمته في بهذه الأمة ومن عنايته بها.

أيضًا من خصائصه و أنه خام النبيين، قال جل وعلا: {مَّا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَا أَحَدٍ مِّن رَّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ الله وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الأحزاب: ٤٠]، وجاء في الحديث أن النبي و قال: «وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي».

من خصائصه و أن الله جل وعلا أيده بأعظم معجزة وهو القرآن، ومن خصائصه هذه المعجزة أنها مستمرة إلى يوم القيامة، بخلاف المعجزات التي أعطيت للأنبياء فإنها انقضت، معجزة القرآن معجزة دائمة إلى أن يرفعه الله جل وعلا، فأيده الله جل وعلا بأعظم معجزة وهي القرآن.

وقد جاء في الحديث بعد أن يذهب الناس إلى آدم وإلى نوح، قال: «فيأتيني فأنطلق فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع محمد، قل يسمع وسل تعط واشفع تشفع، قال: فأحمد ربي بمحامد علمنيها ثم أشفع»، وفي رواية قال: "فأحمد ربي بمحامد لا أعلمها الآن".

ثم كذلك من خصائصه وأنه صاحب الوسيلة وهي درجة عالية في الجنة، جاء الدليل على هذا الأمر في قوله والله الترداد خلف المؤذن قال بعد أن يقول ما يقول المؤذن قال: «ثم صلوا على فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرة ثم سلوا الله في الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو» هذه الوسيلة منزلة عظيمة في الجنة هي من خصائصه .

هذه الخصائص التي ذكرت أكثرها خصائص تفضيلية، الخصائص على قسمين؟

- خصائص تشريعية فيما يتعلق بشريعته من التيسير ومن البعد عن التكلف والتعسير ونحو ذلك
  - وخصائص تفضيلية تدل على فضله وعلى فضل أمته، أمة الإسلام.

ثم كذلك من الأمور المهمة التي ينبغي أن نعلمها أن التصديق للنبي بي بأنه خاتم النبيي وخاتم الرسل، بأنه أفضل الخلق، بأنه مرسل من ربه جل وعلا، هذا التصديق يتضمن أمرين؛

- الأمر الأول: إثبات نبوته.
- والأمر الثاني: التصديق فيها جاء به.

شيء يتعلق به على وهو إثبات النبوة، وشيء يتعلق بها جاء به وهو تصديق ما جاء

به من الوحي.

أما ما يتعلق بإثبات نبوته في فهذا يتضمن أمورًا عدة منها عموم الرسالة، وأنه خاتم النبيين، وأن هذه الرسالة ناسخة لما قبلها، وأنه بلغ ما أنزل إليه من ربه، وأنه معصوم فيها بلغ عن الله جل وعلا، وأن له على أمته حقوقا، هذا فيها يتعلق بإثبات نبوته في .

أما ما يتعلق بتصديق ما جاء به من الوحي فإنه يتضمن التصديق بها سبق بالإخبار عما سبق والإخبار عما يأتي والعمل بالأوامر واجتناب النواهي واتباعه في في عبادة ربه، وهذه هي لوازم شهادة أن محمدا رسول الله، الائتمار بها أمر والانتهاء عما نهى والتصديق بها أخبر وألا يعبد الله إلا بها شرع في.

ما ذكرناه من الخصائص في جملة الفائدة من الخصائص أمران، ما فائدة أن تعرف أن هذه من خصائص النبي الله الله عله؟

الأمر الأول: جانب اعتقادي وهي أن تعتقد ما خصه الله جل وعلا به من الخصائص، أنه خاتم الرسل وخاتم الأنبياء، تفضيله على غيره من البشر وغير ذلك مما ذكر.

الأمر الثاني: ما ذكره أهل العلم من أنه لا يقتدى به فيها هو من خصائصه، لأننا عندما نقول هذه من خصائص النبي على معنى هذا أنه لا يجوز التأسي به على فيها، مثلا

من خصائصه الله يتزوج أكثر من أربع نسوة، فلا يقول قائل أنا أريد أن أقتدي بالنبي الله عنا الخصائص معناها أنه شيء خاص به الله فلا يجوز أن يتأسى به فيه، إنها التأسى فيها دون الخصائص.

يبقى من الأمور المتعلقة بنبينا على معرفة حقوقه على هذه الأمة، ما حقه على علينا؟ النبي على له حقوق كثيرة؛

من ذلك أن نؤمن به، قال الله جل وعلا: فآمنوا بالله ورسوله، نؤمن بالنبي هذا حقه علينا، ووجوب اعتقاد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة وأنه لم ينقص شيء ولم يبترك شيء مما أمره الله على بتبليغه.

ومن حقه علينا الله أن نحبه أكثر من حبنا لأبنائنا وأموالنا وأنفسنا، قال النبي الله النبي الله ومن حقه علينا الله أن نحبه أكثر من والده وولده والناس أجمعين».

وجاء في حديث عمر، قال النبي الله لعمر: «والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، قال: الآن يا عمر».

كيف يحب العبد نبيه علام العبد

بطاعته وباتباع أوامره وبالاقتداء بسنته، لأن ادعاء محبة النبي ﷺ ومخالفة أمره يكون هذا الادعاء ادعاء كاذبا، إن المحب لمن يحب مطيع.

محبة رسول الله على باتباعه والتمسك بهديه والعمل بسنته واقتفاء أثره والائتمار بأوامره وتصديق أخباره، هنا تثبت محبة النبي على ويصدق الادعاء، وإلا فإن الدعاوى إذا لم يقم عليها أصحابها بينات أصحابها أدعياء، إذاً ما في بينة على محبتك للنبي على فلا شك أن هذا يكون ادعاء.

وأنت شاركت الذين ينأون بأنفسهم ويعرضون عن سنة النبي على شاركتهم الجهد حينها أعرضت عن سنة نبيك على.

ثم أيضًا من الحقوق له رضي الله الله الله عن الخصائص المذكورة.

ومن حقه ﷺ علينا أن ننزله المنزلة التي أنزله الله ﷺ إياها من غير إفراط ولا تفريط، قال الله ﷺ أنَّا إِلَمْ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ تفريط، قال الله ﷺ إلَهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: ١١٠].

ثم من حقوقه علينا أن نصلي عليه، قال تعالى: {إِنَّ الله وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النبي النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيهًا } [الأحزاب:٥٦]، نصلي على النبي النبي نقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، هذه أكمل الصلوات الصلاة الإبراهيمية.

وهل الصلاة على النبي على واجبة كلما ذُكر أم واجبة مرة واحدة في العمر

### ويستحب في الباقي؟

الصواب أنها واجبة كلم أذُكر الله ولنا في ذلك دليلان:

أما الدليل الأول فإن النبي على يقول: «البخيل من ذُكرت عنده فلم يصل علي»، والدليل الآخر قوله على: «رغم أنف رجل ذُكرت عنده فلم يصل علي»، هذا دعاء عليه، فتجب الصلاة عليه على كلما ذكر.

تم ايضا من الامور التي ينبه عليها؛ عدم الاختصار في الكتابة فلا يقال النبي ص، ولا يقال النبي صلعم، وإنها يقال النبي صلى الله عليه وسلم.

وهل يجب الكتابة في ذكره؟

لا يجب، فلو أنك كتبت قال النبي وقلت بلسانك صلى الله عليه وسلم يكفي، وأكمل من ذلك أن تكتب الصلاة على النبي الله حتى يقرأها من ينظر فيها كتبت.

الصلاة على النبي على النبي الشريعة بالأمر بها، وجاءت في مواطن كثيرة، من مواطن الصلاة على النبي الله؟

آخر التشهد الأخير، وكذلك في صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية، فبعد التكبيرة الأولى فاتحة الكتاب والتكبيرة الثانية الصلاة الإبراهيمية.

وأيضًا من مواطن الصلاة على في الخطب في خطبة الجمعة.

ومن مواطن الصلاة عليه على بعد إجابة المؤذن كما تقدم معنا في الحديث، وتصلي على النبي على ثم تسأل الله على له الوسيلة.

ومن مواطن الصلاة على النبي ﷺ في آخر القنوت، وقد ورد في رواية فيها مقال عند بعض أهل العلم.

ومن مواطن الصلاة على النبي على حين الدعاء، قال عمر هو وورد معنا الحديث مرفوعا، قال عمر هو: "إن الدعاء موقوف بين السهاء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك الله على الله على الله على الله على النبي الله أو تختم دعاءك بالصلاة على النبي الله م أن دعاءك لا يفارق أمرين، الثناء على الله على

كذلك من مواطن الصلاة على النبي على في اجتماع الناس، إذا كنت في مجلس فإنه

وكذلك من مواطن الصلاة عليه على الصفا والمروة في السعي، فمن حقه على علينا أن نصلى عليه.

ثم كذلك من حقه على علينا أن نحب أصحابه وأن نحب أهل بيته وأن نحب أهل بيته وأن نحب أزواجه وأن نواليهم جميعا، وافترق في هذا الباب فرق، منهم من كفر جميع الصحابة إلا عدد يسير ثلاثة أو خمسة كالاثنا عشرية الرافضة، ومنهم من كفر آل البيت كالنواصب، وتوسط في ذلك أهل الاعتقاد الصحيح، أهل الوسطية، فأحبوا جميع أصحاب رسول الله و آل بيته وأزواجه وكل من ثبت له الصحة للنبي فهو أفضل ممن جاء بعده من التابعين، من ثبت له الصحبة فهي منقبة عظيمة، الله جل وعلا رضى عن صحابة نبيه.

{وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَمُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الله عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَمُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الله عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَ لَمُ الله جل وعلا فضلهم بذلك، والنبي على يقول: «خير الناس العظيم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»، خير القرون قرن النبي على هم الصحابة، الله جل وعلا اصطفى الصحابة وجعلهم وزراء لنبيه على.

فمن حق النبي على علينا أن نحب الصحابة، وألا يذكرون إلا بالجميل، وأن نتخير أحسن الألفاظ وأفضل الكلمات حينها نذكر الصحابة ، جميع الصحابة، ولا يجوز الطعن في صحابي واحد ولا في أمهات المؤمنين ولا في آل البيت، إن أهل السنة يعرفون للجميع فضلهم، والنبي على حث على محبة أصحابه وذكر فضلهم ومنع من الكلام عليهم، قال: «لا تسبوا أصحابي» وقال في أهل بيته: «أذكركم الله في آل بيتي» ومن آل بيته الله أزواجه أمهات المؤمنين.

ولذلك من يطعن الصحابة هذا إنها عنده خبيئة سوء؛ لأن الصحابة هم من نقلوا لنا الدين، ألسوا هم من نقلوا لنا الدين؟ بلغوا لنا السنة؟ نقولا لنا القرآن؟ هؤلاء شهودنا، أليس كذلك، فالطعن في هؤلاء الشهود طعن فيها جاءوا به، ولذلك قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: "إذا رأيت أحدا يذكر أحد من أصحاب النبي الله بسوء فاتهمه على الإسلام".

قال النبي على: «وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبين لا نبي بعدي» يدعون النبوة، ولا شك أن هؤلاء كذبة، فيجب بيان حالهم وعدم تصديقهم، فهذه من خصائصه على، وهو من إفضال الله على الله المنبياء والرسل.

من المسائل المتعلقة بالإيهان بالرسل: أولا: اعتقاد أن جميع الأنبياء ماتوا إلا عيسى الطّيّلا، الله على قال لنبيه على: {إِنّكَ مَيّتُ وَإِنّهُم مّيّتُون} [الزمر: ٣٠]، وقال جل وعلا: {أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ المُوْتُ} [البقرة: ١٣٣] أما عيسى فرفعه الله جل وعلا إليه، قال الله على: {إِذْ قَالَ الله يَا عِيسَى إِنّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ النّذِينَ كَفَرُواْ} [آل عمران: ٥٥] هذه من خصائص عيسى الطّي أن الله رفعه إليه.

اجتمع اليهود وظنوا أنهم قتلوه، وصلبوه، الله جل وعلا قال: {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبَّهَ لَمُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبَّهَ لَمُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اللهِ عَيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ الله وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبّهَ لَمُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ النَّينَ عَلَى اللهِ عَنْ عَلْمِ إِلاَّ اتَّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا} الْحَتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكِّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتَّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا}

[النساء:١٥٧].

ينزل في آخر الزمان، لكن هل ينزل وهو نبي يحكم بالإنجيل؟ لا، وإنها ينزل وهو يحكم بشريعته أيضًا نبي وهو يحكم بشريعته الإسلام، وهذا من فضائل نبينا في أنه يحكم بشريعته أيضًا نبي من الأنبياء، فعيسى في حي في السهاء لم يمت، وقد أخبر الله في أنه يموت قبل يوم القيامة بعد أن ينزل أخبر الله جل وعلا أن ذاك الوقت هو وقت موته كها قال ربنا في القيامة بعد أن ينزل أخبر الله جل وعلا أن ذاك الوقت هو وقت موته كها قال ربنا في القيامة يكونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا إلى النساء: ١٥٩].

فينزل ويضع الجزية كما جاء في السنة، ثم بعد ذلك يموت، فهذه من خصائص عيسى الله.

لكن من الأمور التي ذكرها أهل العلم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أحياء في قبورهم حياة برزخية، هم بالنسبة لأهل الدنيا أموات كما أخبر الله جل وعلا فيما ذكرنا من الآيات، أما عند الله جل وعلا فهم أحياء.

ومما يدل على هذا أن النبي على قال: «الأنبياء أحياءٌ في قبورهم يصلّون»، طيب يقول قائل: ما الفرق بينهم وبين عيسى، إذا قلنا أن حي الآن؟

عيسى حي بالنسبة لحياة أهل الدنيا، أما هم بالنسبة لحياة أهل الدنيا فهم أموات، يعني عيسى لم يمت، وإنها هم ماتوا، وتلك الحياة حياة برزخية، إذا كان الشهداء يقول

الله عنهم: {بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران:١٦٩] فمن باب أولى الأنبياء، ويدل على هذا قوله على: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلّون».

فالنبي الله والمعراء والمعراج، وما رآه الله والمعراج مصورة في الله الله الله الله الله المعلم العلم.

من المسائل التي نختم بها فيها يتعلق بالإيهان بالرسل: الإيهان بمعجزات الأنبياء، الله جل وعلا جعل للأنبياء معجزات، من معجزات موسى العصا، وكذلك اليد، تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى، ومن معجزات عيسى إحياء الموتى، قال الله جل وعلا: {وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِىءُ الأَكْمَة وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ المُوتَى بِإِذْنِي } [المائدة: ١١] هذه من المعجزات التي أعطاها لعيسى.

ومن معجزات نبي الله إبراهيم أنه ألقي في النار، {قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آهِتَكُمْ وَمن معجزات نبي الله إبراهيم أنه ألقي في النار، {قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آهِتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِين \* قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلاَمًا عَلَى إِبْرَاهِيم \* وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِين } [الأنبياء:٦٨ - ٧٠]، خرج من النار يمشى، هذه معجزة.

ومن معجزات نبينا على القرآن وهو أعظم القرآن، قال الله جل وعلا: {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّ لْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ الله إِنْ كُنتُمْ صَادِقِين} [البقرة: ٢٣].

وقال جل وعلا: {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنَّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء: ٨٨]، ومن معجزاته الله يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء: ٨٨]، ومن معجزاته الشقاق القمر، {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَر} [القمر: ١]، صار القمر شقين، في جهة ترى شق وفي الجهة الأخرى ترى الشق الآخر، هذا من المعجزات العظيمة.

وحادثة الإسراء والمعراج في ليلة أسري به إلى بيت المقدس، {سُبْحَانَ الَّذِي الْمُورِيَّةُ مِنْ أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ المُسْجِدِ الْحُرَامِ إِلَى المُسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ الْسُرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ المُسْجِدِ الْحُرَامِ إِلَى المُسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ الْأَحداث ايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِير} [الإسراء: ١]، والمعراج وما حصل فيه من الأحداث المعلومة، هذه هي معجزات الأنبياء نؤمن بها.

إذًا ما هي معجزات الأنبياء؟

هي أمر خارق للعادة، ليس من عادات البشر، أمر خارق للعادة يجري على أيدي الأنبياء للدلالة على صدقهم مع سلامة المعارضة، ما معنى سلامة المعارضة؟

يعني ما يفعله بعض الكهنة والسحرة من إظهار بعض الأمور، فإن هذه لا تسلم من المعارضة، يعارضها غيره من السحرة، لكن الله على تحداهم بالقرآن ما جاءوا بمثله، هل يستطيعون أن يشقوا القمر؟ أن ينبع الماء؟ أن يحن الجذع؟ هذه من خصائص النبي على.

إذًا هذه خوارق العادات إذا كانت مرتبطة بالأنبياء وجاءت على أيديهم فهي

معجزات، وإذا كانت على أيدي الأولياء من عباد الله الصالحين، من هو الولي: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء الله لاَ خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون \* الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَقُون } [يونس: ٢٦ - آوُلِيَاء الله لاَ خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون \* الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَقُون } [يونس: ٢٦ تنبهوا، كل من كان مؤمنًا تقيًا فهو لله وليا، ليس الولي الذي عنده شكل معين أو لبس معين أو سن معين، هذا ليس عليه دليل، كل من كان مؤمنا تقيا فهو لله وليا، وعنده من الولية بقدر ما عنده من الإيهان.

فهذا المؤمن إذا حصل له شيء من خوارق العادات؛ اصطلح أهل العلم على تسميتها بالكرامة، فلا يقال معجزة عند فلان وإنها يقال كرامة، وأما ما يحصل من خوارق العادات عند الأنبياء يسمى معجزات.

ما الفرق بين المعجزة والكرامة؟

المعجزة من النبي، والكرامة ممن هو دونه من أهل الإيمان.

وكذلك المعجزة دليل على عصمة النبي ، والكرامة لا تدل على عصمة صاحبها، والمعجزة تدل على صدق النبي وعلى وجوب اتباعه مطلقا، والكرامة لا تدل على تصديق هذا الولي أو على اتباعه مطلقا لأنه قد يخطئ ويهم ويعصي، إذًا لا بد أن نفرق بين المعجزات وبين الكرامات.

يقول قائل: فما هي خوارق العادات التي تصدر من غير أهل الصلاح؟ من السحرة والمشعوذين؟

هذه ليست كرامات فضلا عن أن تكون معجزات، هذه أعمال شيطانية وسحر وكذب وكهانة، وهي لا تدل على أن صاحبها مستقيم على دين الله على وشرعه، ولذلك سحرة فرعون قبل أن يؤمنوا كان عندهم هذا السحر قبل الإيمان.

والنبي على قال: اجتنبوا السبع الموبقات وذكر منها السحر، فمن يتعامل بالسحر والنبي على قال: اجتنبوا العادات كأن يدخل شيء من الحديد في جسده أو يطير في الهواء أو أن يمشي على الماء، هذه كلها لا تدل على أنه من أهل الدين والاستقامة وأهل الصلاح والخير، وإنها في غالب أحوالهم يستعينون بالجن والشياطين على ما يريدون، أما الكرامة فتكون من أهل الإيهان والتقوى.

هذه الكرامات حصلت للصحابة أسيد بن حضير كان يقرأ سورة الكهف فنزلت من السماء عليه مثل الظلة فيها أمثال السرج، قد جاء في الحديث أنها الملائكة نزلت لقراءته، ومما ذكر من الكرامات ما ذكر في كرامة خبيب بن عدي أنها فإنه كان أسيرا عند المشركين بمكة، وكان يؤتى بعنب يأكله ومكة ما فيها عنب، وهذا من الكرامات.

ومن الكرامات أن العلاء الحضرمي على مشى مع جيشه على البحر، هؤلاء أهل الإيهان وأهل التقوى، الذين آمنوا وكانوا يتقون، أعظم كرامة يعطاها العبد في هذه الدنيا أن يدون على استقامته على دين ربه، أعظم كرامة دوام الاستقامة، لأن الله جل

وعلا إذا وهب الإنسان الثبات على الدين فهذه من أعظم الكرامات التي يهبها لعبده، تدوم على الدين والاستقامة بفعل الطاعات وترك المنكرات وفعل المستحبات وترك المكروهات، هذه أعظم الكرامة التي يعطاها العبد.

إلا أن من المسائل التي تذكر هنا أن الكرامة تعطى للعبد ليس دليل على فضله على غيره وإنها دليل على حاجته لها، هو احتاج إلى هذه الكرامة في هذا الوقت فهي دليل على حاجته، ولذلك حصلت بعض الكرامات ربها لم تحصل لبعض الصحابة الذين هم أفضل ممن حصلت لهم هذه الكرامات.

وفي التابعين أيضًا أبو مسلم الخولاني، أُسر في جيش الأسود العنسي الذي ادعى النبوة، فأخذه وقيده ووضعه في النار، فلم تحرق منه إلا القيد الذي قيد به، هذه كرامة، وأبو مسلم الخولاني من خير التابعين فتحصل لهم مثل هذه الكرامة، نحن لا ننكر الكرامات، بل نثبت الكرامات، وكيف تنكر شيء واقع والنصوص تدل عليه، لكننا لا نثبت خوارق العادات التي من السحرة والمشعوذين ولا ندعي أنها كرامات، بل هي دليل على الزيغ والضلال، ما يحصل منهم من تلاعب بأعين الناس وبعقولهم وبالاستعانة بالشياطين، فلا شك أن هذه ليست من الكرامات.

إذًا شرط الكرامة أن يكون سببها الإيمان والتقوى، هذه ختام الكلام عن المسائل المتعلقة بالإيمان بالرسل.

### الدرس التاسع:

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليها كثيرا.

أما بعد ...

فهذا هو المجلس التاسع من شرح حديث جبريل عليه السلام، انتهينا في اللقاء السابق من ركن الإيمان بالرسل، وفي هذا اللقاء نبتدئ بالركن الخامس وهو الإيمان باليوم الآخر.

ما معنى الإيمان باليوم الآخر؟

الإيهان باليوم الآخر هو التصديق الجازم بوقوع ما أخبر الله جل وعلا عنه في كتابه أو أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم في سنته مما يكون بعد الموت، فيدخل في هذا الإيهان بعذاب القبر والإيهان بالموت نفسه وما يأتي بعد ذلك من النفخ في الصور وصحائف الإعهال والميزان والصراط وتفاصيل الحشر والحساب والنار والجنة إلى غير ذلك.

والإيهان باليوم الآخر له أثر على العبد، فمن آثار الإيهان باليوم الآخر على العبد: الرغبة في فعل الطاعات وترك المعاصى؛ لأن اليوم الآخر هو الذي يكون فيه الحساب،

ولذلك الله جل وعلا في كثير من الآيات قرن الإيهان باليوم الآخر بالإيهان به جل وعلا، فتجد بالله واليوم الآخر، وفي السنة كذلك، «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت». (۱)

قال أهل العلم: قَرَنَ النص بين الإيهان بالله جل وعلا مع الإيهان باليوم الآخر مع الإيهان بالله سواء في فعل الواجبات أو في ترك المحرمات؛ لأن فيه تنبيه أن من فعل هذا الواجب فإنه يجازى عليه في الآخرة، ومن فعل هذا المحرم فإنه يعذب عليه في الآخرة، كذلك مما ينتفع به المؤمن في إيهانه باليوم الآخر التسلية له عن المصائب، التسلية له عن المنعصات، التسلية له عن الهموم، فالمؤمن يبتلي في هذه الدنيا بأنواع البلاء، قد يبتلي في ماله، قد يبتلي في أهله، قد يبتلي في ولده، قد يبتلي في زوجه، قد يبتلي في عافيته.

فإذا تذكر اليوم الآخر تسلّى، وكان فيه تخفيف للآلام والمتاعب والمصاعب ولذلك الله جل وعلا قال: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَاب} [الزمر: ١٠]، تصبر على طاعة الله وتصبر عن معصية الله وتصبر على أقدار الله المؤلمة يجازيك الله جل وعلا يوم القيامة، ليست الحسنة بعشر أمثالها لا، أعظم من ذلك، بغير حساب، {إنَّمَا

\_

<sup>(</sup>١) متفق عليه :أخرجه البخاري حديث: ٠ ٨٦٥، وأخرجه مسلم حديث: ٩٢

# يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ }.

ومن الذي يُوفّيهم؟

رب العزة سبحانه وتعالى وفضله عميم، فهذا الركن من أركان الإيهان يعين العبد على إحسان الظن بربه وعلى الصبر على أقدار الله جل وعلا المؤلمة وعلى احتساب الأجر من الله سبحانه وتعالى.

وكذلك يسلّي المظلوم، إذا علم المظلوم أن هناك يوم يقتص الله جل وعلا فيه للشاة الجلحاء من الشاة القرناء أوْكل أمره إلى ربه سبحانه وتعالى وعلم أن الله جل وعلا لن يضيع حقه، فهذه من ثمرات الإيهان باليوم الآخر.

عظم الله جل وعلا شأن هذا اليوم ولذلك جاءت الكثير من التسميات لهذا اليوم في القرآن، سمّاه الله جل وعلا يوم القيامة، قال سبحانه وتعالى: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى فَي القرآن، سمّاه الله جل وعلا يوم القيامة، قال سبحانه وتعالى: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى اللَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى الله وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثُوًى لِلْمُتَكَبِّرِين} الله وعلا في تسميته له بيوم البعث، {وقالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ الله إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لاَ وَالرِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ الله إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُون} [الروم:٥٦].

وهو الساعة التي تقوم، {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَر} [القمر:١] يعني يوم القيامة، والله جل وعلا يسميه أحيانا بالآخرة، {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* وَالآخِرَةُ

خَيْرٌ وَأَبْقَى} [الأعلى:١٦-١٧]، ويُسمّيه يوم الدين، مالك يوم الدين، ويوم الحساب، كما قال ربنا جل وعلا: {وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتكبِّرٍ للسّاب، كما قال ربنا جل وعلا: {وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتكبِّرٍ لاَّيُؤْمِنُ بِيَوْم الْحِسَاب} [غافر:٢٧]

فهذه التسميات يوم التناد، يوم الحساب، يوم التلاق، يوم الخلود وغير ذلك من الأسهاء كُلُّها تدل على عظم هذا الركن، فالشيء كها سبق أن ذكرنا إذا كثرت أسهاءه وصفاته دل على أهميته وفضله، ولذلك الله جل وعلا اهتم بتقرير هذا الأمر إهتهامًا بالغًا، فربطه بالإيهان به، ولا تكاد تخلو سورة إما التصريح به وإما الإشارة إليه.

لاذا هذا الاهتمام؟

قد يقول قائل: نحن نؤمن باليوم الآخر، فلهاذا جاء هذا الاهتهام الكبير في تقرير مسألة الإيهان باليوم الآخر؟ كان لهذا أسباب، السبب الأول: أن المشركين أنكروا هذا الركن من أركان الإيهان، كانوا ينكرونه، {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّنْيَا الدَّنْيا فَمُ بِذَلِكَ مِنْ عِلْم إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّون} [الجاثية: ٢٤].

هذا من أسباب تقرير الله جل وعلا لهذا الركن العظيم، كذلك أنّ الإيهان باليوم الآخر مما يُعين العبد على الطاعة ويُقوّي صلته بالله جل وعلا، فيفعل الواجبات ويترك المنكرات ويحرص على الفضائل ويبتعد عن منقصات الإيهان، ومع ذكر الله جل وعلا لليوم الآخر ووجوب الإيهان به في آيات كثيرة إلا أنّه أيضًا من الأدلة التي ذكرها الله

جل وعلا في كتابه الأدلة العقلية على الإيمان باليوم الآخر.

فإذًا عندنا في الدلالة على الإيهان باليوم الآخر الأدلة الشرعية والأدلة العقلية، مثال الأدلة العقلية التنبيه إلى مسألة النشأة الأولى، قال الله جل وعلا: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ مثال الأدلة العقلية التنبيه إلى مسألة النشأة الأولى، قال الله جل وعلا: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ فَخَيْرِ مُحَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُحَلَّقَةٍ } [الحج:٥].

ما الإشكال في أن يعيدكم مرة أخرى؟

هو الذي خلقكم وجعل لكم مراحل في هذا الخلق، قال الله جل وعلا في ردِّ ادعاء بعض المشركين، {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيم الْمُثركين، {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِيها الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُو بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيم } [يس:٧٨-٧٩] إذًا هذا قياس على النشأة الأولى فكما أنّ الله جل وعلا أنشأ الإنسان فكذلك يعيد خلقه جل وعلا.

ثم كذلك الدليل العقلي الثاني الذي ذكره الله جل وعلا هو الواقع المشاهد من حال الأرض فقاس عليه أمر الآخرة، قال: وترى الأرض هامدة قاحلة جافة، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ما الفائدة من ضرب هذا المثل؟ قال: {ذَلِكَ بِأَنَّ الله هُوَ الْحُقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي المُوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير \* وَأَنَّ الله السَّاعَة آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ الله يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُور} [الحج: ٢-٧].

إذًا ذكر الله جل وعلا هذا الدليل وهو حال الأرض وقاس عليه أمر الآخرة، فهنا تقيس الأمر الغيبي على الأمر المشاهد، ثم أيضًا مما ذكره الله جل وعلا في البراهين على هذا الركن من البراهين العقلية قدرة الله جل وعلا، الله جل وعلا خلق الساوات والأرض والشجر والحجر والإنسان والملائكة، ما الذي يعجزه على أن يبعث الناس مرة أخرى؟ {أُولَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخُلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلاَقُ الْعَلِيم \* إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون} [يس: ٨١-٨٦].

ثم كذلك حكمة الله جل وعلا، خلق الله هذه الخليقة في هذه الدنيا منهم المؤمن ومنهم الكافر ومنهم الطائع ومنهم العاصي، فكيف هكذا الخلق كان عبثا؟ كيف يجازون؟ كيف يميز الله جل وعلا أهل الإيمان من غيرهم؟ كيف يكافئهم؟ قال ربنا جل وعلا: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّهَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُون \* فَتَعَالَى الله المُلِكُ الْحَوْقُ لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْش الْكَرِيم} [المؤمنون:١١٥] تعالى عن هذا الأمر.

وقال جل وعلا: {وَمَا خَلَقْنَا السَّهَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِين} [الدخان:٣٨] ما خلقناهما عبثًا، قال: {مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحُقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُون} [الدخان:٣٩].

لماذا سمي اليوم الآخر باليوم الآخر؟ قيل لأنه آخر الأيام، يعني ليس بعده يوم، بعده حياة سرمدية. من المسائل التي ذكرها أهل العلم فيها يتعلق باليوم الآخر، ذكروا مسألتين قبل الكلام عن البعث وما يكون بعده.

أما المسألة الأولى: فهو ما يكون قبل قيام الساعة من ذكر أشراط الساعة.

والمسألة الثانية: هي ما يتعلق بالقبر وما يكون فيه إثبات عذاب القبر، ونبدأ بالمسألة الثانية وهو ما يتعلق بعذاب القبر.

عذاب القبر والقبر قبل ذلك هو أول منازل الآخرة، وعذاب القبر ثابت في الكتاب والسنة والإجماع.

أمّا من الكتاب فقول الله جل وعلا: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر: ٦٤]، إذًا "يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا" فِي حياة البرزخ؛ لأنه قال: "وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ" يعني هناك عذاب آخر.

وكما قال الله جل وعلا: {وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُون} [الطور:٤٧]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: عذاب القبر قبل عذاب يوم القيامة.

ومما جاء في السنة من إثبات عذاب القبر قوله صلى الله عليه وسلم: «إن هذه الأمة تُبْتلي في قبورها» تمتحن، قال: «فلولا ألا تدافنوا لَدَعَوْتُ الله أن يسمعكم من

عذاب القبر الذي أسمع؛ لأن عذاب القبر لا يسمعه الإنس ولا الجن»، " يسمعه كل شيء حتى الحيوانات إلا الإنس والجن.

وجاء من حديث عائشة رضي الله عنها وأرضاها أن عجوزًا من يهود المدينة دخلت فقالت: إنّ أهل القبور يعذبون في قبورهم، قالت عائشة: فَكَذَّبْتُها، فجاء النبي عليه الصلاة والسلام فقالت يا رسول الله وحكت له الحكاية فقال النبي عليه الصلاة والسلام: صدقت، إنهم يعذبون عذابًا تسمعه البهائم، قالت عائشة فها رأيت أي النبي صلى الله عليه وسلم بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر.

وكان مما أمر به النبي عليه الصلاة والسلام قوله: تعوذوا بالله من عذاب القبر، ومرّ النبي صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال: «إنها ليعذبان وما يعذبان في كبير، يعني في نظر الناس هذا الشيء ليس كبير، قال: أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، يعني لا يحرص على ستر عورته، وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة». (")

إذًا عدم التستّر حال البول وفعل النميمة من أسباب عذاب القبر، ما هي النميمة؟ هي نقل الكلام بين الناس على وجه الإفساد، وهذا من الذنوب التي يتساهل فيها كثير من الناس، يأتي إليك وقد عافاك الله جل وعلا من هذا البلاء فيقول

.

<sup>(</sup>١) أخرجه مسلم حديث: ٢٢١٥

<sup>(</sup>٢) متفق عليه: أخرجه البخاري حديث: ٢١٤، وأخرجه مسلم حديث: ٢٦٥

سمعت فلانًا يقول فيك كذا وكذا فأفسد ما بينك وبين أخيك، هذا شر.

ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل الجنة نهام» والنبّام يفعل في الناس ما يفعله الساحر، يفسد بين الناس، يفسد بين الزوجة وزوجها، وبين الأب وابنه، وبين الأم وابنها وبين الأخ وأخيه وبين الجار وجاره وبين الصاحبة وصاحبه، فساد، فهذه النميمة من أسباب عذاب القبر، وبعض الناس يَنُمُّ بين الناس لكن بطريقة محدّثة جديدة، فهو لا يقول لك قال فيك كذا وكذا، وإنها يقول لك قال بعض الأمور فيك لكن ما أستطيع أقول، أخشى أن تكون نميمة، ماذا أبقيت؟

ربها لو حكيت القول كان أخف عليه من هذا الأمر الذي فعلت، فإنه سيظن الظنون، ربها قال عني كذا وربها قال عني كذا، وما فائدة هذه النقولات إلا تخريب البيوت وإفساد أواصر العلاقات بين الناس.

وأجمع العلماء فيها ذكره أبو الحسن الأشعري وغيره من أهل العلم على عذاب القبر، ونقل كذلك الإجماع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فخالف في ذلك الجهمية، وأما المشهور من خلاف المعتزلة ففيه نظر، فإنّ عامة المعتزلة يثبتون عذاب القبر وإن كان لهم تأويل في ذلك.

ومن المسائل المتعلقة بعذاب القبر، ما الذي يمنع من عذاب القبر؟ قد يقول قائل: ما الذي يمنعنى من عذاب القبر؟

أما الذي يمنع من عذاب القبر أولا فعموم المعاصي والذنوب، وفعل الطاعات والحرص على القربات، وأما من الأمور التي جاءت تَنْصُّ على ما يكون مانعًا من عذاب القبر فمن ذلك الشهادة في سبيل الله، «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

الشهيد في المعركة هذا ممن يقيه الله جل وعلا عذاب القبر كها جاء في الحديث: «للشهيد عند الله ست خصال يُغفر له في أول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويُشَفّع في سبعين من أقربائه». (۱)

إذًا مما ذكر في الحديث: ويُجار من عذاب القبر، كذلك من مات بداء البطن، لأن الموت بداء البطن، وهي موتة حسنة، فالمؤمن من حسن الخاتمة أن يموت بداء البطن لأن من مات مبطونًا فهو شهيد، وهذا المبطون أيضًا من مجازاة الله سبحانه وتعالى له أنه لا يعذب في قبره لقوله صلى الله عليه وسلم: «من يقتله بطنه فلن يعذب في قبره.».

ثم كذلك قراءة سورة الملك، تبارك الذي بيده الملك، فقد جاء عن ابن مسعود

(١) أخرجه ابن ماجه حديث:٢٧٩٦

وله حكم الرفع لأنه ليس مما يقال بالرأي المجرد قال: "من قرأ تبارك الذي بيده الملك كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر، وكُنّا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم نُسمّيها المانعة".

وكذلك مما يقي الإنسان من عذاب القبر الاستعاذة من عذاب القبر، قول النبي صلى الله عليه وسلم: «استعيذوا بالله من عذاب القبر»، هذا القبر وقف عليه عثمان رضي الله عنه فبكى، قالوا وما يبكيك؟ تُذْكر عندك الجنة والنار فلا تبكي ويذكر عندك القبر فتبكي؟ قال: "القبر أول منازل الآخرة، إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار".

إذًا في القبر نعيم وعذاب، مما يدل على هذا ما جاء في حديث البراء بن عازب وهو حديث طويل وفيه: أن الملائكة تسأل العبد المؤمن في قبره وتسأل غيره من ربك وما دينه وما هذا الرجل الذي بعث فيكم، فإذا أجاب المؤمن وقال ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم قال ينادي منادٍ في السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة.

قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيّب الريح فيقول أبشر بالذي يسرك، أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: أنا عملك الصالح،

أي هذا الذي جاء حسن الوجه يقول للمؤمن أنا عملك الصالح، فوالله ما علمتك إلا كنت سريعًا في طاعة الله، بطيئًا في معصية الله فجزاك الله خيرًا، ثم يفتح له باب من الجنة وباب من النار، فيقال هذا منزلك لو عصيت الله، أي الباب الذي فتح إلى النار، أبدلك الله به هذا، فإذا ما رأى ما في الجنة قال ربِّ عجل قيام الساعة كي ما أرجع إلى أهلى ومالي، فيقال له اسكن، وفي رواية قال: نم نومة العروس.

وأما الكافر أو الفاجر قال: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِيّابِ، مُثِّنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: بشرك الله بالشر، مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: بشرك الله ما علمتك إلا كنت بطيئًا عن الوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئًا عن طاعة الله سريعًا إلى معصية الله، فجزاك الله شرا، ثم يُقيَّضُ له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة، مطرقة عظيمة لو ضرب بها جبل كان ترابًا فيضربه حتى يصير بها ترابًا ثم يعيده كما كان، فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين ثم يفتح به باب النار ويمهد من فرش النار فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَة. لأن يرى العذاب يفتح به باب النار فيمهد من فرش النار فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَة. لأن يرى العذاب القبر.

إذًا العذاب ثابت في القبر والنعيم ثابت في القبر، وهي توطئة لما ينتظر الإنسان،

وهل هذا العذاب الذي في القبر على الروح أم على الجسد؟

أنقل في هذا كلامًا للعلامة العثيمين رحمه الله يقول فيه: "الأصل أنّه على الروح، لأن الحكم بعد الموت للروح والبدن جثة هامدة، ولهذا لا يحتاج البدن إلى إمداد لبقائه فلا يأكل ولا يشرب، بل تأكله الهوام، فالأصل أنه على الروح".

ثم قال: "لكن قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن الروح قد تتصل بالبدن فيعذّب أو ينعم معها، فبناء على ذلك قال العلماء: إن الروح قد تتصل بالبدن فيكون العذاب على هذا وهذا". أ.هـ

ما الذي يدل على هذا أو يستأنس به؟

قال: "يستأنس لذلك بالحديث الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "إن القبر ليضيق على الكافر حتى تختلف أضلاعه» وهذا أيضًا على البدن، ليس على الروح فقط".

فإذًا فالقبر شأنه عظيم وهَوْلُه كبير، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما رأيت منظرًا قط إلا القبر أفظع منه».

ومن خصائص القبور مما ورد فيها: أنّ هذه القبور قد تتصف بالظلمة وقد تتصف بالنور، في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت هناك امرأة كانت تكنس المسجد، ففقدها النبي صلى الله عليه وسلم مرة فأخبروه أنها ماتت في الليل ودفنوها

وأنهم كرهوا إيقاظه صلى الله عليه وسلم ، فطلب أن يدلوه على قبرها، فلما جاء إلى قبرها صلى عليها، ثم قال عليه الصلاة والسلام: «إن هذه القبور مليئة ظلمة على أهلها، وإن الله عز وجل منورها لهم بصلاتي عليهم، وفي القبر ضمة لا تفارق أحدًا من الناس، قال عليه الصلاة والسلام: لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ».

فهذه ضمة القبر يضم الكل صالحًا أو طالحًا، كبيرًا أو صغيرًا، ذكرًا أو أنثى، ولكن ما هذه الضمة بالنسبة للمؤمن هل هي من العذاب؟

قال أهل العلم: هذه الضمة في القبر للمؤمن ضمة رحمة وشفقة، ليست كضمة الكافر الذي تختلف أضلاعه، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في تشبيه وتقريب معنى هذه الضمة قال: "كالأم التي تضم ولدها إلى صدرها"، هذا الضمن الذي ربها تضمه بشِده هل هو ضم عذاب؟ ضم رحمة وحنان واطمئنان.

إذًا عندنا ما يتعلق بعذاب القبر، وعندنا فتنة القبر، فتنة القبر غير عذاب القبر، أليس كذلك.

ما هي فتنة القبر؟

هي السؤال، يقول عليه الصلاة والسلام: «إِذَا قُبِرَ الْمُيَّتُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لأَحَدِهِمَا: المُنْكَرُ، وَلِلآخرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُنِ: هَوَ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: هُوَ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ

وَرَسُولُهُ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شيئًا، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي». وجاء في هذا روايات كثيرة.

إذًا ما أسباب عذاب القبر؟

ذكرنا سابقة سببين، وفي جملة القول فالمعاصي والمحدثات هي من أسباب عذاب القبر، وما ذُكر من عدم التنزه من البول أو الاستتار من البول

النميمة كذلك من أسباب عذاب القبر.

وكذلك من أسباب عذاب القبر الغلول، الذي يَغُلْ شيئًا، يأخذه دون إذن.

لأن النبي عليه الصلاة والسلام كها جاء في حديث أبي هريرة قال: أدهى رجل لرسول الله صلى الله لله صلى الله صلى الله صلى الله عليه وسلم فقتله، قال الناس: هنيئًا له الجنة، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «كلا، والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم»، يعني أخذ الغلول قبل أن يقسم بين المؤمنين، قال: «إنها لتشتعل عليه نارا».

كذلك من أسباب عذاب القبر الكذب وهجر القرآن والزنا والربا، فقد جاء في الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «رأيت الليلة رجلين أتياني»، قال أهل العلم: هذه الرؤيا لحال الناس في القبر، في البرزخ، قال: فإذا رجل جالس ورجل قائم

بيده كَلُوبٌ من حديد، حتى يدخله في شقه ويخرجه من قفاه، حتى يبلغ قفاه، فقلت ما هذا؟ فقال لي انطلق، فانطلقت، فجئت إلى رجل آخر مضجع على قفاه ورجل قائم عند رأسه بحجر وبصخرة يشدخ بها رأسه، فإذا ضربه تدهده الحجر، فذهب يأخذه ويرجع مرة أخرى وقد التأم الرأس فيشدخ به رأسه مرة أخرى وهكذا.

قلت من هذا؟ فقال لي انطلق، قال: فانطلقت إلى ثقب مثل التنور أعاه ضيق وأسفله واسع يتوقّد نارًا، فإذا ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا حاولوا الخروج من هذا المكان رجعوا وفيها رجال ونساءٌ عراة، قلت من هذا؟ فقال لي انطلق، قال: فأتيت على نهر من دم، فيه رجل قائم على وسط النهر ورجل بين يديه حجارة وعلى شط النهر رجل فأقبل الرجل في النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فيه فرده حيث كان، يريد أن يخرج فيرجعه إلى النهر الذي من الدم.

قال في آخر الحديث: أما الذي رأيته يشق شدقه فالكذاب، يُحدّث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، تنتشر ولا سيها من أشد ما ينتشر في زماننا من الكذب أو في الأزمنة من الكذب في زماننا هذا، تتكلم بالكلمة تنتشر في جميع العالم في وسائل التواصل، قال: وأما الذي رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به في النهار، قال يُفْعل به إلى يوم القيامة، وأما الذين في الثقب في مثل التنور قال فهم الزناة، وأما الذي في النهر يريد أن يخرج فلا يستطيع فهم آكلو الربا.

كذلك من أسباب عذاب القبر حبس الرجل بسبب دَيْنِهِ، التساهل في أمر الدَّيْن خطير، الدَّيْن سهر في الليل وتعب في النهار، ولذلك يسعى الإنسان في أن يحرص على ألا يستلف شيئا إلا إذا احتاج إليه ويكون في نيته القضاء ومن استدان وفي نيته القضاء قضى الله عنه.

فقد جاء في الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يُصَلِّ على صاحب الدين، فلما تولى أحد الصحابة القضاء عنه قال الآن بردت جلدته، فهذه بعض أسباب عذاب القبر، عذاب القبر ونعيم القبر هي من أصول الاعتقاد عند أهل السنة والجهاعة، ولم يخالف في هذا إلا أهل الضلال أو بعض العقلانيين ممن هم ورثة مذاهب الجهمية وغيرها من المذاهب الباطلة، فينكرون أمرًا جاء به نص الكتاب وجاء به نص السنة وأجمع المسلمون عليه، وليس لهم من مستند في الإنكار إلا مجرد التحكم العقلي والإعراض عن النصوص الشرعية، ليس لهم مستند، يتركون الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ويقدمون العقل القاصر.

وما علموا أن الله جل وعلا لا يسأل عما يفعل، وأن الله جل وعلا يفعل ما يشاء، لكن من الأمور المهمة التي ينبغي أن تعلم أن كثيرًا من العقلانيين فيما يتعلق بأفعال الله جل وعلا إنّم كان أصل ضلالهم أنهم قاسوا الخالق على المخلوق؛ لأنهم ما قدروا الله حق قدره وأنه يفعل ما يشاء وأنه على كل شيء قدير، فقاسوا ما يسمعون من الغيبيات

على أمورهم الملموسة، فاستنكروا ونفوا وأنكروا كثيرا من الأمور التي تغيب عنهم، ولم يؤمنوا إلا بالشيء المحسوس الذي يرونه.

وحقيقة من الرد عليهم أنهم يُقَدِّمون العقل ويؤمنون بالعقل وهو أمر غير محسوس، ولا ملموس ولا يشم ولا يرى ولا يسمع ولا يحس، ويقدمون هذا على النصوص الشرعية، والأصل تقديم النص الشرعي، والعقل الصحيح لا يناقض النقل الصريح، بل يسانده ويعضده ويدل عليه، وصاحب الإيان عقله منقادٌ للنص بخلاف الذي يقدم النصوص ويعرض عها أمر الله جل وعلا أن يتمسك به وهو كتاب الله جل وعلا وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

نقف هنا إن شاء الله ونكمل في اللقاء القادم.

#### الدرس العاشر:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليها كثيرًا.

أما بعد ...

فهذا هو اللقاء العاشر في شرح حديث جبريل عليه السلام، وكان مما توقفنا عليه في الدرس السابق الكلام عن الإيمان باليوم الآخر.

ومما يتعلق بالإيهان باليوم الآخر ما يسبق ذلك من أشراط الساعة، وسيأتي معنا في حديث جبريل بعد ذلك في قوله: "فأخبرني عن أماراتها، فقال: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان".

وقدمنا الكلام هنا عن أشراط الساعة لصلته باليوم الآخر، وذلك أن هذه الأشراط مؤذنة بقيام الساعة.

قبل الكلام عن أشراط الساعة ننبه إلى تنبيهين.

أمّا التنبيه الأول: فإنّ أحاديث العقيدة يؤخذ بها سواء كانت آحاد أو متواترة، ولا يجوز القول بأن الأحاديث في العقيدة لا تؤخذ إلا المتواترة منها، إذا صح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ولو رواه واحد فإنه يعمل به ولا يشترط في العمل بأحاديث

رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكون متواترة لا تواترًا لفظيًا ولا تواترا معنويًا، إذا صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و احتفت القرائن على صحته كأن يكون في الصحيح أن رواته ثقات فإنه يفيد العلم والعمل.

والنبي صلى الله عليه وسلم في سنته العملية ما يدل على ذلك، فإنه صلى الله عليه وسلم أرسل معاذا كها في حديث ابن عباس في الصحيحين أرسل معاذا إلى أهل اليمن، ومعاذ شخص واحد وقال له: «إنك تأتي قوما أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» إلى أمر التوحيد، إلى أساس العقيدة وهو شخص واحد، ويجب أن يقبل هذا الأمر من معاذرضي الله عنه وأرضاه.

ولو كانت أخبار الآحاد لا تقبل في العقائد لما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم معاذًا يدعو إلى أمر الاعتقاد وهو لوحده.

الأمر الثاني: لا يجوز تنزيل أشراط الساعة على الواقع أو على أحداث الواقع بغير بيّنة ولا برهان، لا يجوز الإنسان أن يفسر أشراط الساعة ويجزم بذلك، كأن يفسر مثلا «بعضهم لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»، فيقول جحر الضب المراد به اللبس الفلاني، هذا تهكم، هذا تحديد وتهكم.

أيضًا لا يجوز أننا نُنزِّل أحاديث أشراط الساعة الصغرى على أسهاء الدول أو على أسهاء الأحداث التي تقع أو نحو ذلك، فيفسر بعضهم مثلا القذف الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بنوع من أنواع الأسلحة في معركة معينة، هذا تحكم لا يجوز، فهذا الأمر ليس بالهوى.

فينبغي الحرص على عدم تنزيل أحاديث أشراط الساعة على الوقائع التي نَمُو بها دون بَيِّنة ولا برهان، نعم قد يكون هناك من أشراط الساعة ما حصل ومنها ما يحصل الآن وسيأتي بيان هذا، لكن لدلالته الظاهرة، يعني مثلا قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» أليس هذا الأمر واقع؟ هذا الأمر واقع الآن، تجد مثلا شخص يتولى إدارة أو يتولى تعليم ناس يتصدر، وهذا من تَوْسيد الأمر إلى غير أهله، هذا من أشراط الساعة هذا من جملتها، فهي وقعت وتقع مستمرة.

إذًا هناك من أشراط الساعة ما هي حقائق كونية ليس المطلوب منك أن تبحث عنها أو تنقب عنها، فهي ظواهر كونية، مثلا نهر الفرات يحسر عن جبل من ذهب، ليس المطلوب منك أنت أن تذهب وتبحث عن هذا الجبل من الذهب، هذه ظاهرة كونية يهيئها الله جل وعلا.

إذًا الواجب علي هو الأمر الشرعي وهو الإيمان بذلك، واتباع أمر النبي صلى الله

عليه وسلم فيها أمر به عليه الصلاة والسلام، ولأن بعض أشراط الساعة هي من باب العلامات وليس من باب الأوامر، في الحديث مثلا: قال: «وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان» يعني رعاة الأغنام صاروا يتطاولون في البنيان، هل هذا يدل على النهي عن التطاول في البنيان؟ لا يدل على النهي على التطاول في البنيان لكنها علامة على أنه قبل قيام الساعة يحصل هذا الأمر، فليس فيه نهي ولا منع من ذلك.

## فها هي الأشراط؟

أشراط الساعة هي علامات وأسباب جعلها الله سبحانه وتعالى تسبق يوم القيامة وتدل على قدومها، والساعة اسم للوقت الذي تصعق فيه العباد، فهذه علامات ممهدة، وهذه العلامات الممهدة التي تدل على يوم القيامة إما تدل عليها دنوًّا قريبة جدا منها كأشراط الساعة الكبرى كما سيأتي معنا، وإما أن تدل عليها أنها تسبقها كأشراط الساعة الصغرى وهي الأكثر، أشراط الساعة الصغرى أكثر من أشراط الساعة الكبرى.

الدليل على الأشراط من كتاب الله جل وعلا قول الله جل وعلا: {فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتُهُمْ ذِكْرَاهُم} إلاَّ السَّاعَة أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُها فَأَنَّى لَمَهُمْ إِذَا جَاءَتُهُمْ ذِكْرَاهُم} [محمد:١٨]، هذه الآية: تدل على أمرين، تدل أولًا على أن الساعة لها أشراط ولها

علامات تسبقها، وتدل أيضًا على وقوع بعض هذه الأشراط في وقت نزول هذه الآية على نبينا صلى الله عليه وسلم. الله جل وعلا قال: فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا.

من الأشراط التي وقعت مَبْعث النبي صلى الله عليه وسلم ، هذا من أشراط الساعة، «بعثت أنا والساعة كهاتين» إذًا هذا شرط وقع، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، والله جل وعلا أخفى عنّا قيام الساعة لكنه بين لنا بعض الدلائل والبراهين والآيات التي تسبق قيام الساعة.

ومن السنة حديث جبريل هذا يدل على أشراط الساعة، وكذلك ما جاء في حديث عوف بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اعْدُدْ سِتًا بين يدي الساعة، موتي، وفتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ثم فتنة لا يبق بيت من العرب إلا دخله ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر (الروم)، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانية غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألف».

هذا من الدلائل من السنة على أن هناك أشراط للساعة أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم.

أشراط الساعة تنقسم إلى أشراط صغرى وأشراط كبرى، هذا الصواب في التقسيم ولا يقال أشراط صغرى ومتوسطة وكبرى، فلا دلالة على المتوسطة، وإنها هي

أشراط إمّا صغرى وإمّا كبرى، والصغرى قلنا هي الأكثر، كثيرة ومتنوعة، وقد تكون هذه الأشراط دلالة على الفضائل والمدح كمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وكفتح بيت المقدس، هذه أشياء طيبة.

وإمّا أن تكون أمور مذمومة وقبيحة كائتهار الخائن وتخوين الأمين وظهور أهل الدجل والكذب وتوسيد الأمر إلى غير أهله، وإمّا أن تكون وصفًا كما سبق أن ذكرنا.

ما الفائدة؟ ما الثمرة؟ ما الحكمة من وجود أشراط للساعة؟ قال أهل العلم: الحكمة في ذلك تنبيه الناس من رقدتهم وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة، وهكذا الذي ينبغى على الإنسان.

أيضًا من ثمرتها أن الإنسان يعود نفسه على الاستمرار بالطاعات، لأن الإنسان إذا فاجأه شيء من هذه الأمور وقبل ذلك يفاجئه الموت، إن لم يدرك الساعة أدركه الموت، فيكون على استعداد.

ثم أيضًا من ثمرتها الاعتقاد بها أخبر الله جل وعلا به وما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ، فهذه من ثمراتها، وأشراط الساعة الصغرى منها ما قد مضى كمبعثه صلى الله عليه وسلم شيء مضى، وكذلك موته صلى الله عليه وسلم فإنه من أشراط الساعة، كها قال صلى الله عليه وسلم: «اعدد ستا بين يدي الساعة، قال: موتي» فموته عليه الصلاة والسلام من أشراط الساعة الصغرى.

ومنها أيضًا انفلاق القمر، قال الله جل وعلا: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَ الْقَمَر} الله عنه وأرضاه: انشق القمر على عهد رسول الله القمر: ١]، يقول ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: اشهدوا، تصديق لأمر الله جل وعلا وآية ومعجزة وبرهان ظاهر على صدقه صلى الله عليه وسلم، وهو من أشراط قيام الساعة.

كذلك مما ذكر من الأشراط ما قد مضى: نار الحجاز، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى» نار عظيمة، ودوّن العلماء هذا الحدث العظيم في كتبهم، قال النووي رحمه الله: "خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة ٢٥٤، وكانت نارًا عظيمة جدًا من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، تواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة، هذه نار عظيمة خرجت، وحدثت وانتهت".

يقول ابن كثير أو ينقل عن بعض الأعراب ممن كان بحاضرة بصرى التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث قال: "شاهدوا أعناق الإبل في ضوء هذه النار التي ظهرت من الحجاز من شدة لهيبها وقوة اشتعالها عَكَست على أعناق الإبل فرأوها، فهذه من الأشراط الساعة التي قد مضت".

ومنها قلنا ما حصل وما زال يحصل كما في الحديث: إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله

فانتظر الساعة، وكما في قوله صلى الله عليه وسلم: تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، يعني هذا سيأتيكم الأمر، قالوا من قلّةٍ نحن يا رسول الله؟ قال: كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، كثير لكن متفرقين، الغثاء الشيء الذي لا قيمة له.

وهذا حال الأمة في تفرق في تشتت في أحزاب في جماعات، في انحرافات إلا من رحم الله، وهناك علامات صغرى لم تقع بعد أخبرنا عنها النبي صلى الله عليه وسلم مثلا: في قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدًا يقبلها منه»، ما يجد أحد يأخذ هذه الزكاة من انتشار المال.

قال: وحتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا، وهذا لا شك أمر غير واقع الآن، بل إن كثير من الناس يشكون الفقر، وكثير من أهل المال لا يدفعون الزكاة، فهو شيء سيقع، وتعود هذه الجزيرة جزيرة العرب مروجا وأنهارا، وهذه ربها قد يقول قائل هناك ما يوطِّئ لهذا الأمر من الأمطار ومن الفيضانات ونحو ذلك مما قد يكون سببا، وعلى كل حال فهذا الأمر بيد الله جل وعلا، ولكن الشيء الذي نحن نعتقده أنه أمر حاصل ولا بد سيكون.

وفي قلوبنا اليقين الكثير من حصول هذه الأمور التي أخبرنا عنها نبينا صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك من الأمور التي ستحصل أن السّباع ستكلم الناس، يقول

النبي صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع النبي صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم البانس ويكلم الرجل عذبة صوته (العصا) وشراك نعله ويخبره فخذه بها أحدث أهله بعده».

هذه الأمور لا شك ستقع، والإنسان لا يستبعد هذا الأمر، الله عز وجل حينها وصف أهل الإيهان وصفهم بأنهم يقولون سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فإذا ثبت الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز أن يعارض بالعقول الفاسدة ولا بالآراء الكاسدة ولا بالاعتراضات المريضة ولا بالأمثلة الضعيفة، بل نسلّم للنبي صلى الله عليه وسلم، فقد سلمنا له بها هو أعظم من ذلك، أمر الوحي الذي يأتيه من السهاء كها قال أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه حينها قال له كفار قريش تصدق أن محمدا ذهب إلى بيت المقدس في ليلة ورجع؟ قال: إن قال ذلك نعم أصدق، فقد صدقته بها هو أعظم من ذلك، صدقته بخبر السهاء.

فحال المؤمن في إيهانه أنه يصدِّق بها أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يكون في قلبه مثقال ذرة من تردد أو شك أو ريب.

من المسائل المتعلقة بأشراط الساعة: أنّ أشراط الساعة الكبرى تكون هي المؤذِنة بقيام الساعة وهي الدانية منها، وحتى نعرف كيف نفرق بين أشراط الساعة الصغرى وأشراط الساعة الكبرى لها ضوابط، الضابط الأول أن النص

ورد في التصريح بها، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات» تمينزُها بهذا يدل على أنها غير ما ذكر في الأحاديث الأخرى من أشراط الساعة الصغرى.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم أو ذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاث خسوف، الحديث، ومن ضوابط أشراط الساعة الكبرى أنها محصورة بعدد معين، أما أشراط الساعة الصغرى فكثيرة جدا، فإذًا حصرها بالعشر دليل على أنها غير الأشراط الصغرى، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تكون حتى تكون عشر آيات، هذا حصر لها.

أيضًا مما يميزها عن أشراط الساعة الصغرى أنها عند قيام الساعة أو قرب قيام الساعة، أما أشراط الساعة الصغرى فتسبق ذلك وأول هذه الأشراط مبعثه صلى الله عليه وسلم، أول أشراط الساعة الصغرى، أما أشراط الساعة الكبرى فإنها تكون قُرْبَ قيام الساعة.

كذلك من الضوابط لذلك أنها متتابعة.

والضابط الأخير: أن العلماء أجمعوا على ذكرها، وبعضها مرتب بعد بعض، لكن هل هي مرتبة ترتيبا معيَّنًا؟ هل ورد حديث أنها ترتب على ...؟

لم يأت نص متفق على دلالته وليس على صحته، على دلالته في الترتيب، بل هناك

اختلاف، جاء في بعض الروايات تقديم شرط وجاء في بعض الروايات تأخير هذا الشرط ونحو ذلك.

وبعض العلماء سعى في هذا الترتيب كالسفاريني رحمه الله وغيره، لكن السؤال المهم: هل هذا الترتيب مهم؟

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: الترتيب لا يهمنا، الذي يهمنا أن للساعة أشراطا عظيمة جدا إذا وقعت فإن الساعة تكون قد قربت.

ما فائدة أن نعرف هذه الأشراط؟

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "بادروا بالأعمال"، المبادرة بالعمل، الإنسان يبادر بالأعمال، وأما سبب الاختلاف في الترتيب فلأن الروايات جاءت كما قلنا بالتقديم والتأخير، جاء في حديث حذيفة مثلا أنه قال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها.

وجاء في الرواية الأخرى إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات، خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدخان والدجال ودابة الأرض، إذًا هذا الاختلاف الوارد هو سبب اختلاف العلماء في أمر الترتيب لهذه الأشراط.

إنّ الواجب على العبد أن يعتقد ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من حصول هذه الأشراط، ومن الأمور المهمة هو بيان كذب الدجّالين الذين يتكلمون عن قيام

الساعة، بعضهم رُبَّما يكتب كتابات مليئة بالدجل والسفسطة والكذب فيقول الساعة ستكون عام كذا وكذا، الله جل وعلا جعل أمر الساعة أمرًا غَيْبِيًّا لا يعلمه إلا هو جل وعلا، فلا يجوز للإنسان أن يخمن في أمر غيبي أو أن يجعل حسابات معينة أو أن يَدَّعي دعاوى لا براهين لها، لا شك أن هذا من الأمور الباطلة.

وهذا الأمر للأسف الشديد وإن قال به بعض من هو بعيد عن العلم والإيمان لكن تَأثّر بهم بعض من صار يتكلم عن أمور غيبية ويحددها بسنوات معينة، فيقول فتح بيت المقدس سيكون عام ٢٠٢٥ أو الخلافة الإسلامية ستكون بعد خمس سنوات، أطلعت الغيب أم اتخذت عند الرحمن عهدا؟ ما يدريك؟

ونجد أن هذه الدعاوى في مسائل الخلافة وفي مسائل بيت المقدس وما يتعلق بها إنها هي أحلام خارجية، هذا التحديد لا برهان له، ولا دلائل عليه، أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم عن فتح بيت المقدس لم يحدد لنا هذا التاريخ، هو من أشراط الساعة، فهذه الأماني التي يدعيها البعض من أرباب الجهاعات المنحرفة لا سيها في زمننا هذا كجهاعة الإخوان وغيرهم ممن نجد أنهم يتكلمون، كانوا يتكلمون عن فقه الواقع فأصبحوا يتكلمون عن فقه ما لم يقع، كانوا يتحدثون أنهم هم أعرف الناس بأمور الجهاد لكنهم تجاوزا هذا وصاروا يتحدثون عن أمور لم السياسة وأعرف الناس بأمور الجهاد لكنهم تجاوزا هذا وصاروا يتحدثون عن أمور لم تقع بعد، هذا من أمر الغيب، لا يجوز.

فالواجب على المسلم أن يُسَلِّمَ لأمر الله جل وعلا وأن لا يجتهد بنفسه في وضع تواريخ معينة أو سنوات معينة يحدد بها أمرا لم يحدده النبي صلى الله عليه وسلم، وعلامات الساعة الصغرى كثيرة لكن سنأخذ شيئا من علامات الساعة الكبرى.

فمن علامات الساعة الكبرى ظهور المهدي، وهذا المهدي جاءت الأحاديث المتواترة تواترا معنويا بالدلالة عليه، وأنه من أهل الإسلام، وهو من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤيد الدين ويظهر العدل ويَتَّبِعُهُ أهل الإسلام، ويصلي خلفه عيسى عليه الصلاة والسلام حين ينزل.

روى أحاديث المهدي الكثير من أهل السنن والمسانيد والصحاح كأبي داود والترمذي وابن ماجة والبزار والحاكم والطبراني، وجاءت أحاديثه في إشارة إليه في أحاديث الصحيحين، ورواه جمع كبير من الصحابة.

يقول الشوكاني رحمه الله: الأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثا، فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر وهي متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما دونها على جميع الإطلاقات المحررة في الأصول.

قال: وأمّا الآثار الواردة عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة أيضًا لها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد فيها، هذه قاعدة عند أهل العلم، أنه إذا صح عن الصحابي

أمر فيه الكلام عن شيء غيبي فإن هذا يكون له حكم الرفع، لأن هذه الأمور لا يقولها الصحابة بمجرد الاجتهاد.

فأحاديث المهدي صحيحة، ولا يجوز إنكارها لدلالة الأحاديث عليها، كما سيأتي معنا، فالنبي صلى الله عليه وسلم ذكر أحاديث المهدي ولقبه بهذا اللقب المهدي، فقال عليه الصلاة والسلام: «أبشركم بالمهدي يبعث على اختلاف من الناس وزلازل، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يقسم المال صحاحا، قال له رجل: ما صحاحا؟ قال: بالسوية، قال: ويملأ الله قلوب أمة محمد صلى الله عليه وسلم غنا ويسعهم عدله».

وجاء من الأمور المتعلقة به أنه يحكم بين المسلمين ويصلي بهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة: «كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم»، وجاء في مسلم: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى فيقول أميرهم تعال صلي بنا، يعني لعيسى، فيقول عيسى عليه الصلاة والسلام: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله لهذه الأمة» يتقدم المهدي كما في الأحاديث.

ووصفه النبي عليه الصلاة السلام فقال: «المهدي مِنّي» أي من أهل بيتي، «أجلى الجبهة، أقنى الأنف» أي بارز الجبهة، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما

ويملك سبع سنين.

وجاء في الحديث الآخر حديث أم سلمة أنه صلى الله عليه وسلم قال: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة» وهو كما جاء في الأحاديث من ولد الحسن وليس من ولد الحسين، هذه بعض الروايات المتعلقة بالمهدي، وهو ما جاء ذكره ووصفه في هذه الأحاديث، ولا يصح أن يقال أن المسيح ابن مريم هو المهدي.

أول شيء لدلالة الأحاديث في أن المسيح يكون موجودا والمهدي موجود، أنها يتلاقيا، ولا يصح أيضًا ما يدَّعيه الاثنا عشرية الإمامية من مهديهم المنتظر الكاذب، فإنه لا يصح هذا القول الكاذب منهم، وأنه دخل في سرداب سامراء وهو طفل صغير، وكل يوم ينادونه فيخرج، هذا لا شك أنها من الأساطير المكذوبة كها ذكر شيخ الإسلام وغيره من أهل العلم.

حتى قال القائل لهم:

أما آن للسرداب أن يلد الذي ... كَلَّمْتموه بجهلكم ما آن فعلى عقولكم العفاء فإنكم ... ثلثتم العنقاء والغيلان هذه من الأكاذيب والأساطير.

من الأمور المهمة التي ينبغي أن نتنبه لها: بيان حال كثير من الدجالين الذين يدعون أنهم المهدي، فجأة يظهر لك إنسان يقول أنا المهدي، كيف المهدي؟ هكذا

أصبحت الصباح صرت المهدي؟ ما راجعت نفسك؟ وأَعْجَبَ من هذا أني أعرف رجلا كان اسمه عبد الله بن محمد، واسم المهدي كما في الأحاديث محمد بن عبد الله قال: اسمه كاسمي، فقلت له: كيف، المهدي اسمه محمد بن عبد الله وأنت اسمك عبد الله بن محمد، قال هو شيء واحد، صار في تغيير بين الأب والابن.

لا شك أن هذه من المضحكات والمهازل، وكثير من هؤلاء إما أن يكون سبب ادعائه ذهاب عقله، يحصل له صدمة نفسية أو أمر فيدّعي أنه المهدي، أو أنه يصاب بمس من الجن أو غير ذلك فيدّعي هذه المسألة، وكنت أعرف طالبا كان قد خطب امرأة، فهذه المرأة فسخت هذه الخطوبة قالت خلاص ما أريده، فإذ به يصير مهديا من هول الصدمة التي صدم بها، ادعى أنه المهدي.

لا شك أن هذا الادعاءات هذه كلها باطلة، وهذا الدجل موجود ومنتشر، النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنه يخرج كثير من الدجالين، فقضية المهدي ليست ادِّعاء، هذه لها شروط، هذه فيها قتال وفيها نزول عيسى وفيها قرائن وعلامات تدل عليها.

الذين أنكروا المهدي قالوا أحاديثه ليست في صحيح البخاري ومسلم.

ونقول لهم: ليس في البخاري ومسلم كل صحيح، فإن العلماء كما قالوا: لم يروِ البخاري ومسلم كل حديث صحيح ولم يرووا عن كل ثقة، يعني هناك أحاديث صحيحة خارج البخاري وخارج مسلم، وهناك ثقات لم يرو عنهم البخاري ومسلم

وهم أئمة.

البخاري لم يرو عن أبي عبيد القاسم بن سلام، من أئمة أهل الحديث، لم يرو عنه البخاري، فإذًا لا يقال إن الأحاديث التي ليست في الصحيحين هذه غير صحيحة هذه دعوى باطلة، الحديث قد يكون في السنن، في المعاجم وفي المسانيد وهو صحيح، ولذلك قال مسلم رحمه الله في بيان هذا الأمر: ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ها هنا، إنها وضعت ها هنا ما أجمعوا عليه، إذًا هناك أحاديث صحيحة لم يضعها مسلم في كتابه الصحيح، وكذلك البخاري رحمه الله قال: ما أدخلت في كتابي الجامع إلا ما صح وتركت من الصحاح لحال الطور، تركت غيرها.

أيضًا جاء في الصحيحين ما يدل على ظهور المهدي وإن لم يذكر بالاسم، لكن جاء بالوصف، كقوله صلى الله عليه وسلم في أمر عيسى قال: «كيف إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم» قد دلت الأحاديث أنه المهدي كما في الروايات الأخرى، وأما حديث: لا مهدي إلا ابن مريم فهذا منكر لا يصح أيضًا.

وأما تصحيح أحاديث المهدي في غير الصحيحين فقد ذكر أهل العلم صحتها كها نقلنا عن الشوكاني وصديق حسن خان وشمس الحق العظيم أبادي وغيرهم من أهل العلم ممن اعتنى بجمع أو بتحقيق أحاديث المهدي، ومنهم الشيخ أحمد محمد شاكر والشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمهم الله جميعا، فكلهم ذكروا صحة هذه

الأحاديث.

هذا ما يتعلق بهذا الشرط من أشراط الساعة الكبرى وهو أمر المهدي الذي يخرج في آخر الزمان.

نقف على هذا وصل الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## الدرس الحادي عشر:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليها كثيرا.

أما بعد ...

وقفنا في الدرس الماضي على الكلام عن أشراط الساعة، وتقدم الكلام عن شرط من أشراطها وهو ظهور المهدي الذي يظهر في آخر الزمان.

كذلك من أشراط الساعة، ونحن لن نستقصي الكلام عن أشراط الساعة الكبرى وإنها اخترنا بعضها، من باب ذكر ما ورد من الأحاديث في ذلك.

كذلك من أشراط الساعة: نزول عيسى الله جل وعلا نفى ما ادعاه اليهود من قتل عيسى، فقال جل وعلا: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبّهَ لَهُمْ} [النساء:١٥٧]، وقال الله جل وعلا: {بَل رَّفَعَهُ الله إِلَيْهِ وَكَانَ الله عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء:١٥٨]، وقال: {إِذْ قَالَ الله يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} [آل عمران:٥٥].

عيسى الطَّكُلُّ ينزل في آخر الزمان، فيقتل المسيح الدجال ويكسر الصليب ويقتل الحنزير ويضع الجزية، فلا يقبل إلا الإسلام، ودلت على هذه الأمور الأدلة من سنة رسول الله على وقد ذكر الله على في كتابه أن نزول عيسى هو شرط من أشراط الساعة

كما قال الله جل وعلا: {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيم} [الزخرف: ٢١].

متى ينزل را في أي وقت؟

ينزل في وقت قد اصطف فيه المقاتلون من أهل الإسلام في صلاة الفجر، قد جاء من حديث جابر بن عبد الله هم أن النبي في قال: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم تعال صل بنا» صلاة الفجر كما جاء في الروايات، فيقول: «لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة». من الذي يصلى بهم؟ المهدي كما تقدم معنا.

كم يبقى عيسى العليه في الأرض؟

قال كما ثبت في عن أبي هريرة على قال: «فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون» هذه الموتة التي يموتها عيسى هي الموتة الحقيقية، لأنه لم يمت بل رفعه الله إليه، فإذًا يموت بعد أن ينزل في آخر الزمان، كما تقدم معنا في الكلام عن الإيمان بالرسل أنهم جميعا يموتون إلا عيسى اصطفاه الله على بأن رفعه الله جل وعلا إليه.

قال النبي في بيان ما يقوم به عيسى الكيلا في الأربعين سنة قال: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية»، حكما عدلا لأنه ينزل بشريعة الإسلام وهي شريعة العدل، ويكسر الصليب تكذيبا لما ادعاه اليهود وتبعهم عليه النصارى من أنه صلب فصاروا يعظمون الصليب.

ويقتل الخنزير، ويضع الجزية فلا يقبل في ذاك الوقت إلا الإسلام، لا تقبل الجزية، وأجمع العلماء على نزول عيسى الطيك، وذكر الإجماع غير واحد ممن ألف في كتب الاعتقاد وكتب الحديث.

ما الحكمة من نزول عيسى التَلْيُهُلاً؟ من الحكم أنه يقتل الدجال. ومن الحكم أيضًا إعزاز هذا الدين بأن ينصر هذا الدين نبي من الأنبياء، وهو في نزوله على يكون من أمة محمد في فيحكم بالإسلام ولا يحكم بالإنجيل، قال أهل العلم: فيصير بذلك الدين دينا واحدا لأنه لا يقبل الجزية ويكسر الصليب ولا يقبل من الناس إلا الإسلام، فلا يكون في ذاك الزمان إلا دين واحد وهو دين نبينا في ...

من الحكم كذلك: الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه، فبين الله جل وعلا كذب هذه المقولة، وأنه ينزل في آخر الزمان، ويحكم بشريعة الإسلام، بعض الناس يرد هذه الأحاديث بدعوى أنها أحاديث آحاد، قد تقدم معنا الكلام على أن الحديث إذا صح عن النبي سواء كان آحادا أو كان متواترا فإنه يقبل، إذا صح الحديث واحتفت القرائن على صحته فإن الحديث يفيد العلم والعمل، سواء كان موضوع الحديث في الاعتقاد أو في الفقه أو في الأخلاق والسلوك أو في غير ذلك فلا بد من قبول هذا الحديث.

لا تعارض بين قول الله جل وعلا: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} [آل عمران:٥٥] وبين القول بنزول عيسى، فالمعنى معنى الآية: إني رافعك إلي ومتوفيك بعد أن تنزل من السهاء، فهذا هو توجيه الآية، فلا يستشكل في قول الله جل وعلا إني متوفيك، متوفيك يعني بعد أن تنزل من السهاء.

وهل هناك تعارض بين كون النبي على هو خاتم الأنبياء وبين نزول عيسي في آخر

الزمان؟

لا تعارض؛ لأنه لا يأتي بنبوة ولا يأتي برسالة، وإنها يأتي يحكم بدين الإسلام، فيكون متبعا لشريعة النبي الله فليس الغرض من نزوله الإتيان بشريعة جديدة ولا الحكم بالإنجيل، وإنها الحكم بالإسلام وما يصاحب ذلك من أعهال كقتل الدجال.

يقول النووي رحمه الله: ينزل عيسى ابن مريم حكما بهذه الشريعة ولا ينزل برسالة مستقلة وشريعة ناسخة، بل حاكم من حكام هذه الأمة.

كذلك من أشراط الساعة التي نمر عليها خروج الدجال، والدجال سمي بالمسيح الدجال قيل لأنه ممسوح العين، فإن في عينه عور، لذلك يقال له الأعور الدجال، وننبه هنا إلى ما نبهنا إليه سابقا في أمر عيسى أنه لا يجوز أن تؤول أحاديث الدجال بظهور الكذب أو بغير ذلك، الدجال حقيقة صحيحة له صفات وله مقدرة، الله على جعلها بين يديه فتنة للناس.

ويخرج كها جاء في الأحاديث من جهة المشرق، فجاء أنه يخرج من جهة خراسان أو يخرج من جهة أصبهان، وعلى كل حال فإنه يخرج من تلك الجهات، ويبقى في الأرض أربعون، ما هي الأربعون؟ يقول النبي على: «أربعون يوما، يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة، أسبوع يعني، وسائر أيامه كأيامكم».

الصحابة عندما سمعوا هذا الحديث، نحن الآن سمعنا هذا الحديث، ما الذي

استشكل عندنا؟ لم يستشكل عندنا شيء، لكن الصحابة الله السمعوا هذا الحديث قالوا أتكفينا في هذا اليوم الذي كسنة صلاة يوم وليلة؟ هم سألوا عن الصلاة، البال مشغول، يبقى يوم كسنة كيف نصلي؟

فقال النبي على: «لا، اقدروا له قدره» يعني الآن وقت المغرب، الآن وقت العشاء، اقدروا له قدره، وهذا من عناية الصحابة في بأمر الصلاة، وتعلقهم بها، وهي لا شك هي راحة الإنسان، النبي كان يقول: «أرحنا بالصلاة يا بلال»، ليس أرحنا من الصلاة، خلصنا، لا، أرحنا بالصلاة، راحتهم وسعادتهم لأن الصلاة صلة بين العبد وربه.

ما صفة الدجال؟

قال النبي في وصف الدجال قال: «فإذا رجل جسيم أهر جعد الرأس أعور العين كأن عينه عنبة طافية» قالوا هذا الدجال أقرب الناس به شبها ابن قطن رجل من خزاعة، هذا لتقريب المثال.

والنبي على قال: «إن الدجال أعور وإن ربكم ليس بأعور» فإذا من علامات الدجال أنه أعور العين، في عينه عور وفي العين الأخرى عيب، وهذه من العلامات الظاهرة التي عرفه بها أهل الإيهان.

كذلك من العلامات الظاهرة أنه مكتوب في جبهته (ك، ف، ر) كفر، وهذه يراها

أهل الإيهان، ومع وجود هذه الآيات والدلائل البينات يفتن به بعض الناس، فلا تستغرب أن أناسا يقفون على حقائق الزيغ عند بعض الناس في زماننا هذا ويتبعونه، يقول ابن قتيبة في بعض كلامه يقول: الناس كأسراب القطا مثل الطير، لو ادعى فيهم رجل النبوة لوجد من يتبعه، لو ادعى أنه إ يجد له أتباعا.

والآن كثير من الدجالين الذي يدجل أنه نبي والذي يقول أنه رسول والذي يقول بأن في يديه خوارق العادات، ويجد له أتباع، فتجد أن لكل صاحب باطل أتباعا، هؤلاء الأتباع يدل على أن عنده شيء من الحق؟ لا، لكن الناس يتأثرون، الناس يتركون الأنبياء، الأنبياء يأتي النبي يوم القيامة معه الرهط، نبي أرسل بشريعة معه من ثلاثة إلى تسعة أشخاص يتبعونه فقط، ومعه الرهيط، أقل من هذا، ومعه الرجل ومعه الرجلان، وليس معه أحد، يعني بعثوا وأنذروا وحذروا وما أحد اتبعهم.

هل قصر في دعوته؟ ما بلغ؟ بلغ والله، بلغ وبين، لكن الناس لم يتبعوا الحق، وتجد في الجهة الأخرى يتبعون أهل الباطل، لذلك الله جل وعلا قال: {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ في الجهة الأخرى يتبعون أهل الباطل، لذلك الله جل وعلا قال: {وَلَكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُون} حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِين} [يوسف: ١٠٣]، قال: {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُون} [الأنعام: ٣٧]، وقال: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُور} [سبأ: ١٣]، انظر الذي يشكر قليل، والذي يكفر كثير.

هذا يعطينا قاعدة مهمة جدا وهو أن الكثرة لا تدل على الحق، قال بعض السلف: "لا يضرك قلة السالكين ولا تغتر بكثرة الهالكين"، لا يضرك أن أتباع الحق قليل، ولا تغتر بأن أتباع الباطل كثير، إذا كان النبي الشياعين أخبرنا عن نبي من الأنبياء يأتي يوم القيامة وليس معه أحد، ما أحد استجاب له، هذا دليل ظاهر على أن الحق لا يقاس بالقلة ولا بالكثرة، وإنها يقاس بالحق نفسه.

ولذلك قال ابن مسعود: "الجهاعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك، النبي هي" عندما أرسل كان لوحده ومعه امرأة خديجة وصاحب أبو بكر وغلام وهو علي، وكانت الدنيا كلها ضد هذه الدعوة، وهو أرسل بأعظم دين وبأكمل ملة حتى هيأ الله هذا الدين بالانتشار.

وحتى فيمن ينتسب للدين فإن النبي الخيرنا أن هذه الأمة تفترق إلى ثلاثة وسبعين فرقة، الأكثر يستحقون العذاب أو الأكثر على الحق؟ قال: كلها في النار إلا واحدة، اثنين وسبعين من الفرق تنتسب لهذه الأمة مستحقة للعذاب وهي في أمة الإجابة وليست في أمة الدعوى، يعني في أمة الإسلام ومع ذلك تستحق العذاب؛ لأنها تخالف طريقة النبي الله.

منهم من يخرج على هذه الأمة، الخوارج عددهم ٢٨ فرقة يعده البعض، هذا في أيام الشهرستاني وأيام الأشعري، في زماننا هذا فرق أيضًا، فهل من المعقول أن يقول

قائل إن هذه الفرق التي في زماننا مثلا هذه فرق تمثل الإسلام الصحيح؟ داعش وجبهة النصرة والقاعدة والخوارج والجهادية والإخوان، لا يمكن، هذا ناشئة، هذه نسبها مبتور، التي تأسست منذ ٥٠ سنة والتي منذ ٨٠ سنة أو مائة سنة.

دين الإسلام من ألف وأربعهائة سنة، يعني قبل أن تكون هذه الجهاعات، ماذا كان الناس، كانوا في كفر أم في إسلام؟ كانوا في إسلام، فهذه الجهاعات التي أُحدثت في الناس، كانوا في كفر أم في إسلام؟ كانوا في إسلام، فهذه الجهاعات التي أُحدثت في الدين لا تجوز، هذا من التفريق، {مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِهَا لَدَيْمِمْ فَرِحُون} [الروم: ٣٢].

الشاهد من هذا أن مع ظهور هذه العلامات على الدجال إلا أن هناك من يتبعه، الله جل وعلا جعل على يديه الخوارق، فمعه نهران يجريان، أحدهما ماء أبيض والآخر نار تأجج، يقول النبي على: «لأنا أعلم بها مع الدجال، معه نهران يجريان، أحدهما رأي العين ماء أبيض والآخر رأي العين نار تتأجج، فإما أدركن من الناس فليأت النهر الذي يراه نارا فليغمض ثم ليطأطئ رأسه فليشرب منه فإنه ماء بارد» هذا النبي الخرنا عنه.

وجاء أن له سرعة في الأرض يقطع بها الأرض، ويأمر السهاء فتمطر ويأمر الأرض فتنبت ويأمر الخربة أن تخرج كنوزها فتخرج كنوزها، آيات عظيمة، فتن، ولذلك كانت فتنة الدجال أعظم الفتن التي تمر على البشرية، لأن عظم الفتنة بعظم

أسبابها، لكن من حفظ الله جل وعلا واصطفائه لبعض هذه الأمة أنه يمنع الدجال من دخول مكة والمدينة

وكما سبق الذي يقتل الدجال هو عيسى الله على الحديث: فإذا رآه عدو الله يعني الدجال رأى عيسى ذاب كما يذوب الملح، قال فلو تركه لانذاب، ولكن يقتله الله بعني الدجال رأى عيسى ذاب كما يذوب الملح، قال فلو تركه لانذاب، ولكن يقتله الله بعده، فيريم يري الناس دمه في حربته، يقتله بحربة، وهذا من تمكين الله الله العيسى بيده،

النبي الله كان ينذر الناس من الدجال ويقول لهم: «إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه»، إذا خرج في زمن النبي في فالنبي الله سيتولى أمره، ولكن إذا خرج بعد موت النبي في فامرؤ حجيج نفسه، اتباعك لأمر الله جل وعلا ولأمر النبي في يعصمك من الوقوع في فتنته.

ومن شدة تحذير النبي على من الدجال في زمنه خرج بعض الصحابة يبحثون عنه عند النخل يظنون أنه موجود من شدة التحذير، لأنه فتنة عظيمة.

متى يظهر الدجال؟

جاء عن عمر النجال إذا ترك الكلام عليه في المنابر، إذا لم تسمع في المنابر، إذا لم تسمع في المنابر الكلام عن الدجال فهذا مؤذن بخروجه، ونحن في زمن قليل ما يذكر الدجال أو يحذر من فتنته، مع أن النبي الله حذر من فتنته تحذيرا عظيماً.

ما الذي يعصمنا من الوقوع في هذه الفتنة العظيمة؟

من ذلك التعوذ من فتنته، لأن النبي من دعائه: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال»، وكذلك حفظ فواتح سورة الكهف، فالنبي قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال»، وكذلك من الحفظ من هذه الفتنة أن تفر منه، قال النبي في: «من سمع بالدجال فلينأى عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو ما يبعث به من الشبهات».

وهذا الحال في الفتن، الإنسان إذا سمع بفتنة يبتعد عنها، لا يأتي إليها، لا يقول أنا مؤمن وبصير وأفهم، أجرب، الدين ليس للتجربة، تسمع بالفتنة ابتعد عنها، النبي كان يقول للصحابة: «تعوذوا بالله من الفتن».

ما معنى التعوذ من الفتن؟

التعوذ اللفظي والابتعاد عنها أيضًا، تسمع عن فتنة لا يعرف حالها، الواجب

عليك أن تبتعد، لا أن تخوض فيها، تخوض في الفتن هذا سبب من أسباب الهلاك، وسبب من أسباب ربها سفك الدماء وربها وذهاب الأرواح، والذي يزين الفتن للأسف قد يزينها بعض من يتكلمون باسم الدين، يزين لك فتنة الخروج على الحكام، ويزين لك المظاهرات، يزين لك بدعوى الحرية، فيتركون الشرع الحنيف الواضح ويذهبون إلى هذه الفتن ويخوضون فيها.

هذا الواجب، النبي الله أوصانا بأمور كثيرة، لكن نحن عندما خالفنا السنة نقع في هذه الفتن، فالنبي الله قال في هذا الحديث: «من سمع بالدجال فلينأى عنه» لكن يأتيه بعض الناس، هؤلاء أما خالفوا حديث رسول الله الله؟ خالفوا حديث النبي الله افتتنوا به، وهكذا الحال في الفتن.

إذا سمعت عن فتنة لا تنقاد إليها، اركض مبتعدا عنها، وهذه الفتن التي لا يعرف فيها الحق من الباطل، لكن الفتنة التي يعرف الحق فيها من الباطل فيجب نصرة الحق ورد الباطل، لا تقل أنا لا أخوض فيها هذه فتنة، لا، الفتنة إذا كانت ظاهرة مثلا في

زماننا فتن الخروج التي صارت بسببها الدماء وهدمت دول وقتل ناس ويتم أطفال ورملت نساء وأزهقت أرواح، هذه فتنة لكنها الحق فيها ظاهر، فيجب عليك نصرة الحق وترك الباطل، والباطل هو في الخروج وفي الأسباب المؤدية إلى سفك الدماء وفي منازعة الأمر أهله، هنا الفتنة. فهذه جملة من المسائل المتعلقة بالمسيح الدجال.

كذلك من أشراط الساعة ونختم بهذا الشرط وإلا فإن الكلام عن أشراطها وتفاصيلها واسع، ولكن حتى لا نخرج عن مقصود الحديث، من الأشراط: طلوع الشمس من مغربها، الشمس تطلع من المشرق، لكن من علامات الساعة ومن أشراطها الكبرى أنها تطلع من المغرب.

قال النبي ﷺ: "بادروا بالأعمال ستا، طلوع الشمس من مغربها" هذه من ضمن الأشراط، وفي قوله ﷺ بادروا بالأعمال الحث على العمل، هذا الواجب عليك، الآن بعض الناس يقول يقال أن الشمس بدأت تتجه إلى أن يكون طلوعها من جهة الغروب، طيب ، أنت ماذا أعددت لها؟ بادر بالأعمال، أنت خليك من الظواهر الفلكية والتغيرات، خليك في الأعمال، بادروا بالأعمال، النبي ﷺ أوصانا بالمبادرة بالأعمال.

وأنت أشغلت نفسك بتتبع الأخبار، متى تطلع الشمس من مغربها، تب إلى الله قبل أن تطلع الشمس من مغربها، هذا أسلم لك، لأن إذا طلعت الشمس من مغربها

لا تقبل التوبة، وأنت تتأمل متى تطلع الشمس من مغربها؟ فهذا للأسف من انشغال الإنسان بها لا يعنيه.

النبي عندما جاءه رجل قال: متى تقوم الساعة، ما قال له النبي على متى تقوم الساعة، قال: ماذا أعددت لها؟ ما العمل، خليك في العمل ولا تبحث متى تكون، ولذلك قلنا سابقا أشراط الساعة منها أمور كونية قدرية، ليس الواجب عليك النظر في تحققها وإنها الواجب عليك الإيهان والمبادرة إلى العمل.

وفسر بعض أهل العلم قول الله جل وعلا: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمُلاَئِكَةُ وَسَر بعض أهل العلم قول الله جل وعلا: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمُلاَئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} [الأنعام:١٥٨] جاء عند البغوي وعند غيره قال: يعني طلوع الشمس من مغربها وعليه أكثر المفسرين، والنبي على قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمن من عليها».

وجاء من حديث أبي ذر أن النبي التي قال لأبي ذر حين غربت الشمس: "تدري أين تذهب؟ أين تذهب» وهذا من الأمور الغيبية التي أخبرنا عنها نبينا ، تدري أين تذهب؟ قال: الله ورسوله أعلم، ما في تخمين، ما في اجتهاد، أمر غيبي، فقال النبي الله: "إنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن ربها فيؤذن لها»، قال: "ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها» هذا في حال طلوعها من مغربها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: {والشَّمْسُ تَجْرِي لُسْتَقَرِّ لَمَّا ذَلِكَ

تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } [يس:٣٨] هذا مستقرها.

وأما إنكار بعض الناس لهذا الأمر بدعوى أن الشمس تجري في مستقر واحد فمتى يكون هذا السجود، فهذا إنكار لأمر غيبي، وهل أنت تعرف كيفية السجود، وهل اطلعت على الوقت الذي فيه السجود حتى تنكر هذا الأمر؟ فلا شك أن لا ينكر هذا إلا من ارتاب في صدق النبي أما من يصدق النبي صح ذلك في الأحاديث الصحيحة فإنه يقبل ذلك ويؤمن به متيقنا مسلم الأمر ربه جل وعلا.

فالنبي الشمس تستأذن ربها في الطلوع ثم يكون آخر الأمر أنها تطلع من مغربها فلا يأذن لها بالطلوع من المشرق، وذكر أهل العلم هذا الشرط وهذه العقيدة ولم يؤولوا هذا الأمر.

يقول الطحاوي رحمه الله: ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وعلى هذا كتب العقيدة من كتب المالكية وكتب الشافعية وكتب الأحناف وكتب الحنبالة وغيرهم بذكرهم لهذا الشرط من أشراط الساعة.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: وهكذا تسير الشمس والقمر في فلكيها، في انتظام باهر وسير محكم، كل يجري إلى أجل مسمى، إلى أني أذن الله جل وعلا بخراب هذا العالم، فتخرج الشمسي من مغربها كما في صحيح البخاري عن أبي ذر، ثم ذكر

الحديث.

قال: وفي هذا الحديث دليل ظاهر على أن الشمس تسير بنفسها كما يدل على ذلك قول الله على: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرِّ لَمَّا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيم} [يس:٣٨] وقوله: {كُلُّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمَّى أَلاَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّار} [الزمر:٥] وقوله: {كُلُّ فِي وقوله: {كُلُّ يَغِرِي لأَجَلٍ مُسَمَّى أَلاَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّار} [الزمر:٥] وقوله: لأكُلُّ فِي فَلَكِ يَسْبَحُونَ} [الأنبياء:٣٣] فهذه الأدلة تكذب ما يقال من أن الشمس ثابتة لا تدور، وتدل على أنه قول باطل يجب رده وتكذيبه.

الله على أخبرنا عن دوران الشمس وأنها كذلك تطلع من مشرقها إلا قبل يوم القيامة، فإن من أشراطها أنها تطلع من مغربها.

هذه بعض أشراط الساعة، ونقتصر على هذه الأشراط، ونكمل إن شاء الله في اللقاءات القادمة ما بقي من الكلام عن الإيمان باليوم الآخر من الكلام عن البعث والحشر والميزان والصحف والحوض والصراط والجنة والنار إلى غير ذلك.

نسأل الله جل وعلا لنا ولكم السداد في الأقوال والأعمال، وصل الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

## الدرس الثاني عشر:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليها كثيرا.

أما بعد ..

فهذا هو المجلس الثاني عشر من مجالس شرح حديث جبريل الكلام، انتهينا في الدرس السابق من الكلام عن أشراط الساعة وذكرنا بعضا من هذه الأشراط الكبرى وهو أمر المهدي وعيسى والدجال وطلوع الشمس من مغربها، وهناك أيضًا بعض بقية الأشراط وإنها ذكرنا بعض ما ورد في أشراط الساعة الكبرى، ونكمل اليوم إن شاء الله ما يتعلق بالمسائل المتعلقة بالإيهان باليوم الآخر وهو الركن الخامس من أركان الإيهان.

ومن المسائل المتعلقة بالإيهان باليوم الآخر مسألة حشر العباد، وحينها يطلق الحشر فيراد به حشر الموتى من قبورهم، والحشر هو حشر الأموات من قبورهم وغيرها بعد البعث جميعا إلى الموقف، عندما قلنا حشر الأموات من قبورهم وغيرها، قد لا يكون مقبورا كأن يحرق أو يغرق، فعموما حياة البرزخ.

قال الله جل وعلا: {وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ

نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا} [الكهف:٤٧]، الحشر الوارد في النصوص عموم ما ورد في النصوص من الحشر أربعة، اثنان في الدنيا واثنان في الآخرة، أما حشر الدنيا فقد ورد حشر بني النضير إخراجهم من المدينة، كما قال الله جل وعلا: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفُرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحُشْرِ} [الحشر:٢] المراد به الإخراج، إخراجهم من المدينة.

ولماذا سمي حشر؟ لأن الحشر في اللغة هو الإخراج، الحشر في اللغة هو إخراج الناس من مكانهم إلى أمر غيره، يقول الأصفهاني: الحشر هو إخراج الجماعة من مقرهم وإزعاجهم عنه إلى حرب وغيرها، يعني إلى أمر آخر، وهو ليس مجرد إخراج وإنها إخراج فيه مشقة عليهم.

الحشر الثاني في الدنيا وهو يتعلق بمسألة الحشر في الآخرة هو حشر الناس قبل يوم القيامة إلى الشام، ويكون الناس في هذا الحشر من جميع البلدان، وقد جاء في الأحاديث أن نارا تخرج من أرض اليمن تحشر الناس جميعا إلى أرض المحشر، تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا، كأنها تدفعهم إلى أرض المحشر.

والناس في هذا الحشر ثلاثة أنواع كما جاء في الحديث وسيأتي معنا، منهم راكبون طاعمون كاسون، ومنهم فوج يمشون مرة ويركبون أخرى، يتعاقبون على البعير الواحد، فهؤلاء يركبون مسافة ويركب غيرهم وهكذا، حتى يصلوا إلى أرض المحشر،

وفوج ثالث تحشرهم النار تحيط بهم من ورائهم وتسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر، ومن تخلف عنهم أكلته النار.

يقول النبي في حديث أبي هريرة في الصحيحين: «يحشر الناس على ثلاث طرائق، راغبين راهبين، واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا».

وقال النبي على أهل المشرق عبد الله بن عمرو: «تبعث نار على أهل المشرق فتحشرهم إلى المغرب، تبيت معهم حيث باتوا ويقيل معهم حيث قالوا، يكون لها ما سقط منهم وتخلف وتسوقهم سوق الجمل الكسير».

وجاء من حديث حذيفة أن أبا ذر ها قام في قومه فقال: يا بني غفار قولوا ولا تختلفوا فإن الصادق المصدوق حدثني، يعني النبي النبي الناس يحشرون على ثلاثة أفواج، فوج راكبين طاعمين كاسين، وفوج يمشون ويسعون، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم إلى النار، قال قائل منهم: هذان قد عرفناهما، فها بال الذين يمشون ويسعون؟ الفوج الثاني، قال: يلقي الله الآفة على الظهر فلا يبقى ظهر، حتى إن الرجل ليكون له الحديقة المعجبة فيعطيها بالشارف ذات القطب فلا يقدر عليها. هذا وصف لحال هذه الأفواج.

أين يحشر الناس؟

يحشرون إلى أرض الشام، فهي أرض المحشر كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، والنبي على حينها دل الناس دلهم على الشام قالوا: فهاذا تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام، وذكر النبي الشام فقال: ها هنا تحشرون، ها هنا تحشرون، ها هنا تحشرون، دكرانا ومشاة وعلى وجوهكم.

وقال على: «ستكون هجرة بعد هجرة ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم، وهو الشام، لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم، تنذرهم نفس الله، تخشرهم النار مع القردة والخنازير تبيت معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذا قالوا وتأكل من تخلف».

لاذا المحشر يكون في أرض الشام؟ قال أهل العلم: لأن الفتن التي تقع في آخر الزمان تكون أرض الأمان هي أرض الشام، يقول نبينا على: «بين أنا نائم إذا رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهوب به، فأتبعته بصري فعمد به إلى الشام ألا وإن الإيهان حين تقع الفتن بالشام».

هذا الحشر الثاني الذي ذكرناه هذا في الدنيا، ليس في الآخرة كما نص جمع من أهل العلم عليه لدلالة الأحاديث على ذلك.

وأما الحشران يوم القيامة الحشر الأول حشر الناس من قبورهم، جمعهم من

قبورهم، وهو ما يكون بعدما ينفخ في الصور، {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُون} [يس:٥١]، قال الله جل وعلا: {وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُون} [المؤمنون:٧٩] تخرجون، هذا الحشر الأول وسيأتي تفاصيل هذا الحشر.

أما الحشر الثاني من الحشر يوم القيامة فهو حشر الناس إلى مستقرهم إلى الجنة وإلى النار، قال الله جل وعلا: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْتَقِينَ إِلَى الرَّحْنِ وَفْدًا \*وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى النَّحْمَنِ وَفْدًا \*وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا} [مريم: ٨٥-٨٦] وقال جل وعلا: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُون \*مِن دُونِ الله فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الجُحِيم} وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُون \*مِن دُونِ الله فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الجُحِيم} [الصافات: ٢٢]، إذًا يحشر الناس إلى الجنة ويحشر الناس إلى النار، إلى المستقر.

وهذا الحشر الذي يكون يوم القيامة من القبور يحشر فيه الناس على أرض بيضاء عفراء كقرص نقي ليس فيها معلم لأحد، مستوية، ليس فيها معلم بارز لأحد، مكان يجتمع فيه الخلائق، يحشرون من قبورهم.

في هذا الموقف تدنو الشمس من الخلائق مقدار ميل، قال الراوي: لا أدري ميل المكحلة أو ميل المسافة، فتدنو الشمس من الخلائق في هذا الموقف العصيب العظيم، كما قال النبي على: «تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى يكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق »، وهذا سيمر معنا كثير، حتى في العرض

يوم القيامة بحسب عمل الإنسان في الدنيا، حتى السير على الصراط بحسب عمله في الدنيا.

صاحب العمل الكثير ربها لا يصيبه شيء لأنه يكون تحت ظل عرش الرحمن، سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، والناس من قصر منهم فحاله في هذا التقصير يؤثر على حاله في ذاك اليوم، فيقول في: «فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما» يلجم بالعرق بسبب دنو الشمس.

وهذا أمر يقدره الله جل وعلا، وفي يوم القيامة وفي العرض مقدمات من النعيم ومقدمات أيضًا من العذاب، والناس في هذا المحشر بعد خروجهم من القبور أصناف، منهم من هو على حالة طيبة ومنهم من هو على حالة قبيحة، فالكفار يخرجون من قبورهم يسحبون على وجوههم.

قال النبي على حينها سأله رجل يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ فقال على النبي الله على وجهه يوم اليس الذي أمشاه على رجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟ بلى قادر الله وهذا المشي مشي حقيقي، ولذلك النبي الستدل عليه بالمشي الحقيقي وهو المشي في الدنيا على الرجلين، فيمشي يوم القيامة وهذا نوع من العذاب؛ لأن مشى الإنسان على وجهه يصاحبه ألم.

وكذلك من الذين يحشرون على صفة ذميمة أهل الكبر، المتكبرون، فإنهم كها جاء في الحديث: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صورة الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان» وفي رواية: يطأهم الناس بأقدامهم، كبر، يتكبر على الناس، فكان من جزائه من تكبره على الناس في الدنيا أن يطأه الناس بأقدامهم يوم القيامة، هذا الجزاء من جنس العمل، وهذا من الإهانة له، وعلى ماذا يتكبر الإنسان؟ وما الذي يجعله يتكبر وهو مخلوق من مخلوقات الله، أحياه الله وتأتيه الآفات من المرض والنقص والضعف، ويتردى إلى أرذل العمر ويموت، فعلى ماذا يتكبر؟

ولذلك كانت من وصية النبي على: «تواضعوا» هذه الكلمة قالها النبي على تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد، وقال: «من تواضع لله رفعه الله»، كذلك ممن يحشرون يوم القيامة على صفة ذميمة الذي يسأل الناس من غير حاجة، وهذه من الأمور الخطيرة، يسأل الناس، يسأل هذا ويسأل هذا طعام ويسأل هذا مال، وهو في عافية، أو عنده مقدرة على عدم السؤال كأن يعمل، وهذا من محاسن الإسلام، فإن الإسلام يدعو إلى العمل وإلى الجد وإلى الاجتهاد وإلى عدم مد اليد.

النبي على كان يقول: «اليد العليا خير من اليد السفلى»، يد المعطي خير من يد الآخذ، فيقول على هذه الصفة قال: «ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم» ما في

وجهه لحم من كثرة سؤال الناس، والمزعة هي القطعة، قطعة لحم.

وأيضًا أصحاب الغلول الذين يأخذون من المغانم قبل القسمة، والله عَلَّ نفى عن نبيه هذا الأمر، قال: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِهَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوفَى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُون} [آل عمران:١٦١].

وأيضًا الشهيد، يحشر على صفة حسنة، قال النبي على: «كل كلم يكلمه المسلم في سبيل الله ثم تكون قال يوم القيامة كهيئتها، إذا طعنت تفجر دما، اللون لون الدم والعرف عرف المسك» الريح ريح المسك، فيبعث ويحشر الشهيد على هذه الحال من إكرام الله على له.

وأيضًا المحرم الذي يموت بإحرامه، يذهب إلى العمرة أو يذهب إلى الحج ويموت بإحرامه قبل أن يقضي نسكه، فيقول على حينها مات أحد الصحابة وهو محرم قال: «غسلوه بهاء وسدر وكفنوه بثوبيه ولا تخمروا رأسه ولا تحنطوه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا» يبعث يوم القيامة ملبيا، لبيك اللهم لبيك، مقبلا على أمر الطاعة. هذا ما يتعلق بالحشر.

ومن مسائل يوم القيامة مسألة النفخ في الصور، وما هو الصور؟

هو قرن ينفخ فيه، قيل نفختان وقيل ثلاث، وسيأتي معنا هذا، فقد جاء في الحديث كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وجاء في حديث: وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ، والصور هو القرن ولا يجوز أن يؤول بأمر آخر.

قال الله جل وعلا: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء الله جُل مَن شَاء الله ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُون} [الزمر: ٦٨]، وقال الله جل وعلا: {وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء الله وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِين} [النمل: ٨٧]، وقال جل وعلا: {قَوْلُهُ الْحُقُّ وَلَهُ اللَّكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصَّورِ عَالِمُ الْفَكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصَّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِير} [الأنعام: ٧٣].

وهل هي نفختان أم ثلاث؟ خلاف بين أهل العلم والصواب أنها اثنتان، نفخة الفزع وهي نفخة الصعق والموت، ونفخة البعث، الأولى يقال لها نفخة الفزع ويقال لها نفخة الصعق وليستا اثنتين، والثانية هي نفخة البعث، وقد جاء في الحديث أيضًا ما يدل على النفخ في الصور.

قال و مسلم: «لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان موسى فيمن صعق فأفاق قبلى أو كان ممن استثنى الله».

في قول الله جل وعلا: { فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء الله } هذا الاستثناء، وجاء في المسند قوله على حينها سأله أعرابي ما الصور؟ قال: قرن ينفخ فيه، فإذًا النفخة الأولى هي نفخة الفزع والصعق وهي التي يكون بها إماتة الأحياء من جميع الخلائق وهلاك هذا العالم، والنفخة الثانية هي نفخة البعث من القبور وحشر الناس من قبورهم.

ما مقدار ما بين النفختين؟

قال على: «ما بين النفختين أربعون، قالوا له: أربعون يوما؟ قال: أبيت، قالوا أربعون شهرا؟ قال أبيت، قالوا أربعون سنة؟ قال أبيت، قال على: «ثم ينزل الله من السهاء ماء فينبتون كها ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظها واحدا وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»، يعني يفنى كل الإنسان إلا هذا العظم اليسير الذي في أسفل ظهره منه ينبت الخلق، إذا أنزل الله على ماء الحياة.

أول من يحشر من الخلائق قيل هو نبينا ، وقيل غيره من الأنبياء كموسى، والصحيح في ذلك أن النبي هو أول من ينشق عنه القبر، لقوله في: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر»، وأما أول من يكسى من الخلق يوم القيامة فهو إبراهيم العيلاً، لقوله في: «وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم»، وهذا يدل على ما دلت عليه الأحاديث السابقة من أنهم يحشرون يوم القيامة حفاة عراة يدل على ما دلت عليه الأحاديث السابقة من أنهم يحشرون يوم القيامة حفاة عراة

غرلا، فيكون أول من يكسى أبو الأنبياء إبراهيم على.

والناس في الحشر يتفاضلون، فكما ذكرنا حشر الكافر، حشر المتكبر، فالناس في هذا على تفاضل، وحشر الشهيد وحشر أهل الوضوء الحريصين المحافظين عليه، الله جل وعلا قال: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا} [مريم: ٨٥] هذا من الإكرام لهم، والوفد يكون راكبا، كما قال أهل العلم: الراكب، وغيرهم من الناس من يحشر وهو يمشى ونحو ذلك.

والناس أيضًا في أرض المحشر على تفاوت كها سبق معنا في حديث دنو الشمس، منهم منهم من هو في ظل العرش، ومنهم من هو في ساحة العرض تدنو منه الشمس، منهم من يلجم ومنهم ما هو دون ذلك، وهذا دليل على تفاضل الخلق في وقوفهم بالمحشر قبل فصل القضاء.

واختص الله على هذه الأمة بأن جعلها أفضل الأمم حتى في الحشر، فهم أكثر أتباع الأنبياء عددا لقوله على: «أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة» ولما جاءوا أنهم يتميزون بالوضوء غرا محجلين من آثار الوضوء.

من المسائل المتعلقة بيوم القيامة مسألة الميزان، والميزان هو الذي توزن عليه الأعمال، وهم ميزان عظيم ينصب يوم الحساب لوزن أعمال العباد، له كفتان ولسان وهو ميزان حقيقي، لا يجوز أن يؤول بغير ما أخبر به الله على وأخبر به النبي على، ميزان

حقيقي له كفتان وله لسان.

قال الله عَلَى إثبات الميزان: {وَنَضَعُ المُوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِين} [الأنبياء:٤٧]، وقال جل وعلا: {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحُقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُون \*وَمَنْ خَفِرُواْ أَنفُسَهُم بِهَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُون} خَفِرُواْ أَنفُسَهُم بِهَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُون} [الأعراف:٨].

قال جل وعلا: {فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ \* فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ \* وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ \* فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ} [القارعة:٦-٩].

هل الميزان واحد أم أنها موازين متعددة؟

الصواب أنه ميزان واحد، وإنها جاءت صيغة الجمع ونضع الموازين باعتبار ما يوزن عليه والله أعلم، فتوزن عليه الأعهال، لذلك جمع لفظ الميزان، فهو ميزان حقيقي، وأما الدليل على أن له كفتان فلها جاء في الحديث أنه يؤتى للرجل يوم القيامة بتسعة وتسعين سجلا فتوضع في كفة حتى يظن أنه هلك، فتخرج له بطاقة مكتوب فيها لا إله إلا الله، عنده التوحيد، وتوضع في كفة، فتثقل البطاقة وتطيش السجلات ولا يثقل مع اسم الله شيء.

هذا الحديث يدل على أن الميزان له كفتان، توضع فيهما الأعمال يوزن بهما العبد،

ولا يجوز أن يقال الميزان هو العدل، الميزان يدل على العدل وليس هو العدل، العدل ليس له كفتان، العدل لا يكون له كفتان، لكن الميزان يحقق به العدل.

ما الذي يوزن في الميزان؟

الذي يوزن في الميزان ثلاثة أمور، ثلاثة أشياء توزن، فتوزن الأعمال نفسها، العمل يوزن سواء كان من عمل بدني أو من عمل قولي أو من أعمال القلوب.

كيف توزن؟

علمها عند الله جل وعلا، قال النبي الله كما في البخاري: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»، وكذلك قوله الله الله العظيم، وكذلك قوله الله والحمد لله تملأ الميزان»، وفي قوله الله كذلك: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، فإنها يأتيان غمامتان أو غيايتان...» الحديث.

فإذا كان الله على جعل الأعمال على هذه الصفة تأتي يوم القيامة فله الحكمة البالغة بأن يوزنها كما شاء شي، يوزنها كيف شاء، وأيضًا جاء أن السجلات والصحف التي تكتب عليها الحسنات والسيئات توزن، لقوله شي: «إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول لا يا رب، ما

ظلموني، كتبوا الحسنات وكتبوا السيئات، قال: فيقول: ألك عذر؟ فيقول: لا يا رب» لأن الأعذار هذه تنفع مع الخلائق في الدنيا لكن ليس مع الله جل وعلا.

فإذا قصرت في حق المخلوق قال لك والله نسيت، والله مشغول، حصل لي ظرف، لكن التقصير في العمل ما تنفع فيه الأعذار بين يدي الله جل وعلا، ما تقول والله نمت، نسيت الصلاة، نسيت بر الوالدين، نسيت صلة الأرحام.

قال: «هل لك من عذر؟ قال: لا يا رب، قال: بلى، إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك، فيقول يا رب: ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟».

هو عنده التوحيد، ليس مجرد اللفظ، إنها عنده كلمة التوحيد والعمل بها، قال: « ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ تسعة وتسعين سجلا مد البصر، قال: فقال الله جل وعلا: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء» وهذا من إكرام الله على التوحيد، ومن إكرام الله جل وعلا لأهل الإيهان به.

كذلك مما يوزن على الميزان العامل نفسه، لكن العامل يوزن على الميزان على حسب عمله، قال الله المؤتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة فإن الميزان هنا ليس على حجمه وإنها على عمله، فهذا لا يزن شيئًا، إما

الكافر وإما الفاجر.

قال الله جل وعلا: {أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ فُيم مَلْ الله جل وعلا: {أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيم هَمُ هُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا } [الكهف:٥٠١]، وقد يكون الرجل نحيفا لكن عنده من الأواك، الأعمال ما يثقل به الميزان، كما قال على حينها كان ابن مسعود يجتني سواكا من الأواك، وكان دقيق الساقين هذه فجعلت الريح تكفؤه، تهزه.

فضحك القوم منه، الصحابة ضحكوا لأنه نحيف هم، فقال النبي على: «مما تضحكون؟ قالوا من دقة ساقيه، قال النبي على: والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أُحد» أثقل في الميزان من جبل أحد ساقا ابن مسعود هم. فضيلة عظيمة.

فإذًا يوزن العمل ويزن العامل وتوزن صحف الأعمال، ومن إكرام الله على الأيمان أن دلهم على أعمال تثقل بها موازينهم، فمن الأعمال التي تثقل بها الموازين قول الإيمان أن دلهم على أعمال تثقل بها موازينهم، فمن الأعمال التي تثقل بها الموازين قول لا إله إلا الله كما جاء في الحديث، فتثقل البطاقة، وكذلك حسن الخلق، قال في: «ما شيء أثقل في الميزان أو في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن» خلق حسن، البشاشة، كف الأذى، بذل الندى، التبسم في الوجه، التلطف، الاحتمال.

فقال على: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وإن الله ليبغض الفاحش البذيء سيء الخلق، حسن الخلق يستر كل ليبغض الفاحش البذيء سيء الخلق، حسن الخلق يستر كل عيب، وحسن الخلق لا يحتاج إلى مال يبذل و لا إلى متاع

يعطى، بل يحتاج إلى تبسم وحسن معاملة، هذا يحتاج إليه حسن الخلق.

كذلك الإكثار من قول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، كما جاء في الحديث: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»، وقول الحمد لله لقوله على: «والحمد لله تملأ الميزان».

ما فائدة هذا الميزان؟

إظهار عدل الله جل وعلا، فالله لا يظلم الناس شيئًا ولكن الناس أنفسهم يظلمون، يرى العبد أعماله بنفسه، نسأل الله أن يتجاوز عنها وأن يثقل موازيننا بالأعمال الصالحة، وهذا ينبه العبد على أن يجافظ على أعماله، إذا عملت أعمالا صالحة حافظ عليها.

كيف أحافظ عليها؟

تحافظ عليها مما يبطلها كالشرك والتوجه لغير الله جل وعلا، أو مما ينقصها من المعاصى، فإن هناك معاصى تنقص على العبد من حسناته، كما قال التدرون من

المفلس؟» المفلس ما عنده مال ولا عنده شيء، فقالوا بعرف الدنيا: قالوا من لا درهم له ولا متاع، هذا في الدنيا ما عنده متاع وما عنده مال.

قال: "إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة" عنده صلاة وعنده صيام وعنده زكاة، "يأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا، وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته" الذين ظلمهم، اغتابهم وقذفهم وظلمهم يأخذون من حسناته، نفذت الحسنات، ما بقي عنده شيء، ما الأمر؟ قال: "فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه" لا زال عليه حقوق، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار. تؤخذ من سيئاتهم عليه.

وقال في حال أيضًا بعض هؤلاء ممن تذهب حسناتهم الكثيرة قال: «لا أعلمن أقواما من أمتي يأتي يوم القيامة أو يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضا يجعلها الله في هباء منثورا» خاف الصحابة، قالوا يا رسول الله صفهم لنا، جلهم لنا ألا نكون منهم، قال: «أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كها تأخذون» يعني لهم صلاة في الليل، «ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها».

إذا خلوا فيها بينهم وبين الله عصوا الله جل وعلا وفرطوا في حقه، والله جل وعلا قال: {يَسْتَخْفُونَ مِنَ الله وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الله وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الله وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الله وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ اللهَ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ} [النساء:١٠٨].

وإذا خلوت بريبة في ظلمة

والنفس داعية إلى العصيان

فاستح من نظر الإله وقل لها

إن الذي خلق الظلام يراني

الذي خلق الظلام يراك، الإنسان لا يفرط في حسناته، كذلك من الأمور التي يعتني بها العبد وهو يعلم أمر الميزان أن يبادر إلى الأعمال، يبادر إلى العمل الصالح، ويسارع، الله جل وعلا قال: {فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ \* فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ \* وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ \* فَارٌ حَامِيَةٌ } [القارعة:٦-١١].

نقف على هذه المسائل ونكمل ما بقي من مسائل الإيهان باليوم الآخر في الدرس القادم إن شاء الله،

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليها كثيرا.

## الدرس الثالث عشر:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليها كثيرا.

أما بعد ...

تقدم معنا في الدرس الماضي الكلام عن بعض مسائل الإيمان باليوم الآخر.

ومن المسائل المتعلقة باليوم الآخر مسألة صحائف الأعمال، قبل أن نتكلم عن صحائف الأعمال يحسن أن نذكر الأدلة على أن الملائكة تتولى كتابة الحسنات والله جل وعلا ذكر في كتابه في بعض الآيات أن الملائكة هم من يتولون كتابة صحف الأعمال، ونسب الكتابة إلى نفسه على وذكر في بعض الآيات الكتابة دون نسبتها إلى فاعل.

قال الله جل وعلا في بيان أن الملائكة يكتبون: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ \* كِرَامًا كَاتِبِينَ} الإنفطار: ٩-١٠] وقال جل وعلا: {مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد} كَاتِبِينَ} الإنفطار: ٩-١٠] وقال جل وعلا: {إِنَّ لَهُ لَنَا يَكْتُبُونَ مَا آَقَ: ١٨]، ملك عن يمينه وملك عن شهاله، وقال جل وعلا: {إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا عَكُرُون} [يونس: ٢١].

قَالَ ﷺ: {أَمْ يَخْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْمِمْ يَكْتُبُون}

[الزخرف: ٨٠]، وقال جل وعلا في نسبة الكتابة إليه على قال: {وَالله يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ} [النساء: ٨١] وقال جل وعلا: {وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا} [النبأ: ٢٩]، وقال جل وعلا: {وَجُعَلُوا اللَّائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُون} [الزخرف: ١٩].

وجاءت السنة أيضًا ببيان كتابة بعض الأعمال التي تكتبها الملائكة، ومن ذلك ما يحصل في يوم الجمعة، قال على: «إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول، ثم قال: ومثل المهجر يأتي مبكر كمثل الذي يهدي بدنة، ناقة، ثم كالذي يهدي بقرة ثم كبشا ثم دجاجة ثم بيضة، فإذا خرج الإمام طووا صحفهم ويستمعون الذكر»(۱)، إذًا هذه من الأمور التي يكتبها الملائكة.

وكذلك جاء في السنة ما يدل على كتابة بعض الألفاظ في الذكر، فإن النبي على سمع رجلا وراءه بعد أن قال سمع الله لمن حمده، سمع رجل يقول: ربنا ولك والحمد حمدا كثيرا طبيا مباركا فيه، فقال النبي على بعد أن انصرف من الصلاة قال: «من المتكلم؟ قال الرجل أنا، قال: رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أولًا».

يقول قائل: الملائكة تكتب كل ما يقوله العبد من الطاعات، فما الميزة في هذا؟ نقول الميزة في هذا الذكر، من الأذكار التي يقولها العبد المأموم إذا قال الإمام

\_

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري حديث: ٩٠١

سمع الله لمن حمده أن يقول ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه.

وكان من فضل الله على ورحمته أنه يضاعف لنا الحسنات التي تكتب، جاء من حديث ابن عباس عن النبي فيها يرويه عن ربه الحديث القدسي أن الله على قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن هو هم فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعهائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة ولم يعملها كتبها الله له عنده حسنة». (۱)

سيئة لكن لم يعملها، «فإن هو هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة» هذا من فضل الله، الحسنات تتضاعف الحسنة إلى عشر أمثالها إلى سبعهائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والسيئة تفعل فتكتب سيئة، نعمة عظيمة.

ودلت أيضًا الأحاديث أن من هم ببعض السيئات أنها قد تكتب عليه سيئة وإن لم يعملها، فما الجمع بين الحديثين؟ الجمع بين الحديثين أن السيئة التي هم بها صاحبها فكتبت عليه سيئة ولم يعملها أنه عزم على أن يعملها ومنعها منه مانع، هم أن يعمل السيئة ما الذي منعه منها؟ ما عنده مال يفعل هذه السيئة، أو ما استطاع أن يذهب إليها ولكنه عزم على فعلها فهذه تكتب عليه سيئة.

أما إذا جاء الهم أو حدثته نفسه بمعصية لكنه قطع هذا الهم وانقطع عنه فتكتب له

\_\_\_

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري حديث:٦١٣٦

حسنة.

أيضًا من الأمور التي تكتب للعبد التسبيح، قال النبي على: «أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟ قال أحدهم كيف؟ قال: يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة أو يحط عنه ألف خطيئة» مائة تسبيحة، سبحان الله، إذًا الملائكة تكتب صحائف الأعمال، والإنسان محاسب على كل ما يقول ويفعل.

وهذا يدل ما سبق من الأحاديث يدل على خطورة الكلمة، الكلمة قد يرفعك الله هي المنازل العالية، وقد تكون هذه الكلمة سببا لهلاكك وترديك، ولذلك قال والله العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله يدخل بها الجنة، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تهوي به في النار سبعين خريفا» في رواية قال: "إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا» ما يحسب حسابها كما يقول بعض الناس أنا ما قصدت، يقول الكلمة الجارحة، الكلمة القبيحة، فيقول أنا ما قصدت.

إذًا النظر هنا ليس للقصد، النظر هنا إلى حبس اللسان، لا بد أن تحبس لسانك عن الكلام السيء، الكلمة إذا أنت لم تنطق بها فأنت تملكها، هي ما زالت في ملكك أنت، لكن إذا نطقت بها تنطق بالكلمة تحاسب عليها، قد يقام عليك حد، قد يقام عليك تعزير، قد تسجن، تفرض عليك عقوبات لأن صارت هذه الكلمة هي التي عليك تعزير، قد تسجن، تفرض عليك عقوبات لأن صارت هذه الكلمة هي التي

(١) أخرجه البخاري حديث:٦١٢٣

علكك لأنك نطقت بها.

إذًا العبد يتحرز ماذا يقول، إذا تكلم العبد فإنها يقول خيرا أو ينمي خيرا، هذا الذي يقوله، لا يتكلم بالكلام القبيح الذي يكسب به سيئات، إنها يحرص على الكلام الحسن، الملائكة تكتب، كل شيء يقيد عليك، وإذا غافلت المخلوق فإنك لا تغافل الخالق الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يعلم كل شيء.

إذًا هذا الأمر وهذه الصحائف التي تكتبها الملائكة يجدها العبد يوم القيامة، قال الله جل وعلا: {وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا \*اقْرَأُ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء: ١٣-١٥]، أنت اقرأ في الكتاب وانظر ماذا كتبت لك فيها، هل ظلمك أحد من الملائكة؟ ما يظلموك؛ لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، هم ما يفترون على الخلق، كل كلمة تجدها في كتابك، كل فعل تجده في كتابك، {اقْرَأُ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}.

فيعطى العباد أهل الإيهان وأهل الصلاح يعطون كتبهم بيمينهم، وأهل الكفر يعطون كتابهم بشمالهم من وراء ظهرهم، قال ربنا جل وعلا: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِعَطُونَ كتابهم بشمالهم من وراء ظهرهم، قال ربنا جل وعلا: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِعَطُونَ كتابهم بشمالهم من وراء ظهرهم، قال ربنا جل وعلا: {فَأُمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهُ \* إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهُ \* فَهُو فِي عِيشَةٍ رَاضِيةٍ بِيمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيهُ \* كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِهَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيةِ } \* فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ \* قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ \* كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِهَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيةِ }

[الحاقة:١٩-٢٤] يفرح، يبتهج، يسعد، يجد كتابه مليء بالحسنات، قدم في الدنيا ووجد في الآخرة.

لكن الآخر الذي تهاون بأمر الله امتلأ قلبه حقدا وحسدا وامتلأ لسانه غيبة ونميمة وكذبا وبهتانا وافتراء، ماذا يجد؟ {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِهَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ وَنميمة وكذبا وبهتانا وافتراء، ماذا يجد؟ {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِهَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمُ أُوتَ كِتَابِيَهُ \* وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهُ \* يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ } [الحاقة: ٢٥ - ٢٧] الموت الذي كان في الدنيا يا ليته كان آخر شيء، ما في حساب ولا بعث ولا نشور.

{يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهُ \* هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهُ} [الحاقة: ٢٨- ٢٩] ما نفعني مال ولا نفعني السلطان ولا نفعني الجاه، ما نفعني شيء، قال جل وعلا: {يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَؤُونَ كَتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلا} [الإسراء: ٧١]. الله جل وعلا لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

ومما يدل على أمر الصحف في السنة ما جاء في حديث التسعة وتسعين سجلا الذي تقدم معنا، الرجل الذي يمد له تسعة وتسعين سجلا مد البصر، ثم تخرج له بطاقة مكتوب فيها لا إله إلا الله، فتوضع هذه السجلات التي فيها سيئات في كفة وتوضع البطاقة التي فيها لا إله إلا الله في كفة فتثقل البطاقة وتطيش السجلات، ولا يثقل مع اسم الله شيء.

وجاء من حديث عائشة أنها ذكرت النار فبكت، قال النبي على: ما يبكيك؟ قالت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فجاء في الحديث أن العبد يذكر أهله يوم القيامة عند الميزان وعند الكتاب، وقرأ: {هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيهُ}.

وجاء في المسند أن النبي على قال: «الدواوين عند الله على ثلاثة، ديوان لا يعبأ الله به شيئًا، وديوان لا يغفره الله» دواوين الكتب، «فأما الديوان الذي لا يغفره الله فقد حَرَّمَ الله الديوان الذي لا يغفره الله فقد حَرَّمَ الله عليه الجُنَّة } [المائدة: ٢٧].

والديوان الذي لا يعبأ الله به شيئًا فظلم العبد نفسه فيها بينه وبين ربه من صوم يوم تركه أو صلاة تركها أو نحو ذلك فإن الله على يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئًا بل يقتص به من العباد قال: فظلم العباد بعضهم بعضا، القصاص لا محالة، لا تتكلم في عبد بكلمة تسوؤه، فإنك تجدها من المظالم التي لا يغفرها الله على لا بد فيها من القصاص، تقول فيه كلمة، تستهزئ به، تسخر منه، تغتابه، تكذب عليه، تحاكيه في أمر على سبيل التنقص، تقلد مشيته، أو تقلد طريقة كلامه أو نحو ذلك على سبيل التنقص فلا شك أن هذا من المظالم، فينظر العبد.

وعجيب ابن آدم، ابن آدم في غفلة شديدة، حافظ على حسناتك، لا تتكلم بفلان أو فلان، فلان قال، فلان فعل، فلان جاء، فلان ذهب، فلان راح، ويكون هذا على

سبيل الغيبة وليس على سبيل الوصف، فكما مر معنا أن الإنسان يأتي بالحسنات العظيمة لكن يجعلها الله هباء منثورا، يأتي وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا واغتاب هذا، فهذا يأخذ من حسناته وهذا يأخذ من حسناته، ما هذه الغفلة؟ تصلي وتصوم وتقرأ القرآن ثم تهب حسناتك للناس، هذا حمق، وإلا الإنسان يحافظ على الحسنات.

لو عندك مال تجمع في هذا المال في التجارة، فهل تترك هذا المال مفتوح أمام الناس كل واحد يأخذ منه شيئًا؟

لا، إذاً حسناتك أعظم من مالك، حافظ عليها، اجعلها في مكان مصون، تحرز عن أن يأخذ منها أحد شيئًا، تحتاج أنت إليها يوم القيامة، تحتاج إلى هذه الحسنات، احرص تحتاج إلى رحمة الله جل وعلا، فلا تفرط ولا تتساهل فيها يذهب الحسنات، احرص على أن تعمل الأعهال التي تذهب عنك سيئاتك، وليست تذهب حسناتك لا، الحسنات حافظ عليها، احرص عليها، حسنة واحدة تذهب منك لماذا؟ لماذا تذهب حسنة واحدة؟

في لحظة لا تنتبه فيها لهذا الأمر، تتساهل فيها وأنت أحوج ما يكون إليها، فأنت لا تدري كم عندك من حسنات ولا تدري كم تقبل الله جل وعلا منك، هل عندك علم أن الله تقبل منك صليت تقبل الله منك هذه الصلاة، تعلم هذا الشيء؟ أنت متيقن

ذلك؟ تحسن الظن بالله جل وعلا، ولكن هل أنت متيقن أنها قبلت منك؟

إنها يتقبل الله من المتقين، صليت وصمت ودعوت واستغفرت، ما تدري قُبل منك العمل أم لم يقبل منك، الله على لما وصف المؤمنين قال: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتُوا وَقُلُو بُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَهُمْ إِلَى رَبِّمِمْ رَاجِعُون} [المؤمنون: ٢٠] يفعل العبادة وقلبه خائف ألا يقبل منه، أنت غير متيقن أن الله تقبل منك الحسنات وتقبل منك الطاعات وتقبل منك الاستغفار وتقبل منك قيام الليل ثم بعد ذلك تتهاون في أمر الحسنات، فلا شك أن هذا من الغفلة الشديدة.

الإنسان ينظر في أعماله وينظر فيما ينجيه بين يدي الله ويستغفر ويتعامل مع الناس بالمعاملة الحسنة، ويحسن الظن ويجتنب الغيبة ويجتنب الكذب ويجتنب السخرية.

ثم من مسائل الإيمان باليوم الآخر مسألة الشفاعة، والشفاعة هي طلب الرسول وللله في الدار الآخرة حصول منفعة لأحد من الخلق.

ودلت الأدلة الكثيرة على حصول الشفاعة، وهي نعمة ومنة من الله جل وعلا في موقف عصيب يحتاج الإنسان إلى مثل هذا الأمر أن يشفع له من يخرجه من النار، أو من يكون سببا في عدم إدخاله إلى النار.

قال الله جل وعلا: {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ} [البقرة:٥٥]، وقال

تعالى: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لَمِنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} [الأنبياء: ٨٦] وقال تعالى: {وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّهَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ مُشْفِقُونَ} [الأنبياء: ٨٦] وقال تعالى: {وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّهَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ مُشْفِقُونَ} [النجم: ٢٦].

ومما يدل على أمر الشفاعة حديث الشفاعة الطويل، في الصحيح قال النبي على: «فأذهب إلى ربي فإذا رأيته خررت له ساجدا فأحمد ربي بمحامد يفتحها على لا أحسنها الآن، فيقول لي: أي محمد، ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع، قال: فأقول رب أمتي أمتي، فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة».

وأبو هريرة الله بعظم الشفاعة قال يا رسول الله أي الناس أسعد بشفاعتك كما في الحديث في الصحيح قال أبو هريرة أي الناس أسعد بشفاعتك؟ فقال النبي الله الله عن الله الله عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيته من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله يبتغي ما وجه الله الله .

هذه الشفاعة ليست بطلب الوساطة من الأموات، فإن هذه شفاعة منفية لا تجوز، وهذا ما كان يفعله المشركون، قالوا: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى الله زُلْفَى} [الزمر:٣] قالوا أنتم شفعاؤنا عند الله، وإنها الشفاعة تكون يوم القيامة بالنجاة من النار أو بغير ذلك مما جاء في النصوص ولها شرطان، الشرط الأول: فإذن الله جل وعلا للشافع،

والشرط الثاني: رضا الله عن المشفوع.

قال جل وعلا: {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ} لا بد من الإذن من الله، والأمر الثاني: قال الله جل وعلا: {وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لَمِنِ ارْتَضَى} [الأنبياء:٢٨] وجمع الله على الشرطين في قوله: {وكم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّهَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ الله لَم يشاء ويرضى بهذه الشفاعة.

فإذًا لا بد من رضا الله جل وعلا عن المشفوع له، هذا هو الوارد في النصوص إلا في قصة أبي طالب فإنه وإن لم يكن رضا من الله على ولكن النبي شفع لعمه أبي طالب فانتقل من مكان في النار إلى ضحضاح من نار، إلى مكان آخر، يرى نفسه أشد أهل النار عذابا وإنه أهون أهل النار عذابا، هو في هذا المكان يعتبر من أخفهم عذاب لكن هو يرى نفسه أشد أهل النار عذابا.

أما الشفاعة التي لا يرضاها الله جل وعلا فهي الشفاعة التي كان يطلبها المشركون من غير الله ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، ويستشفعون بهم، الشفاعة ثابتة، ومن ذلك شفاعته لله لأهل الكبائر من أمته كها قال الله الكبائر من أمتي أنكر هذه الشفاعة الخوارج والمعتزلة ومن معهم.

وهذه الشفاعة الثابتة أنواع منها الشفاعة العظمى التي تكون في عرصات يوم

القيامة، وهي من خصائصه والله على جاء في الحديث: حتى تنتهي الشفاعة إلى نبينا والقيامة، وهناك الشفاعة في دخول المؤمنين فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود، هذه الشفاعة، وهناك الشفاعة في دخول المؤمنين إلى الجنة، هم من أهل الإيهان، قال النبي والله وأنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا».

وأيضًا هناك الشفاعة لأناس استحقوا النار لكن لا يدخلوها، الشفاعة في ألا يدخلوها، واستدل العلماء على هذا بحديث قول الأنبياء، اللهم سلم سلم، يعني أناس استحقوا النار أن يدخلوها فيدخلهم الله الجنة في ذاك الموقف، وأيضًا الشفاعة في قوم دخلوا النار أن يخرجوا منها، ناس سقطوا من على الصراط، دخلوا النار، فيشفع لهم في أن يخرجوا منها ويدخلوا الجنة.

قال أنس النبي النبي النبي النار من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن بُرة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ما يزن من النار، ثم غنرة النار التوحيد، ليس مشركا، ليس كافرا، فيخرج من النار، إما بشفاعة الأنبياء وشفاعة الصالحين وبشفاعة الملائكة كها جاء في الحديث، كان جابر يحدث عن النبي النار قوما من النار يخرجون بالشفاعة.

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري حديث:٤٤، وأخرجه مسلم حديث:٤٠٣

\_

وأيضًا من أنواع الشفاعة الثابتة: ما تقدم الإشارة إليه وهي شفاعته والعمه أبي طالب، قال النبي والله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه»، في ضحضاح، ما كان في النار، ليس في عمقها، لكن يرى نفسه أشد أهل النار عذابا.

وهناك شفاعة الأنبياء والملائكة والمؤمنين، قال النبي على: «يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم، قبيلة بني تميم، بشفاعة رجل من هذه الأمة يدخلون، من هذا الرجل؟ الله أعلم، قالوا يا رسول الله سواك؟ يعني شخص غيرك؟ قال نعم سواي».

ومن أدلة الشفاعة من الملائكة قول الله على: {وَكَم مِّن مَّلَكِ فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي وَمن أدلة الشفاعة من الملائكة قول الله على ا

الشهيد الذي قتل في المعارك وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا هذا يشفع في أهل بيته، يشفع في سبعين من أهل بيته كها قال في فيها رواه أبو داود بسند صحيح «يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته»، هذه الشفاعة من أصول الاعتقاد وهي ثابتة بالأدلة كها ذكرنا من أدلة الكتاب والسنة.

يقول قائل: ما ورد في مثل قول الله جل وعلا: {وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن

نَفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُون} [البقرة: ٤٨]، يقال هذه الشفاعة إنها وردت في رد الشفاعة الباطلة، لأن الأصل إعهال جميع الأدلة، فلا يجوز أن نأخذ بدليل ونبطل الأدلة الباقية، الأدلة جاءت بإثبات الشفاعة وجاء هذا الدليل بنفى هذه الشفاعة المراد بالشفاعة الباطلة شفاعة المشركين.

وهل هذه الشفاعة دليل على أو من نفى هذه الشفاعة قال هذه الشفاعة تكون إذًا بعض العباد أرحم من الله؟

لا، فيشفع لبعض الناس، نقول هذه الشفاعة هي من رحمة الله جل وعلا بالعباد أن من الناس من لا يعذبه الله جل وعلا، من رحمة الله بالعباد أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة، من رحمة الله بالعباد أنه يشفع في هؤلاء ملائكته وأنبياءه وعباده الصالحين.

وهذه الشفاعة جاءت في الكتاب وجاءت في الأحاديث، منها أحاديث الصحيحين وبلغت مبلغ التواتر، وإن كانت آحادا فكذلك يؤخذ بها ولا يجوز أن ترد، قلنا كل ما ثبت عن النبي على كان متواترا هذا الحديث أو آحادا يجب العمل به، إذا حفته القرائن ودلت على صحته فهو يفيد العلم والعمل كذلك.

من المسائل كذلك التي تكون يوم القيامة مسألة الحوض، والحوض هو ما جاء في الكتاب والسنة من وجود حوض يجمع الماء النازل من الكوثر في عرصات يوم

القيامة، وهو خاص بالنبي هي، وهل لأنبياء أحواضا؟ نعم، قال هي: «إن لكل نبي حوضا يوم القيامة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة» فالحوض الذي نحن نتكلم عنه هو الحوض الخاص بالنبي هي، وبقية الأنبياء لهم أحواض، لكن أكثر ما يرد على الأحواض هو حوض رسول الله هي.

قال الله جل وعلا: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكُ الْكُوثَر} [الكوثر:١] قال النبي على: «أتدرون ما الكوثر؟ قلنا الله ورسوله أعلم، قال: نهر وعدنيه ربي على عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السهاء، فيختلج العبد منهم فأقول ربي إنه من أمتي» الملائكة تبعده عن الحوض، فيقول: رب إنه من أمتي، كيف يعرف أنه من أمته؟ آثار الوضوء، قالوا فيقولون ما تدري ما أحدثت بعدك، يعني هذا رده لأنه من المحدثين في الدين.

جاء في رواية: قالوا لا تدري ما أحدثوا بعدك وبدلوا، قال على: «سحقا لمن أحدث وبدل».

كذلك قوله على الحوض، فمن ورده شرب منه ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبدا ليرد على أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم، قال أبو سعيد قال إنهم مني، في تكملة الحديث، فيقال إنك لا تدري ما بدلوا بعدك، فأقول سحقا سحقا لمن بدل بعدي»، يعني زاد في الدين، أنقص منه، ركب المحدثات والبدع

والضلالات، النبي الله كان في خطبه يقول: أن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

النبي النبي الدين، البدع، لكن الناس يركبون البدع، حذرنا من الزيادة في الدين والناس يضيفون في الدين، يستحسنون، هذا يستحسن في الأذكار وهذا يستحسن في الأفكار وهذا يستحسن في العبادات وهذا يستحسن في العقائد، وابتعدنا عن الدين الأفكار وهذا يستحسن في العبادات وهذا المحدثات الكثيرة في الدين الفرق الكثيرة الذي أنزل على نبينا الله والحزاب وجماعات وتفرقات.

الدين الذي نزل واحد أو عشرين؟ دين واحد، لماذا الأمة إلى أحزاب وفرق؟ لأنها ابتعدت عن الدين الذي أنزل على نبينا هم الدين الذي أنزل على نبينا ته تمسك به الصحابة فكانوا على قلب رجل واحد، لكن لما زادت أهل البدع، خرجت الخوارج قاتلت الصحابة، وجاءت المعتزلة وقدمت العقل على النقل، وجاءت الصفاتية ونفوا الصفات عن الله، وجاءت الرافضة وأنكروا القرآن وطعنوا في الصحابة، وجاء بعد ذلك أتباع هؤلاء وخرجوا على الأمة، هذا يقتل وهذا يكفر، وهذا يدمر، وهذا يخرج على جماعة المسلمين، تفرقت الأمة.

المجزوم به أن هذه الفرق لا تتمسك بالدين الذي أنزل على النبي الله كما أنزل، وإنها هذه تضيف عبادة وهذه تضيف عقيدة وهذه تضيف شيء، والنبي الله لما ذكر

الافتراق قال: كلها في النار إلا واحدة، التي تنجو من العذاب، قالوا من يا رسول الله؟ قال: هي مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي، الذي يتمسك بالذي أنا عليه اليوم وما عليه أصحابي هذا ينجو، الذي يتمسك بم لست عليه اليوم، الذي يتمسك بم هو بعد ثلاثمائة سنة أو بعد خمسمائة سنة من الإحداثات والزيادات في الدين هذا لا ينجو.

فاثنين وسبعين من الفرق المنتسبة لهذه الأمة مستحقة للعذاب، فهؤلاء الذين يردون عن الحوض أحدثوا في الدين، زادوا وأنقصوا واستحسنوا وشرعوا فلذلك يردون عن الحوض، هم من أمته، يقول إنهم من أمتي، إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، سحقا لمن أحدث وبدل، إذًا لا تزد شيء من عندك، لا تستحسن شيء من عندك، لو كان الدين لنا نحن نقترح ولعقولنا أن تختار الشيء الذي هو من الدين وليس من الدين ما أنزل الله كتابا ولا أرسل رسولا، ترك الناس لعقولهم، ولو ترك الناس لعقولهم تركوا العبادات، وفعلوا الشرك والقبائح وسيء الأخلاق.

لكن الله جل وعلا قال: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَغْمَتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا } [المائدة: ٣] الدين كامل في جميع العبادات وفي جميع الطاعات وفي جميع الطاعات وفي جميع القرب كامل، تنزيل من حكيم حميد سبحانه جل في علاه، هو أعلم بمصلحة عباده فأنزل عليهم من الشرائع والأحكام ما هو نافع لهم.

جاء من حديث عقبة بن عامر أن النبي على أهل أحد صلاته

على الميت ثم انصرف على المنبر فقال: «إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن» الله جل وعلا كشف له الأمر، «وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها» التنافس في الدنيا.

وجاء عن ابن مسعود أن النبي على قال: «أنا فرطكم على الحوض وليرفعن معي رجال منكم ثم ليختلجن دوني، فأقول يا رب أصحابي، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، وجاء عن أنس أن النبي على قال: «ليردن على ناس من أصحاب الحوض حتى عرفتهم اختلجوا دوني فأقول أصحابي فيقول لا تدري ما أحدثوا بعدك» حملها العلماء على المنافقين الذين كانوا في زمن رسول الله على.

وقال كل في حديث أسماء: «إني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم وسيؤخذ أناس دوني فأقول يا رب مني ومن أمتي، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك، والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم»، كان ابن أبي مليكة وهو من رواة الحديث يقول: "اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو أن نفتن في ديننا"، الثبات على الدين أمره عظيم.

إذًا من هم جملة الذين يردون عن الحوض؟

يقول القرطبي المالكي رحمه الله: "كل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا

يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها والروافض على تباين ضلالها والمعتزلة على أصناف أهوائها".

ثم قال: فهؤلاء كلهم مبدلون، ثم قال: وكذلك ظلمة المسرفون في الظلم وتطميس الحق وقتل أهله وإذلالهم والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع، إذًا كل من خالف أمر الله على ولا سيها من أعلن ذلك فإنه يكون ممن يرد عن الحوض، هذا الحوض كبير، قد جاء في وصفه أن النبي قال: «قدر حوضي كها بين أيلة وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السهاء».

وجاء أيضًا قوله على: «حوضي مسيرة شهر» شهر تسير إليه حتى تقطعه، وزواياه سواء، ماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك وكيزانه التي يشرب الناس بها كعدد نجوم السهاء، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدا، أسأل الله أن يرزقنا شربة منه لا نظماً بعدها أبدا.

وقال النبي على: «إن حوضي أبعد من أيلة من عدن قال: لهو أشد بياضا من الثلج وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه، قالوا يا رسول الله أتعرفنا يومئذ؟ قال: نعم، لكم

سيها ليست لأحد من الأمم، تردون علي غرلا محجلين من آثار الوضوء» يعرفهم بآثار الوضوء.

وجاء في رواية: مسيرة شهر، عرضه كطوله، هذا يدل على أنه يكون على صفة التربيع مربع، فعرضه كطوله، مسيرة شهر، فإذًا هو حوض عظيم ومورد كريم لا يعلم سعته على الحقيقة إلا الله جل وعلا، ماؤه أشد بياض من اللبن وأحلى من العسل وأشد بردا من الثلج كما ورد في بعض الأحاديث وأطيب ريحا من المسك، من يشرب منه لا يظمأ بعدها أبدا، وهو في غاية الاتساع، كلما شُرب منه زاد واتسع.

فهذه بعض مسائل ما يتعلق بالحوض، والحوض يصب من الكوثر بميزابين من ذهب ومن فضة، فالكوثر في الجنة والحوض في العرصات، فيصب الماء هذا من الجنة الذي يمتلئ به الحوض.

نقف على هذا ونكمل إن شاء الله في اللقاء القادم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## الدرس الرابع عشر:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليها كثيرا.

أما بعد ...

قد وقفنا على مسائل الإيهان باليوم الآخر، ومن هذه المسائل كذلك مسألة الصراط، والصراط هو الطريق المستقيم الواضح، ولذلك الله على قال: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَبِعُوهُ وَلاَ تَتَبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَقُونَ } [الأنعام:١٥٣]، وأما الصراط في عرصات يوم القيامة فهو الجسر لعلكُمْ تَتَقُونَ } [الأنعام:١٥٣]، وأما الصراط في عرصات وم القيامة فهو الجسر المدود على ظهراني جهنم، وجاء في وصفه أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف، يمشي عليه الخلائق بقدر أعهاهم.

قال الله جل وعلا في إثبات هذا الأمر: {فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الجُحِيم} [الصافات: ٢٣]، وقال جل وعلا: {وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتَّا مَّقْضِيًّا} [مريم: ٧١]، واردها يعني على النار فسر بأنه المشي على الصراط.

وأما من السنة من ذلك قوله على: «ويضرب جسر جهنم فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ اللهم سلم»، وجاء أيضًا في الحديث قوله على: «ويضرب

الصراط بين ظهراني جهنم أو بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها».

ولما سئل على عن هذا الصراط قال: «مدحضة مذلة، عليه خطاطيف كلاليب كأشواك السعدان» كما جاء في الوصف، تخطف الناس تأخذهم من على الجسر وترميهم إلى النار، قال أهل العلم: بحسب مسارعة العبد في هذه الدنيا بالقيام بالأعمال الصالحة تكون سرعته على هذا الصراط، كلما كان مبادرا إلى عمل الصالحات كان حاله على الصراط أسرع، وكلما كان بطيئا كان على هذا الصراط بطيئا.

متى يكون المرور على هذا الصراط؟

يكون على الصراط إذا انتهى أمر الميزان، وصحف الأعمال، والحوض، وهل الذي يمر على الصراط أهل الإيمان وأهل الكفر؟ لا، الذي يمر عليه أهل الإيمان، الكفار قبل ذلك يساقون إلى النار، أهل الإيمان منهم من يتجاوز الصراط إلى الجنة ومنهم من يقع بحسب عمله، عندهم الكبائر، عنده من الموبقات، عنده من المعاصي تأخذه هذه الكلاليب وتهوي به في النار.

ومن يمضي من أهل الإيهان فإنهم على أحوال، منهم من يمضي سريعا ومنهم من يمضي أقل من ذلك.

ما الترتيب بين أحداث يوم القيامة؟

جاءت الروايات فيها شيء من الاختلاف، هل الحوض قبل، هل الميزان قبل، هل

الصراط، لكن في جملة الأقوال؛

أن الترتيب هو الحوض ثم الميزان ثم الصراط، وهذا يحفظ بكلمة حمص، حوض، ميزان، صراط.

ما الحكمة من أن الله عَلَى نصب هذا الجسر على النار؟

الأصل في مثل هذه الأمور الغيبيات أن نقول الله أعلم، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، والله جل وعلا يقضي ما يشاء ويفعل ما يشاء، ولكن التمس بعض أهل العلم حكما وقالوا من ذلك ظهور فضل المؤمنين على غيرهم، فغيرهم يسقط والمؤمنون أصحاب الأعمال الصالحة الذين صبروا في الدنيا ينجيهم الله على الصراط، فأهل الفسق وأهل المعاصي يسقطون، وهذا من تفضيل الله على الإيمان.

لا يصح ولا يجوز إنكار الصراط وقد دلت عليه الأدلة الواردة، ولم ينكر هذا إلا المعتزلة، فهم قالوا هذا الصراط بهذه الدقة كيف يمر عليه الإنسان؟ هذا تعذيب، ما سبب قولهم هذا؟ العقل، ودائها هذا العقل لا يجوز لك أن تقدمه على النص، النص مقدم، الذي يجعل الكافر يمشي على وجهه أليس بقادر على أن يجعل المؤمن يسرع على هذا الصراط؟ بلى.

الله عَجْكَ يفعل ما يشاء ويقدر ما يشاء، ولا يجوز أن تقاس أفعال الله عَجْكَ بأفعال

الخلق، هذا القياس الفاسد هو عندما قاسوا أفعال الخالق على بأفعال المخلوق قدرة الخالق على بقدرة المخلوق فنفوا هذه الأمور، والواجب التسليم، فالله جل وعلا يفعل ما يشاء الله على الله على ما يشاء الله المورد المخلوق فنفوا هذه الأمور، والواجب التسليم، فالله جل وعلا يفعل ما يشاء الله الله المورد المعلى المورد المورد المورد والواجب التسليم، فالله جل وعلا يفعل ما يشاء الله المورد المورد والواجب التسليم، فالله جل وعلا يفعل ما يشاء الله المورد والواجب التسليم، فالله جل وعلا يفعل ما يشاء الله المورد والواجب التسليم، فالله جل وعلا يفعل ما يشاء المورد والواجب التسليم، فالله جل وعلا يفعل ما يشاء المورد والواجب التسليم، فالله جل وعلا يفعل ما يشاء المورد والواجب التسليم، فالله جل وعلا يفعل ما يشاء المورد والمورد والمو

فإذًا الصراط هو من أصول الاعتقاد التي وردت والتي تكون في مواقف يوم القيامة، من الناس في هذا الصراط من هو كالجواد المسرع ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يزحف على الصراط زحفا، فمنهم مخدوش ومنهم مجروح على هذا الصراط، ومنهم الناجي المسلم، من ينجو وينجيه الله من السقوط وينجيه من هذه الكلاليب، قلنا هذا كله بحسب عمل العبد وبحسب إسراعه في طاعة الله جل وعلا.

من المسائل المتعلقة بمواقف يوم القيامة مسألة الأعراف، الأعراف هي الحواجز المرتفعة في اللغة، وهو جمع عرف، والعرف المكان المرتفع، والعرب تسمي كل مكان مرتفع عرفا، وما ذكره العلماء في معنى الأعراف قالوا إما هو حجاب أو سور أو تل مشرف، يعني يصعد عليه الناس يشرف على غيره أو جبال بين الجنة والنار، وعلى كل حال كل هذه المعاني تدل على المكان المرتفع.

ذكر الله جل وعلا الأعراف قال جل وعلا: {وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ وَكُلَ الْأَعْرَافِ وَكُلُ اللَّعْرَافِ وَجَالًا يَطْمَعُونَ } [الأعراف:٤٦]، وقال جل وعلا: {وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً

يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيهَاهُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتكْبِرُون} [الأعراف: ٤٨] الآيات.

وقال الله جل وعلا: { فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابِ } [الحديد: ١٣] فسر بعض أهل العلم هذا السور أيضًا بالأعراف، اختلف العلماء اختلافا كثيرا وجمع بعض مشايخنا ما ورد في أقوال المفسرين في الأعراب لما يقارب عشرين قولا، ومن جملة هذه الأقوال ومن أشهرها قيل هم قوم صالحون، كانوا شاكين في الرزق، قيل هذا وصفهم، وقيل هم فضلاء من أهل الإيمان ولكنهم تفرغوا لمطالعة أحوال الناس، انشغلوا بالناس.

وقيل هم الشهداء الذين قتلوا في المعارك لكنهم خرجوا عصاة لآبائهم، وقيل أصحاب الذنوب العظام من أهل الإيهان، هم من أهل الإيهان لكن عندهم ذنوب عظيمة، وقيل قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، استوت الحسنات والسيئات، فهؤلاء الذين يكونون في هذه الحواجز بين الجنة والنار، لا يعذبون ولا ينعمون، قيل مآلهم إلى الجنة، لكنهم يوقفون على هذه الجبال، على هذه الحواجز.

وكثير من المفسرين اختار أنهم من استوت الحسنات والسيئات عندهم، كان عندهم عمل صالح وعندهم عمل فاسد، فاستوت حسناتهم وسيئاتهم، وهذا القول وارد عن جمع من الصحابة ورجحه ابن كثير، وإن كان لا يوجد عندنا دليل مرفوع إلى

رسول الله يرجح به في هذه المسألة، ولكن على كل حال من جملة الأقوال التي يعود إليها أو القول الذي تعود إليه جملة الأقوال هو القول بأنهم من استوت حسناتهم وسيئاتهم، كما قال ابن كثير رحمه الله.

من المسائل كذلك المتعلقة باليوم الآخر مسألة القنطرة، وما هي القنطرة؟ القنطرة قيل صراط مستقل، إذا انتهى الناس من المرور على الصراط، تجاوزوا الصراط فهناك قنطرة يمشون عليها إلى الجنة، يحبسون في هذه القنطرة، هل هي صراط مستقل أم هي امتداد للصراط؟ خلاف بين أهل العلم في هذه المسألة، فهي على قولين، قيل هذا وقيل هذا.

وعلى كل حال فليست هي من الصراط الذي يقع أصحابه منه إلى النار، لأن هذه القنطرة بعد أن يتجاوز الناس الصراط، فإذًا الذين يتجاوزون الصراط هم أهل الجنة، أهل الإيمان الذين يدخلون الجنة، والذي رجحه بعض أهل العلم كالحافظ ابن حجر رحمه الله أنها طرف الصراط من جهة الجنة.

من الأدلة على القنطرة الوارد في السنة: ما جاء في حديث أبي سعيد، قال و المخلص المؤمنون من النار» يعني من الصراط المنصوب على ظهراني جهنم، يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض المظالم التي كانت بينهم في الدنيا، بينهم شيء من الخصومات أهل الجنة يقتص

لبعضهم من بعض، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، يدخلون الجنة ليس في هذه القلوب شيء من التباغض و لا من الشحناء و لا من البغضاء، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة.

يقول ﷺ: «فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة بمنزله كان في الدنيا» ما معنى هذا؟ قد يقول قائل وهذا من تعليم الحكيم ﷺ أنه أخبرهم عن شيء ربها يكون في أنفسهم، يعني أنا إذا دخلت الجنة أين منزلي في الجنة؟ فيقول ﷺ: «فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة بمنزله كان في الدنيا» يعرف منزله في الجنة أكثر مما كان يعرف منزله في الدنيا أينها كان، الله جل وعلا يهديه إلى معرفة منزله في الجنة، جنة عرضها السهاوات والأرض، لكن الله ﷺ يوفقه لذلك.

من المسائل المتعلقة باليوم الآخر إثبات الجنة والنار، قال الله عن الجنة أعدت للمتقين وقال عن النار أعدت للكافرين، وجاءت الآيات والأحاديث الكثيرة في أمر الجنة والنار، قال أهل العلم: والجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن؛ لأن الله عجل قال أعدت للمتقين وأعدت للكافرين، وهذا شيء قد مضي.

قال أهل العلم: هما موجودتان مخلوقتان لا تفنيان أبدا ولا تبيدان، كما قال الطحاوي رحمه الله، لا تفنيان، فالله جل وعلا خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلا، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلا منه، فالناس يدخلون الجنة بفضل الله جل وعلا،

ليس مقايضة على أعماهم.

قال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة أحدكم بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه»، وهذا يجعل العبد يعمل العمل ويسأل الله ﷺ أن يتقبل منه هذا العمل، ولا يظن أنه بعمله هذا مستحق للجنة، وإنها يتنعم العبد في الجنة بفضل الله، إذا عذبوا فبعدله أو نعموا فبفضله وهو الكريم السامع.

إن أدخل الله على العباد النار فبعدله، وإن أدخلهم الجنة فبرحمته وفضله، ليس بأعمالهم، قول الله جل وعلا: {تِلْكُمُ الجُنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون} [الأعراف: ٤٣]، يعني هنا السبب لدخول الجنة الأعمال وليس أنك بأعمالك مستحق للجنة، الباء هنا سببية بها كنتم تعملون، وقول النبي في: «لا يدخل الجنة أحدكم بعمله» الباء هنا باء التعويض والمقايضة، يعني دخولك الجنة ليس تعويضا عن عملك أو مقايضة، وإنها برحمة الله جل وعلا.

فاتفق أهل السنة والجماعة أن النار والجنة مخلوقتان موجودتان، ولم ينكر ذلك إلا المعتزلة العقلانيون، فقالوا ينشئهما الله جل وعلا يوم القيامة، وقاسوا قياسا فاسد، فقالوا ما فائدة إنشاء الجنة الآن وهي فارغة من أهلها، لا شك أن هذا قياس فاسد، واعتراض على الله على الله على أفعاله، والله على يقول: لا يُسأل عما يفعل، فالله جل وعلا قال أعدت للذين آمنوا بالله ورسله، وقال عن النار:

أعدت للكافرين، وقال عن النار: إن جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا.

والنبي الله أطلعه الله على الجنة، أليس كذلك؟ ورأى فيها قصرا وحدث فيها بأمور رآها الله وهي من إطلاق الله جل وعلا له، بأمر غيبي، هذا يدل على أنها مخلوقة، النبي الله قال: «ثم انطلق بي جبريل حتى أتى سدرة المنتهى، في حادثة المعراج، قال: فغشيها ألوان لا أدري ما هي، قال: ثم دخلت الجنة، فإذا هي جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك» جنابذ اللؤلؤ قباب، وإذا ترابها المسك.

وقال على: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة» وهذا أيضًا يدل على أنها موجودة.

وجاء في حديث البراء بن عازب الطويل في حال العبد في القبر قال: ينادي مناد من السهاء أن صدق عبدي، أفرشوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها، روح الجنة من عرفها، وقال على كها في مسلم: رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم، وعدكم الله جل وعلا به، حتى لقد رأيتني أريد أن آخذ قطفا من الجنة حين وجدتموني جعلت أقدم، الرسول على وهو يحدث أصحابه تقدم.

قال: ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا حين رأيتموني تأخرت، أطلعه الله جل وعلا على هذا الأمر، قالوا في رواية أخرى قالوا: يا رسول الله: رأيناك تناولت شيئًا في

مقامك، ثم رأيناك تكعكعت، رجعت، فقال على: «إني رأيت الجنة فتناولت عنقودا ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا»، لو أخذت هذه الفاكهة لأكلتم منها ما بقيت الدنيا، «ورأيت النار فلم أر منظرا كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء».

قالوا بها يا رسول الله؟ جاء في رواية: يكفرن بالله؟ قال: «لا، يكفرن العشير، يعني الزوج، ويكفرن الإحسان، ينسين الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئًا قالت ما رأيت خيرا قط»، وجاء في صحيح مسلم أن النبي شيئًا قال: «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا» يعني من أمر الجنة ومما أعده الله على العذاب في النار.

أين مكان الجنة وأين مكان النار؟

النار وصفها الله عَلَى بقوله: {كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّين \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّين \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّين \* كِتَابُ مَّرْقُوم} [المطففين:٧-٩] ما هو سجين؟

قال أهل العلم: سجين مأخوذ من السجن وهو الضيق، الجنة واسعة والنار

تضيق على أصحابها.

أين مكان النار؟

قال أهل العلم: في مكان لا يعلمه إلا الله جل وعلا، وهي في سفل لا شك، كما قال الله جل وعلا: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِين} [التين:٥]، ولكن الله أعلم بهذا المكان، فلم يأت دليل يعين مكان جهنم، لكن عندنا يقين أن الله جل وعلا خلقها وأنها موجودة.

من المسائل المتعلقة بالجنة: هنا نذكر بعض مما ورد فيها، وإلا فإن المسائل والأحداث وما ذكر من النصوص في أمر الجنة كثيرة، لكن من أمر الجنة إثبات نعيم الجنة، وهذا أمر مستفيض في كتاب الله على وفي سنة النبي على قال الله جل وعلا: {وَبَشِّرِ الَّذِينِ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَمُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأَتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيها أَزْوَاجُ مُتُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيها خَالِدُون } [البقرة: ٢٥].

نعيم، هذا كله نعيم من الله، وقال: {وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاً جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاً ظَلِيلا} [النساء:٥٧]، وقال: {إِنَّ الْمُتَقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُون \* ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ آمِنِين \* طَلِيلا} وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلِّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِين \* لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبُ وَمَا

هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِين} [الحجر:٥٥-٤٨].

وقال جل وعلا: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ \* فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ \* كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ \* يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ \* كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ \* يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ اللَّوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الجُنجِيمِ \* فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [الدخان: ٥ - ٥٧].

فجاءت النصوص بذكر أوصاف الجنة بالعموم وبالتفصيل، ومن ذلك قوله على: «أُدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، قباب من اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك» وقال على عن الجنة عن تربتها قال: مسك خالص، وقال في ذكر بعض أوصاف ما في الجنة قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها».

وقال النبي ﷺ: «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، اقرأوا إن شئتم: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِي لَمُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون} [السجدة:١٧]»، قال ﷺ: «ولموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها» خير من الدنيا من أموالها وقصورها ومتاعها، مكان السوط، نعيم عظيم.

ومن المسائل المتعلقة بالجنة: أن أبوابها ثمانية، ذكر الله جل وعلا الأبواب في القرآن وجاء ذكر الأبواب في السنة، فمن القرآن قول الله تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى

الجُنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} [الزمر: ٧٣] أبواب الجنة، الله جل وعلا قال في أمر الجنة: وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا، قال في أهل النار، فتحت أبوابها دون وفتحت، ما الفائدة أن هذه فتحت وهنا سبقت بالواو؟

وفتحت أبوابها تمهيد، هم يمشون رأوها فتحت أبوابها يدخلون، لكن في النار تفاجؤوا فيها، فلم يكن هناك تمهيد لفتح أبوابها كها قال أهل العلم.

وجاء في السنة في حديث أبي هريرة في الصحيحين قوله على: «من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب البال البال المدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان».

قال أبو بكر الصديق على: والله يا رسول الله ما على أحد من ضرورة من أيها دعي، فهل يدعى منها كلها أحد؟ هل في شخص يدعى من جميع الأبواب؟ قال: نعم، وإني لأرجو أن تكون منهم، يا أبا بكر.

وقال الله كما في الصحيحين من حديث أنس: «في الجنة ثمانية أبواب، باب منها يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون».

من مسائل الجنة: أن الجنة درجات كما أن النار دركات، قال الله جل وعلا:

{وَفَضَّلَ الله الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا \* دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ الله غَفُورًا رَّحِيمًا} [النساء:٩٥-٩٦].

وجاء في الصحيحين أن النبي على قال: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، يرى بعضهم بعضا كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم» يعني أهل الجنة يتفاضلون، وهذه الدرجات تبين تفاضلهم.

قالوا يا رسول الله، تلك المنازل منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم غير الأنبياء؟ قال على الله و الله و الله و المرسلين اليست فقط للأنبياء، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله و صدقوا المرسلين اليست فقط للأنبياء، بل أيضًا لرجال آمنوا بالله و صدقوا المرسلين واتبعوهم وساروا على طريقتهم.

وجاء في حديث أبي هريرة: «إن الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة» قيل هذه الدرج أيضًا من ضمن الدرج وقيل هي بين الدرج وقيل غير ذلك من الأقوال.

وجاء في مسلم أن موسى الطَّيْكُ سأل ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ أقلهم منزلة، قال: رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له ادخل الجنة، فيقول أي رب وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذتهم؟ فيقال له: الناس أخذوا الأماكن، معنى ما يريد، فقال الله جل وعلا: أترضى أن يكون لك مثل مُلك مَلك من ملوك الدنيا؟

هذا أقل أهل الجنة، ترضى أن يكون لك مثل مُلك مَلك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت ربي، فيقول له: لك ذلك، ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت ربي، فيقول له: لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول رضيت ربي.

قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، قال: فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر، قال: ومصداقه في قول الله جل وعلا: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ هَمُ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِهَا كَانُوا يَعْمَلُون} [السجدة:١٧].

ومن مسائل الجنة: أنهار الجنة، فالله جل وعلا أخبرنا بأن الجنة تجري من تحتها الأنهار، قال الله جل وعلا: {وَبَشِّرِ الَّذِينِ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} [البقرة: ٢٥]، هذه من الأدلة على إثبات أنهار الجنة قول الله جل وعلا: {أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا} [الكهف: ٣١].

وفي الحديث يقول على: أخبر أنه رأى أربعة أنهار، يخرج من أصلها نهران ظاهران ونهران باطنان، قلت يا جبريل: ما هي الأنهار؟ قال: النهران الباطنان نهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات، والله جل وعلا ذكر ما في هذه الأنهار فقال: {مَثُلُ الْجُنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرُ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِن لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرُ طَعْمُهُ وَأَنْهَارُ مِن مَّن خَمْرِ لَنَّةٍ للشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِن قَالًا هذا ما في هذه الأنهار.

من المسائل كذلك وهي المسألة ما قبل الأخيرة: المساكن في الجنة، فالله جل وعلا أثبت المساكن لأهل الجنة فقال: {وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ} [الصف: ١٦] وسمى الله هذه المساكن في بعض الآيات بالغرف، قال الله جل وعلا: {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ هَمُ جَزَاء الضِّعْفِ بِهَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُون} [سبأ: ٣٧].

وقال جل وعلا: {أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِهَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاَمًا} [الفرقان:٧٥]، وقال جل وعلا: {لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَمُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَن فَوْقِهَا غُرَفٌ مِن تَعْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ الله لاَ يُغْلِفُ الله الْمِيعَاد} [الزمر:٢٠].

والنبي الله وصف هذه المساكن فقال: «إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام».

الله على وهي المسألة الأخيرة ذكر أسباب دخول الجنة العمل الصالح، الذين آمنوا وعملوا الصالحات في آيات كثيرة، لكن ذكر الله على في بعض الآيات أعمالا خاصة لدخول الجنة يدل هذا على أهميتها وعلى كبير منزلتها، ومن ذلك إخلاص الدين لله، أن يكون عملك خالص لله، في كل عبادة تتقرب بها إلى الله على قال الله جل وعلا: {أُولَئِكَ هُمْ رِزْقُ مَعْلُومٌ \* فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ \* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} [الصافات: ٤١-٤٣].

فهم مخلصين لله ومصطفين من الله جل وعلا، وكذلك كثرة العبادة والسجود، قال الله جل وعلا: {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ وَالله جل وعلا: {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهُمْ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُون \* تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المُضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَبِّهُمْ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُون \* تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المُضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَبِّهُمْ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُون \* تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المُضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَبِّهُمْ وَقُونَ \* فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِي لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون} [السجدة: ١٥ - ١٧].

وكذلك من الأعمال العظيمة التي يدخل الله أصحابها الجنة الصبر والتوكل على الله جل وعلا، {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنْبُوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجُنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَعُوِي مِن عَلَمُ اللهُ جل وعلا، {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنْبُوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجُنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَعُوكَلُون } تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِين اللهُ اللهَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتُوكَلُون } [العنكبوت:٥٨-٥٩].

وكذلك الذي يستقيم على دين الله بفعل ما أمر الله جل وعلا به أو أمر به رسوله

عَلَى وينتهي عما نهى الله جل وعلا عنه أو نهى عنه رسوله على فالله جل وعلا قال: {إِنَّ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون اللهُ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجُنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاء بِهَا كَانُوا يَعْمَلُون } [الأحقاف:١٣-١٤].

والله جل وعلا في أول السورة سورة المؤمنين ذكر أوصاف أهل الجنة فقال: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* اللَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغُو مُعْرِضُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِلْأَكَاةِ فَاعِلُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ \* فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ كَافِظُونَ \* أُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ كَافِظُونَ \* أُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ كَافِظُونَ \* أُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ كَافِظُونَ \* أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ \* الَّذِينَ يُرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [المؤمنون: ١ - ١ ١] كل هذه

الأعمال من أعظم الأعمال التي يدخل بها صاحبها إلى الجنة.

ومن الأعمال التي يدخل بها صاحبها إلى الجنة كذلك المحافظة على اثنتي عشر ركعة في اليوم والليلة، يقول على: «من صلى في يوم وليلة اثنتي عشر ركعة بنا الله له بيت في الجنة، أربعة قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل صلاة الغداة» قبل الفجر.

ومن أسباب دخول الجنة التعلق بالمساجد والذهاب إلى المساجد، قال على: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح»، ومن ذلك أيضًا المحافظة على الأذكار ومنها آية الكرسي، فإن النبي على قال: «من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة لم يحل بينه وبين دخول الجنة إلا أن يموت»، إذا قرأ هذه الآية بعد الصلاة ومات دخل الجنة.

ومنها كذلك بناء المساجد، فالنبي على قال: «من بنا مسجدا لله يبتغي به وجه الله بنا الله له مثله في الجنة»، فالأسباب في دخول الجنة كثيرة، وجملة هذه الأسباب فعل جميع الطاعات، فإنها كلها طريق إلى الجنة واجتناب المعاصى.

نسأل الله جل وعلا أن يرزقنا وإياكم الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## الدرس الخامس عشر:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليها كثيرا.

أما بعد ...

بقي من المسائل المتعلقة بالجنة، ونحن لا زلنا في الكلام عن الركن الخامس من أركان الإيمان وهو الإيمان باليوم الآخر.

فمن هذه المسائل كذلك رؤية الله جل وعلا، هذه المسألة من أشرف المسائل كما قال أهل العلم، وهي الغاية التي شمر لها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون وهي أعظم نعيم الجنة، الله جل وعلا ذكر هذا الأصل العقدي في كتابه والنبي في ذكره في سنته، وهي مسألة من مسائل أصول الاعتقاد خالف فيها من خالف من أهل البدع الجهمية والمعتزلة ووقف فيها أهل السنة والجهاعة مع النصوص الشرعية وما وردت فيه من الدلالات.

قد دل على هذه المسألة الكتاب والسنة والإجماع، وقبل أن نتطرق إلى هذه المسألة لابد نعلم، أن أحدا من الخلق لم ير ربه في هذه الدنيا لما جاء في الحديث: «إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»، فلا يجوز ادعاء أن الله عَلَى يُرى في الدنيا، فإن هذا لا يحصل، وهو

مخالف للنصوص، وإنها الرؤية التي جاءت بها النصوص هي الرؤية يوم القيامة سواء في العرض كها سيأتي معنا أو في الجنة.

والدليل على أن الله عَجْكَ يُرى في الآخرة قول الله جل وعلا: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ \* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } [القيامة:٢٢-٢٣]، وقول الله جل وعلا: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ } أي مشرقة، {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } أي تنظر إلى ربها وترى ربها.

خالف بعض الذين يقدمون العقل ويهملون النصوص فقالوا {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} يعني منتظرة، وهذا الكلام باطل، وذلك أن كلمة نظر في القرآن إما أن تعدى ب في، كقول الله عَلى: {أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ الله مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُون} [الأعراف:١٨٥]، إذًا هنا عُديت ب في.

فإذا عديت بـ في كان المراد من النظر هنا الاعتبار والتفكر، وليس نظر العين، وإذا لم تعد فيكون المراد منها الانتظار، لقول الله جل وعلا: {انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُورِكُمْ} [الحديد: ١٣]، يعني انتظرونا، وقول الله جل وعلا: {مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدة. وَاحِدة.

وأما إذا عديت ب إلى فإن المراد من ذلك نظر الأبصار، ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ \* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، إذًا تأتي على هذه الثلاث استعمالات، إن جاءت معداة ب في المراد به

التفكر والتدبر، وإما أن تأتي ب إلى المراد به نظر العين، وإما أن تأتي من غير تعدية فيكون المراد الانتظار.

ومن عجيب ما رأيت من اعتراضهم على هذه الآية أنهم قالوا: {وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ \* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}، إلى هنا ليست حرف جر، ما هي؟ قالوا إلى هنا اسم، وهي واحدة الآلاء، النعم، المنن، {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ} نعم ربها منتظرة، رد عليهم أهل العلم أهل الاعتقاد الصحيح قالوا لهم: الله على أخبر أن تلك الوجوه قد حصل لها النضارة، {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ}، يعني مشرقة، هذا نعيم، إلى ماذا تنتظر إذا كان هذا نعيم فقد حصل لها النعيم فإلى ماذا تنتظر؟

قالوا لا يكون شيء ينتظر بعد النعيم، ومما يقوي القول بأن المراد بها هنا الرؤية رؤية البصر لله على ما جاء عن ابن عباس أنه قال: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ} من النعيم، {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} تنظر إلى وجه ربها نظرا، وهو قول المفسرين من أهل السنة والحديث.

كذلك من الأدلة قول الله جل وعلا: {للَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} ايونس:٢٦] الحسنى الجنة والزيادة هي النظر إلى وجه الله ﷺ، جاء في مسلم من حديث صهيب أن النبي ﷺ قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار،

قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم، وهي الزيادة، ثم قرأ قول الله جل وعلا: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}».

من الأدلة كذلك قول الله جل وعلا: {وَلَّا جَاء مُوسَى لِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَيَّا أَنِظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الجُبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَيَّا أَنِظُرْ إِلَيْكَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنْ تَجَلِّ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا فَلَيًّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنْ أَقُلُ اللَّهُ مِنِين} [الأعراف: ١٤٣].

في قوله: قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ هذا في الدنيا، ما وجه الاستدلال من الآية مع أن فيها نفى رؤية الله جل وعلا؟

قاعدة: كل دليل استدل به أهل الانحراف على بدعتهم ففي هذا الدليل ما هو رد على هذه البدعة، لأن الأدلة الشرعية لا يمكن أن تكون مستندا للعقائد المخالفة، أهل العلم قالوا الدليل أن الله جل وعلا يرى في الآخرة من هذه الآية أنه لا يظن بكليم الله موسى ورسوله ونبيه وهو أعلم الناس بربه في ذاك الوقت، لا يظن به أنه يسأل الله على ما لا يجوز عليه، بل عنده أن الرؤية ممكنة، وهذا دليل متقرر عنده، لكن الممنوع أن الله جل وعلا لا يرى في الدنيا.

ثم في قول الله جل وعلا: {لَن تَرَانِي}، ولم يقل لا أُرى، قال {لَن تَرَانِي}، ولم يقل الله لا أرى. الله لا أرى.

الأمر الثاني: الله على ما أنكر عليه السؤال، لم يقل يا موسى لماذا تسأل هذا السؤال، وإنها الله جل وعلا قال {لَن تَرَانِي}، وعلق هذا الأمر بشيء ملموس، فقال: {وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الجُبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي}، لم ينهاه الله على الله على الله على الله على عنه كها قال الله على لنوح عندما سأله أن ينجي ابنه أنكر الله على عليه هذا السؤال، فقال: إنِّي أعظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الجُاهِلِينَ} [هود: ٢٦]، لكن لم ينكر على موسى هذا، فدل هذا على أن الله على يرى لكن في الدنيا لا يمكن أن تتحقق هذه الله ؤية.

كذلك من الأدلة قول الله على: {لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُو يُدْرِكُ الأَبْصَارُ وَهُو الله على اللَّطِيفُ الْخَبِير} [الأنعام:١٠٣]، قالت المعتزلة: لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ معناها لا يرى، قال لهم أهل العلم: بل هذا الدليل من الأدلة على أن الله يرى، كيف ذلك؟ الإدراك غير الرؤية، الإدراك هي الإحاطة بكل شيء، ولذلك الله على آية أثبت الرؤية ونفى الإدراك، قال في قصة موسى: {فَلَمَّ اتراءى الجُمْعَانِ}، ما معنى تراءى الجمعان؟ يعني هذا يرى هذا يرى هذا، من مع موسى يرون فرعون وجنده وفرعون وجنوده يرون موسى ومن معه، {فَلَمَّ اتَرَاءى الجُمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُون} يعني إنه [الشعراء: ٢٦] إذا كانت الرؤية هي الإدراك فلهاذا يقولون إنا لمدركون؟ يعني إنه لمحاط بنا، وليس معناه إنهم سيروننا، لأن الله جل وعلا أثبت هذا فقال: {فَلَمَّا تَرَاءى

الجُمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ} {قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِين} [الشعراء: ٦٢]. لم يحصل الإدراك لكن حصلت الرؤية. فإذًا لا يجوز الاستدلال بهذه الآية على نفى الرؤية.

ودلت السنة على هذه المسألة العظيمة التي هي أعظم نعيم الجنة، وروى أحاديث الرؤية الكثير حتى قال ابن القيم رحمه الله: وأما الأحاديث عن النبي وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة رواها عنه أبو بكر الصديق وأبو هريرة وأبو سعيد وجرير وصهيب وابن مسعود وعلي بن أبي طالب وأبو موسى وعدي بن حاتم وأنس بن مالك وبريدة وأبو رزين وجابر وأبو أمامة وزيد وعار وعائشة وابن عمر، وذكر جمعا كثيرا من الصحابة كلهم رووا أحاديث الرؤية، فلا يجوز أن تؤول أو أن يقدم العقل فتنفى.

وهذه الأحاديث التي رواها هؤلاء الصحابة الجمع ذكرها أصحاب الصحيحين والمسانيد والمجامع والسنن والمعاجم وكل من ألف في جمع حديث رسول الله على ذكروا أحاديث الرؤية.

من ذلك ما رواه الشيخان عن أبي هريرة أن النبي على سئل يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟» القمر ليلة البدر هل ترونه؟ هل يحصل أنكم لا ترونه؟ قالوا لا، نراه، فقال

وجاء من حديث جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا جلوسا عند النبي في فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة وهو بدر مكتمل قال: «إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته» لا تزدحمون في رؤيته، هذا التشبيه من النبي الله الرؤية بالرؤية، كما أننا نرى هذا القمر فكذلك نرى ربنا نسأل الله جل وعلا أن يمن علينا بهذا الفضل.

وجاء في الصحيحين من حديث أبي موسى أن النبي على قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن يرونا رجهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»، ونقل الإجماع على هذه المسألة جمع من أهل العلم، نقل ذلك عبد الغني المقدسي قال: وأجمع أهل الحق واتفق أهل التوحيد والصدق أن الله تبارك وتعالى يُرى في الآخرة كما جاء في كتابه وصح عن رسوله.

وذكر ذلك أيضًا أبو العز الحنفي شارح الطحاوية رحمه الله، قال: وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين وأهل الحديث

وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة.

ونقل كذلك الإجماع النووي رحمه الله، ونقل كذلك الإجماع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيرهم من أهل العلم والفضل.

من المسائل المتعلقة بالرؤية ما يكون في العرصات قبل دخول الجنة، من الذي يرى الله في العرصات؟

المسألة على ثلاثة أقوال، هذا في الحساب، قيل الكفار لا يرون رجهم بحال، أي أن الرؤية فقط لأهل الإيهان، لقول الله جل وعلا: {كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّمْ يَوْمَئِدٍ لَّحُجُوبُون} [المطففين: ١٥]، إذا كان الكفار محجوبون عن رؤية الله في العرصات فالمفهوم أن المؤمنين يرونه.

وقيل يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها وغُبّارات من أهل الكتاب وبعض أهل الكتاب، ثم يحتجب الله على عن المنافقين، وقيل إن الذي يراه المؤمنون والكفار، لكن الكفار يرونه رؤية تعذيب وليس رؤية تنعيم، وهذا ما رجحه بعض أهل العلم بأن هذه الرؤية رؤية تعذيب، وليست رؤية تنعيم، ثم يحتجب عنهم ويراه عباد الله على المؤمنون من أهل الجنة في الجنة.

هذه آخر المسائل المتعلقة بالجنة، وبقي بعض المسائل المتعلقة بالنار أعاذنا الله وإياكم من النار ومن العذاب.

النار أعدها الله على المعاصي، وجعلها الله على خزيا ونكالا، كما قال ربنا جل جل وعلا بعذابهم، أهل المعاصي، وجعلها الله على خزيا ونكالا، كما قال ربنا جل وعلا: {رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِينَ مِنْ أَنصَار} [آل عمران:١٩٢]، وجعلها الله على لمن يعارض الدين، قال الله جل وعلا: {أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحادِدِ الله وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيم} [التوبة:٣٦]، من يُحادِد الله وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيها ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيم} [التوبة:٣٦]، الذي يعارض الدين بالعقول وبالآراء وهي المستقر، وهذا الاستقرار إما أن يكون مؤقتا لأهل التوحيد الذين قضى الله على عليهم أن يدخلوا في النار، أو استقرار مؤبد لأهل الكفر والشرك، كما قال الله جل وعلا: {إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا} [الفرقان:٢٦].

قال جل وعلا: {هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبِ \* جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَاد} [ص:٥٥-٥٦]، والنار كما ذكرنا في الدرس السابق موجودة مخلوقة، الله أعلم أين هي، جاء عن بعض الصحابة أنها في سبع أرض، والله أعلم بهذا الأمر، وأعلم بهذا المكان.

مما جاء في أمر النار أن الله جل وعلا جعل عليها خزنة، هم خزنة النار وهم ملائكة، خلقهم عظيم، وبأسهم شديد، لا يعصون الله جل وعلا فيما أراد منهم، قال جل وعلا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ

عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ الله مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون} [التحريم:٦].

وعدد هؤلاء الملائكة تسعة عشر كها جاء في النص في قول الله جل وعلا: {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ \* لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ \* لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ \* عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ} [المدثر:٢٦-٣٠]، هؤلاء خزنة النار، وهذه النار جعل الله قعرها بعيدا وهي واسعة، وقد جاء في الحديث أن عتبة بن غزوان ذكر أن الحجر يلقى من شفير جهنم فيهوي فيها سبعين عاما لا يدرك لها قعرا، قال: والله لتملأن، أفعجبتم؟ لو رمى الحجر حتى يمر سبعين عام وهو يهوي لا يصل إلى قعرها.

وجاء إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهوي فيها سبعين وما تصل إلى قرارها، ولذلك جاء في الصحيحين وهذا الكلام من عتبة له حكم الرفع لأنه ليس مما يقال بالرأى.

وجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي الله قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يهوي بها في النار» وفي رواية: «يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»، كم هذه المسافة بين المشرق والمغرب؟ عظيمة، فيهوي بسبب هذه الكلمة التي ربها لم يتبين فيها أو لا يلقي لها بالا، يقول كلمة فيها استهزاء، كلمة فيها سخرية بالناس، كلمة فيها غيبة، فيها نميمة، فيها كذب، لا يتبين فيها، لا يلقى لها بالا.

وجاء في الحديث: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوي بها في النار سبعين خريفا" هذا الهوي سبعين خريف كيف إذا وصل إلى قعرها؟ نسأل الله السلامة والعافية، والنار دركات كها هو معلوم، كها قال الله جل وعلا: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ هَمُ نَصِيرًا} [النساء: ١٤٥]، هو أشد أماكن النار عذابا، فالجنة درجات والنار دركات.

والناس في النار يتفاوتون في العذاب، ولذلك قال على: «إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه» جاء في بعض الروايات أنه عمه أبو طالب عندما شفع له النبي على كما تقدم معنا، فقال على: «أهون أهل النار عذابا أبو طالب وهو متنعل بنعلين يغلي منهما دماغه، يرى نفسه في هذه الحال أشد أهل النار عذابا وإنه أهون أهل النار عذابا».

لذلك جاء في الحديث: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار» الذي ما ترك نعيا إلا أخذ منه بنصيب، تلذذ وتمتع لكنه من أهل النار، ليس من أهل الإيان، الذين ينجيهم الله تبارك وتعالى، قال: فيغمس في النار غمسة، يقال له: هل رأيت نعيا قط؟ يقول: والله يا رب ما رأيت نعيا قط، يقسم بالله أنه لم ير نعيا، ينساه، كل النعيم الذي رآه في الدنيا.

ويؤتى بأبأس أهل الدنيا من أهل الجنة، فيغمس في الجنة غمسة يقال له: هل

رأيت بؤسا قط؟ يقول: والله يا رب ما رأيت بؤسا قط لما يرى من النعيم، ومن صفات النار أن لها أبوابا وهي سبعة أبواب كما قال الله عَلَّ: {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ \* لَمَا الله عَلَى الله عَل

قال أهل التفسير: أي كتب الله أو كُتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه لا محيد لهم عنه، وكل يدخل من باب بحسب عمله السيء، ويستقر في درك بحسب عمله.

ولذلك عندما يرد أو عندما يأتي الكفار إلى النار تفتح أبوابها كها قال الله جل وعلا: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبُوابُهَا وَقَالَ لَمُهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا غَزَنتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ } [الزمر: ٧١]. فيقال لهم: {قِيلَ ادْخُلُوا أَبُوابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِين} [الزمر: ٧٧].

ما هو الوقود التي تشتعل به هذه النار؟ الناس والحجارة، قال أهل العلم في قول الله جل وعلا: وقودها الناس والحجارة، الناس هنا المراد بهم أهل الكفر، والحجارة الله أعلم بهاهيتها ونوعها، ولكن لا شك أن وقوع هذه الحجارة في النار وكونها من وقودها أن هذا سبب لزيادة العذاب.

قال جل وعلا: {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ

وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتُ لِلْكَافِرِين} [البقرة: ٢٤]، ومما ذكر في النار شدة حرها وعظيم عذابها، فالله جل وعلا قال: {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمِ (٤٢) وَظِلِّ مِنْ يَحْمُوم (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيم} الواقعة: ٤١ - ٤٤].

قال ابن عباس: من دخان، وجاء عن مجاهد أنه قال: ظل من دخان جهنم وهو السموم، وفي قول الله جل وعلا: {لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيم} جاء عن الحسن وعن قتادة وعن غيرهم: لا بارد المدخل ولا كريم المنظر، شديد، أعدها الله جل وعلا عذابا لمن عارض رسله وكفر به وأشرك به، ولذلك جاء في الصحيحين في بيان عظم هذه النار قال: «اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضا فنفسيني، قال: فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحجر من سمومها في الصيف، وأشد ما تجدون من البرد من زمهريرها»، السموم عذاب والزمهرير عذاب. وجاء أن النبي على قال: «ناركم هذه ما يوقد ابن آدم جزء واحد من سبعين جزء من نار جهنم»، هذه التي لا نستطيع الآن أن نقربها، ولا أن نقترب منها، لا شك أن من أسباب دخول النار في جملة القول المعاصي والإعراض عن دين الله على و لكن ذكر الله جل وعلا في كتابه بعض المعاصى التي توعد بها على النار وجاء كذلك من السنة، فمن ذلك أمر الكفر والشرك، إنكار الإله أو أن يشرك معه غيره، يذبح لغير الله ويدعو غير الله ويستغيث بغير الله ويلتجئ إلى غير الله من مخلوق ضعيف. قال الله جل وعلا: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَقْتُ الله أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيهَانِ فَتَكْفُرُونِ \* قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيهَانِ فَتَكْفُرُونِ \* قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهُلْ إِلَى الْإِيهَانِ فَتَكُفُّرُونِ \* قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَى الله وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكُ بِهِ تُؤْمِنُوا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلِ \* ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ الله وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكُ بِهِ تُؤْمِنُوا فَا اللهُ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ } [غافر:١٠١٢].

قال الله جل وعلا: {وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا \* مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا} [طه:٩٩-١٠١]، وكذلك القيامةِ وِزْرًا \* خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ هَمُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا} [طه:٩٩-١٠١]، وكذلك ترك العبادات ومن ذلك الصلاة، الله جل وعلا قال: {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ} سقر من أساء جهنم، {قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَكُنَّا نُكُذّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ} نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ} [المدثر:٤٦-٤٧]، مجموعة من الأعمال ما كانوا يفعلونها استحقوا بسببها هذا العذاب.

وكذلك أن يطيع رؤساءه وكبراءه فيها يعارضون به الدين، كان الكبير هذا شيخ علم أو كان شيخ قبيلة يأمرك بمصادمة دين الله على وبمعارضته فتتبعه على ذلك، قال الله جل وعلا: {وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الجِّنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ \* وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لَهِذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلِبُونَ \* فَلَنُونَ خَلَتْ مَنْ الَّذِينَ كَفَرُوا كَا تَسْمَعُوا لَهِ لَمَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلِبُونَ \* فَلِكَ فَلُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسُواً الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ \* ذَلِكَ

جَزَاءُ أَعْدَاءِ الله النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} [فصلت: ٢٥ - ٢٦].

والله جل وعلا ذكر أيضًا عذاب أهل النار الذين يتبعون الشيطان، الشيطان بهاذا يأمر؟ يأمر بالفحشاء والمنكر، فيتبعونه فيستحقون بذلك العذاب، {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّ قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ الله وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحُقِّ وَوَعَدَتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن شُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنا بِمُصْرِحِكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنا بِمُصْرِحِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِحِيَّ إِنِّ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِينَ هَمُ عَذَابٌ أَلِيم} وَمَا أَنتُم بِمُصْرِحِيَّ إِنِّ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِينَ هَمُ عَذَابٌ أَلِيم} [إبراهيم: ٢٢].

يتبرأ الشيطان، حتى الشيطان رأس الشريتبرأ من أتباعه، وكذلك أهل النفاق ومن اتصف بصفات المنافقين استحق العذاب، وكذلك أهل الكبر الذين يتكبرون على الناس، قال في: «ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر» والله جل وعلا قال: {فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْمُونِ بِهَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِهَا كُنتُمْ تَفْسُقُون} [الأحقاف: ٢٠]

أعظم الاستكبار أن تستكبر على دين الله جل وعلا وعلى عبادته، ومن الكبر أيضًا أن تتكبر على عباد الله المؤمنين، ومن أسباب دخول النار هذا اللسان، ولذلك جاء في الحديث: وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم، ولذلك قال

اللسان فعصى الله جل وعلا به استحق العذاب، ومن ذلك أكل أموال اليتامى ظلما. قال الله جل وعلا به استحق العذاب، ومن ذلك أكل أموال اليتامى ظلما. قال الله جل وعلا: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُوخِهم قال الله جل وعلا: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُوخِهم نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا} [النساء: ١٠]، ومن ذلك أيضًا أخذ الرشوة، والرشوة هذه تؤخذ إما لإبطال حق وإما لإحقاق باطل، فالنبي على قال: «الراشي والمرتشي في النار»، هذه بعض المسائل المتعلقة بالنار، وهناك مسائل أخرى، وفيها ذكر إن شاء الله الكفاية.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليها كثيرا.

## الدرس السادس عشر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليها كثيرا.

أما بعد ..

نحن اليوم مع الركن السادس من أركان الإيهان وهو الإيهان بالقدر خيره وشره، ومسألة الإيهان بالقضاء والقدر من أصول الاعتقاد، يؤمن فيها أهل الحق بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا يكون شيء في هذا الكون إلا بمشيئته وقبل ذكر الأدلة على هذه المرتبة من مراتب الإيهان فإننا لا بد أن نعرف ما معنى القضاء وما معنى القدر.

إذا نظرنا في معاني القضاء في اللغة فإنه يرجع إلى إحكام الشيء وإلى إتقانه وإتمامه، وجاءت لفظة القضاء في القرآن بمعنى الأمر في قول الله جل وعلا: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ} [الإسراء: ٢٣] وجاءت بمعنى الإنهاء والأداء كقول الله جل وعلا: {وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَوُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِين} [الحجر: ٦٦] وجاءت بمعنى الحكم في قول الله جل وعلا: {فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّهَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} [طه: ٢٧] أي احكم بها أنت تحكم به.

وجاء القدر في اللغة بمعنى مبلغ الشيء، ويقال القَدِر ويقال القدَر، وقدر كل شيء هو مقاسه ومقداره.

عرف العلماء القضاء والقدر تعريفا شمل المعنيين فقالوا: هو تقدير الله على الأشياء في اللوح المحفوظ، وعلمه الله المناه المن

وأن تقع على حسب ما قدر لها جل وعلا، فإذًا هي تقدير الله تعالى للأشياء في القدم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات محددة، كتابته الله الذلك، ومشيئته له ووقوعها على حسب ما قدرها الله.

هل هناك فرق بين القضاء والقدر؟

جاءت أقوال في التفريق بين الأمرين، وإن كان لا يظهر كبير ثمرة للتفريق، فقال بعضهم القضاء هو إرادة الله جل وعلا الأزلية السابقة، والقدر إيجاد هذه الأشياء، حصولها بخصائصها وصفاتها المحددة وأوقاتها المحددة، وجاء الإيهان بالقضاء والقدر في نصوص القرآن ونصوص السنة، ومن ذلك قول الله جل وعلا: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَر} [القمر: ٤٩]، وقال جل وعلا: {وَكَانَ أَمْرُ الله قَدَرًا مَّقْدُورًا} [الأحزاب: ٣٨]، وقوله جل وعلا: {وَلَكِن لِيقْضِيَ الله أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً} [الأخزاب: ٣٨] وقال جل وعلا: {وَلَكِن لِيقْضِيَ الله أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً}

قول الله جل وعلا: {وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى} [الأعلى: ٣]، هذا كله من الآيات الدالة على مرتبة الإيمان بالقدر.

والسنة كذلك جاءت بالدلالة على هذا الركن كما في حديث جبريل الذي معنا، وكما في قوله في: «لا يردّ القضاء إلا الدعاء» وما رواه مسلم أيضًا عن طاووس بن كيسان اليهاني أنه قال: أدركت ناسا من أصحاب رسول الله في يقولون كل شيء بقدر حتى العجز والكيس، كل شيء بقدر، وجاء في مسلم أن المشركين جاءوا إلى رسول الله في يخاصمونه في القدر، ما هو القدر وما هو كذا ويعترضون، فأنزل الله في النّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَر \* إِنّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَر} [القمر:٤٨-٤٤].

عندما نقول نؤمن بالقدر فمعنى ذلك أننا نؤمن بأربعة مراتب للقدر، من أقر بها جميعا فإن إيهانه بالقدر يكون إيهانا صحيحا مكتملا، ومن انتقص واحد من هذه لم يكن إيهانه بالقدر مكتملا، جمعها الناظم في قوله: علم كتابة مولانا مشيئته، خلقه وهو إيجاد وتكوين.

إذًا العلم، المرتبة الأولى الإيهان بعلم الله جل وعلا الشامل المحيط بكل شيء، الذي يؤمن بالقدر لا بد أن يؤمن بهذا العلم، علم الله جل وعلا، يقول ربنا جل وعلا: {هُوَ الله الَّذِي لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيم} [الحشر: ٢٢]،

وقال جل وعلا: {لِتَعْلَمُوا أَنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ الله قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَأَنَّ الله قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَأَلَا الله وَبجميع عِلْمًا} [الطلاق: ١٦] أحاط علمه بكل شيء، أحاط علمه بالكائنات، وبجميع المخلوقات، يعلم عَلَى خائنة الأعين وما تخفي الصدور، {وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُو وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُهَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبِ وَلاَ يَابِسِ إِلاَّ فِي كِتَابِ مُّبِينٍ} [الأنعام: ٥٩].

{مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُو رَابِعُهُمْ وَلاَ خُسَةٍ إِلاَّ هُو سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُو مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا} [المجادلة: ٧] معهم بعلمه وبإحاطته، يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصاء في الليلة الظلماء، يعلم عدد قطر الأمطار وعدد ما ينزل منها على البحار وعدد ما يسقط منها على الأنهار، يعلم تفاصيل كل شيء بسكناتها وحركاتها، علم كامل، لم يسبقه جهل ولا يلحقه نسيان. علم الله.

يقول الله جل وعلا: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِاللَّهْتَدِين} [القلم:٧]، يعلم الراغب في الهداية ويعلم الراغب في الغواية ويعلم من يستحق العذاب، فعلمه علم كامل جل وعلا.

المرتبة الثانية: الإيهان بأن الله عَلَى كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، كل ما هو كائن إلى يوم القيامة مكتوب في اللوح المحفوظ، قال جل وعلا: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مِجِيد \* فِي اللوح المحفوظ، قال جل وعلا: {وَالطُّورِ \* وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ \* وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ \* وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ \*

فِي رَقِّ مَنْشُورٍ } [الطور: ١-٣]، وقال جل وعلا: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي المُوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِين } [يس: ١٢].

وقال تعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الله يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابِ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِير} [الحج: ٧٠] كل شيء كتبه الله جل وعلا، حتى جاء عن ابن عباس أنه قال: حتى وضع يدك على خدك بقدر الله، تؤمن بأن الله كتب كل شيء، كتب مقادير الخلائق، قال النبي على: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء» وجاء في رواية: «قدر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة».

وقال الله الله الله القلم فقال اكتب، قال ما أكتب؟ قال اكتب القدر وما كان وما هو كائن إلى الأبد» هذه المرتبة وهي مرتبة الكتابة كتابة كل شيء من أفعال الكائنات ومن خلقها ومن رزقها ومن أمورها، ومما يندرج تحت هذه الكتابة المقادير التي يجعلها الله جل وعلا، وذلك أول هذه المقادير ما تقدم من الكتابة قبل أن يخلق السهاوات والأرض بخمسين ألف سنة، وهناك من المقادير التقدير حين أخذ الله على بني آدم وهم على ظهر أبيهم آدم.

قال الله جل وعلا: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِين} [الأعراف: ١٧٢] المقصود هنا بالآية الفطرة، أخذ الله عليهم الميثاق أنهم يكونون على الفطرة، فهذه الكتابة لجميع الخلق من الإنس، وهناك التقدير العمري وهو كتابة الملائكة للإنسان لجميع ما يحصل في عمره.

ويدل على هذا حديث ابن مسعود على قال حدثنا رسول الله على وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات، بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد» هذا التقدير وما قبله هو موجود في اللوح المحفوظ.

ولكن هذا مما تكتبه الملائكة وهو جزء من التقدير العام الذي كتبه الله جل وعلا في اللوح المحفوظ، لكن هذا خاص بكل إنسان على حدة، حين يكون جنينا، وكذلك هناك التقدير الحولي وهو كل سنة في ليلة القدر لما يكون في العام، كما قال الله جل وعلا: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيم} [الدخان:٤] أي يقضى في هذه السنة في معايش الناس ومصائبهم وموتهم وحياتهم وما يتعلق بذلك في سنة كاملة.

وهناك التقدير اليومي لما يقع في اليوم، التقدير اليومي جزء من التقدير الحولي، ودليل التقدير اليومي قول الله عَلَّ: {يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي وَدليل التقدير اليومي قول الله عَلَّ: {يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي وَدليل التقدير اليومي قول الله عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُو فِي شَأْن } [الرحمن: ٢٩]، فقال أهل العلم: من شأنه عَلَّ أن يغفر الذنب وأن يفرج الكرب وأن يشفي قوما وأن يرفع قوما وأن يحفض آخرين وأن يشفي قوما

وأن يمرض آخرين، هذا من شأنه جل وعلا في كل يوم. فهذه المقادير كلها ضمن مرتبة الكتابة.

المرتبة الثالثة من مراتب القدر: الإيهان بمشيئة الله على ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قال الشافعي: ما شئت كان وإن لم أشأ، وما شئت إن لم تشأ لم يكن، مشيئة الله عنه الله الله عنه الله عنه

وقال جل وعلا: {وَلَوْ شَاء الله لِجَمَعَهُمْ عَلَى الْمُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الجُاهِلِين} [الأنعام: ٣٥] وقال جل وعلا: {وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ خُتُلِفِين} [هود: ١١٨]، وقال جل وعلا: { وَلَوْ شَاء الله مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ الله يَفْعَلُ مَا يُريد} [البقرة: ٢٥٣] وقال جل وعلا: { أَن لَوْ يَشَاء الله لَمَدَى النَّاسَ جَمِيعًا} يُريد} [الرعد: ٣١].

إذا لم يوجد شيء في هذا الكون فإن الله عَجْلًا لم يشأ إيجاده لا أنه عاجز عنه، فإنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السهاء، قال جل وعلا: { وَمَا كَانَ الله لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ

## فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا} [فاطر: ٤٤].

كذلك المرتبة الرابعة مرتبة الخلق، وأن الله على خلق كل موجود، من إنس وجن وحيوانات وملائكة وأحجار وأشجار وسهاء وأرض، وأفعال العباد مخلوقة، والله خلقكم وما تعملون، الله خالق كل شيء، ومن أسهائه الخالق على وغير الله مخلوق، خلق الأشياء وخلق حركتها وسكنتها.

إذًا من حقق الإيهان بالقدر هو من حقق الإيهان بهذه الأربع المراتب، آمن بعلم الله على وأنه يعلم كل شيء وأحاط بكل شيء علما، وأنه كتب كل شيء، وأن كل شيء بمشيئته على وأنه خلق كل شيء، والإيهان بالقدر سر الله في الأرض كما قيل، كما ورد عن بعضهم أنه قال نظام التوحيد، وكثير من الناس ما يحصل عنده من المخالفات إلا بسبب ضعف إيهانه بالقضاء والقدر، لو نظرنا إلى كثير من الأمراض التي يبتلي بها العبد سببها ضعف الإيهان بهذا الأمر، الحسد وهو تمني زوال النعمة عن الغير، هذا سببه ضعف الإيهان بالقدر، أن الله على قسم الأرزاق بين الناس كما قسم الآجال بينهم.

السرقة، الكذب، النميمة البهتان، كثير من الأمور، عدم التوكل وضعف التوكل، كله يعود إلى أبواب القدر، وضل من ضل من هذه الأمة في هذا الباب العظيم حينها خاضوا في التعليلات، في باب القدر لابد للإنسان أن ينظر هو ماذا يعمل، كيف

أحافظ على عبادتي لربي، كيف أستعين بالله في أمر العبادة، أحافظ على الصلاة، أقيم الزكاة، أصوم رمضان، أتوكل على الله، لا أن ينظر في أفعال الله على فإنه على لا يسأل على يفعل.

فالذين نظروا في التعليلات وخاضوا فيها فقالوا: لماذا أفقر فلانا ولماذا أغنى فلان، ولماذا أغنى فلانا ولماذا عافى فلان، لماذا جعل فلانا غنيا ولماذا جعل فلانا فقيرا، ولماذا أغنى فلان كذا، ولماذا أنزل المطر على الجهة الفلانية ولم يأت عندنا، ولماذا أرسل عليهم من الخيرات ولم يرسل عندنا، هذه التعليلات لا تجوز.

من الاعتقاد الصحيح أن الله على لا يسأل لما، لأن له الحكمة البالغة الله يفعل ما يشاء، أغنى فلانا لحكمة وأفقر فلانا لحكمة، وأعطى فلانا لحكمة ومنع فلانا لحكمة، له في ذلك الحكمة البالغة الله على حكم الله جل وعلا.

ما الواجب علينا؟

اعملوا فكل ميسر لما خُلق له، هذا الواجب على العبد أن يعمل وأن يستعين بالله على وأن يستعين بالله على وأن يعمل بالعبادة، عندما سأل الصحابة النبي على عن القدر فأخبرهم أن الله على وأن يعمل بالعبادة، عندما سأل العمل يا رسول الله؟ لماذا نعمل وكل شيء قدره الله على قدر كل شيء وكتبه قالوا: ففيها العمل يا رسول الله؟ لماذا نعمل وكل شيء قدره الله على وقل الله على ميسر لما خلق له».

من طوائف هذه الأمة من انحرفت انحرافا عظيما في باب القدر فأنكرت أن الله

يعلم الشيء قبل وقوعه، قالوا إن الله لا يعلم الشيء إلا بعد أن يقع، وهو نفاة العلم، الذين سئل عنهم ابن عمر وقال: والذي نفس ابن عمر بيده لا يؤمن أحدهم حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، كانوا يقولون لا قدر والأمر أنف، يعني لا يوجد قدر سابق، لا يعلم الله الشيء إلا بعد وقوعه، هؤلاء القدرية الغلاة، سموا قدرية لأنهم أنكروا القدر.

وقال جل وعلا: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [الإنسان: ٣] بين الله لك الطريق، وقال جل وعلا: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْن} [البلد: ١٠] طريق الخير وطريق الشر، وأمرك الله عَلَّ بسلوك طريق الخير ونهاك عن سلوك طريق الشر، فلا يجوز لك أن تستدل بقدر الله على فعل الشر، لا تفعل الشر وتقول الله قدر على هذا، لماذا ما فعلت الخير وقلت الله قدر على هذا؟

وهذا الذي يستدل بالقدر على المعاصى وعلى التفريط وعلى الكسل في العبادة

يقول الله ما قدر علي الهداية، وما يدريك أن الله ما قدر عليك الهداية وأنت لم تسلك سبلها؟ أنت ما أخذت طريق الهداية، لماذا تجتنب النار إذا رأيتها لا تمشي عليها، أنت محبر أليس كذلك؟

إذا رأيت النار تجتنبها، لماذا لا تضع نفسك في النار وتقول الله على قدر على أن أحترق؟ لماذا تهرب من النار؟ ولذلك هؤلاء يقولون أن العبد مجبور على كل شيء، مجبور على كل شيء، عبور على كل شيء، وهذا أمر يخالف فطرة الإنسان، يخالف النصوص الشرعية، ويخالف هدي رسول الله على الذي عمل بالأسباب، قسم الجيش وجهز الأسلحة وتجهز للعدو، ودعا إلى الله جل وعلا، وأمر العباد، لأن القول بالجبر إبطال للأحكام الشرعية، إذًا ما فائدة اقيموا الصلاة وأتوا الزكاة، ما فائدة ولا تقربوا الفواحش؟ ما الفائدة إذا كان العبد مجبور؟

إذا قلنا بالجبر كما يقول هؤلاء نبطل جميع الأحكام الشرعية، جميع الأحكام الشرعية تبطل، ولذلك كيف ترد على الجبري هذا؟ اعطه كف، فإذا غضب قل له هل تلومني على شيء أنا مجبور عليه؟ لماذا لا يقبل منك؟ إذا ضربته لماذا لا يقبل منك ويغضب؟ ألست مجبورا؟ فهذا كما قال بعض أهل العلم هذا الجواب السريع له.

فهذا مذهب باطل، فهؤلاء سلبوا قدرة العبد وسلبوا مشيئة العبد وجعلوه بلا مشيئة، والعجيب أن هؤلاء يختارون طرق الانحراف ويقولون هذا بقدر الله، لماذا لا تختارون طرق الهداية وتقولون هذا بقدر الله؟ أنت تذهب إلى الفواحش لماذا لا تذهب إلى السجد وتقول هذا قدر الله علي؟ جعل الله لك عقلا وأنزل عليك شرعا وأرسل إليك رسولا وجعل لك كتابا تعرف به الحق من الباطل فتميز بين الحق والباطل.

القول بالجبر قول خطير، ولذلك الذي يقول بالجبر كيف يربي أنباءه؟ الأبناء إذا أخطئوا تضربهم أو تهذبهم؟ مجبورين، ما يصير في تربية أبدا، ولا يصير في نصح، تأتي تنصح إنسان لا تفعل كذا يقول أنا مجبور لماذا تنصحني؟ إبطال للنصيحة، إبطال للتربية، إبطال للشرائع، إبطال للحدود، إبطال للعبادات، لأن العبد مجبور، وكيف ينصح في شيء هو مجبور عليه؟ هذا المذهب باطل وظاهر البطلان.

والله على توعد بعض الناس على أعمالهم، فقال: { فَوَيْلُ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ الله لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلُ لَمَّم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلُ لَمَّمْ مُّمَّا يَكْسِبُون} [البقرة: ٧٩] ويل لهم، عذاب، حاسبهم الله على أفعالهم؟ نعم، وقال عَلَى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَمٍ لِلْعَبِيد} وقال عَلى: {مَنْ عَمِلَ السنة توسطوا هذه الأقوال، قالوا كل شيء بقدر الله، والله خالق الخير خالق الشر، خلق الله عَلَى الخير وخلق الشر، ومن الشر الذي خلقه جل وعلا إبليس الشيطان الرجيم، خلقه الله عَلى الحكمة بالغة يعلمها الله عَلى.

يمتحن بها عباده من أطاع الشيطان دخل النار ومن عصاه دخل الجنة، وحذرك ربك من هذا الشر، وقال: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوُّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّهَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِير} [فاطر:٦]، قال: ولا تتبعوا خطوات الشيطان، وأثبت الله جل وعلا للعبد مشيئة واختيارا، قال: {وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء الله رَبُّ الْعَالَمِين} [التكوير:٢٩]. ولكن هذه المشيئة كلها تحت مشيئة الله جل وعلا.

لأن العبد في بعض الأمور مخير، يأتي ويذهب ويأخذ ويمتنع، وفي بعض الأشياء هو مسير مثل الموت، لا يموت باختياره، ومثل الولادة لا يولد باختياره، هذه كلها هو فيها مسير، أما ما يتعلق بفعل الطاعات أو فعل المعاصي فهو مخير، {فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكُفُنْ} [الكهف:٢٩].

إذًا ما الخلل عند الذين انحرفوا عن هذا الأمر؟ الخلل أنهم لم يفرقوا بين إرادة الله وعنه الشرعية وبين إرادته الكونية، هناك إرادة شرعية وهناك إرادة كونية، هذا لا بد أن نفرق بينها، وهذه المسألة من أهم مسائل الاعتقاد.

 الإرادة الكونية يلزم منها أن الله عَجْك يجبها ويرضاها؟ لا يلزم، لماذا أوجدها؟ ابتلاء وامتحانا للعباد. إذًا الإرادة الكونية القدرية واقعة قد يجبها الله وقد لا يجبها.

أما الإرادة الشرعية فهذه إرادة يجبها الله، لكنها قد تقع وقد لا تقع، المسألة واضحة؟

نعطي مثال: إيهان أبي بكر على هذا بإرادة الله الكونية أم بإرادة الله الشرعية؟ أم بإرادة الله الكونية الشرعية؟

أبو بكر آمن؟

إذًا هذا شيء وقع، يحبه الله؟

إذاً إيهانه إرادة كونية شرعية.

مثال على الإرادة الكونية فقط: كفر أبي جهل، هل الله يحب الكفر؟ ما يحب الله الكفر. ما يحب الله الكفر.

لكن وقع هذا الأمر، نعم وقع إذًا هذه إرادة كونية، وقعت، لكن يقدرها الله على الكن وقع هذا الأمر، نعم وقع إبدا الكفر من الكافر بغير إرادته الله كأن الكافر أقوى مشيئة من الله، لا يقع شيء في هذا الكون إلا بمشيئته من الخير ومن الشر، لكن الإرادة الشرعية هي التي يحبها الله على قد تقع فتكون شرعية كونية قدرية، وقد لا تقع فتكون فقط شرعية، شيء يحبه الله جل وعلا لكن ما يقع، فهذه إرادة شرعية لكن ما وقعت،

فلو وقعت كانت إرادة شرعية كونية.

نكرر حتى يتم الإفهام، إرادة الله جل وعلا إما أن تكون كونية وإما أن تكون شرعية، الله وَ قَلْ قَال: {وَإِذَا أَرَادَ الله بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَه } [الرعد: ١١]، هذه إرادة شرعية، الله وَ قال: {وَإِذَا أَرَادَ الله بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَه } [الرعد: ١١]، هذه إرادة الله جل كونية، ما يحصل من الكفر وما يحصل من المعاصي في هذا الكون، هذا بإرادة الله جل وعلا: {وَإِذَا أَرَدْنَا وعلا، لكن بإرادته الكونية، ومن ذلك أيضًا للتوضيح قول الله جل وعلا: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهُ لِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا} [الإسراء: ١٦].

"وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهُلِكَ قَرْيَةً"، هذا أيضًا بقدر الله الكوني، بإرادته الكونية، هل هذا التدمير وهذا الإضلال يجبه الله جل وعلا؟ لا يجبه على لكنه قدره كونا لحكمة يعلمها جل وعلا، قول الله جل وعلا: {يُرِيدُ الله بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} والبقرة: ١٨٥] هذا في الأصل إرادة شرعية.

قال الله جل وعلا: {يُرِيدُ الله لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ} [النساء: ٢٦]، هذه إرادة شرعية لأن الله يجبها، إذًا الفرق بين الإرادتين أن الإرادة الشرعية يجبها الله، وقد تقع وقد لا تقع، والإرادة الكونية تقع قد يجبها الله وقد لا يجبها.

سنأتي إلى مزيد تفصيل في هذه المسألة، قد يقول قائل الله جل وعلا لا يحب

الظالمين ولا يحب الفاسقين ولا يحب الكافرين، ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد جل وعلا، فلهاذا هذا الأمر موجود؟ فنقول هذا الأمر لا يسأل عنه الله جل وعلا لأنه يفعل ما يشاء، وله في ذلك الحكمة البالغة، وجد الكفر يمتحن العباد، من الحكم التي ذكرها أهل العلم أن الله جل وعلا أعطى للعباد الخيار، تذهب إلى الكفر تستحق العذاب، وتذهب إلى الإيهان تستحق النجاة.

كيف يميز بين العاصي والطائع أو الكافر والمؤمن؟

بها يفعل، {تِلْكُمُ الْجُنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِهَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأعراف: ٤٣] تعمل بعمل أهل أهل الجنة تستحق دخول الجنة، وتدخل الجنة بفضل الله ورحمته، تعمل بعمل أهل النار تستحق النار، وهذا من عدل الله جل وعلا.

الذي ينفي القدر فإنه يعطل علم الله على وقدرته في ويجعل العبد مستقلاً بنفسه، كأن العبد هو المتحكم في أفعاله، والله جل وعلا لا سلطة له عليه، هذا خطير، الله جل وعلا خلق جميع الخلق وخلق أفعالهم.

ومن المسائل المهمة: أن نعلم أن الهداية والإضلال بيد الله جل وعلا، والعبد يوفق للهداية إذا سلك سبيلها، ويذهب للإضلال إذا سلك سبيله، تأخذ بطريق الهداية لا يظلمك الله على المخالة لا يظلمك الله على الضلال، وهذا من عدل الله جل وعلا، ومن حكمته الله على الله على

قال جل وعلا: {هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى} [النجم: ٣٠] وجعل الله ﷺ الثواب والعقاب مترتب على فعل العبد، قال النبي ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي، قالوا: ومن يأبي يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبي».

أنت تعلم أن الصلاة مفروضة عليك، تصلي تنال رحمة الله على والجنة، تترك الصلاة تستحق العقاب، لا تظلم تستحق الصلاة تستحق العقاب، لا تظلم تستحق الثواب من الله، أمرك الله ببر الوالدين، تبر بوالديك تستحق الرحمة من الله على، تعق والديك أنت فاعل لكبيرة من الكبائر تستحق عليها العذاب وهكذا.

الله جل وعلا بين لك الأوامر وبين لك النواهي وجعل لك الاختيار وأنت الذي اخترت، إن اخترت فعل المعاصي ذهبت إلى اخترت، إن اخترت فعل المعاصي ذهبت إلى سبيلها، فذلك من حكمة الله جل وعلا، وهداية العباد من الله جل وعلا يهدي من يشاء.

لكن لو قال قائل: ما يدريني أن الله عَلَى كتب على الهداية أو كتب على الضلال؟ نقول اعمل بسبل الهداية فإن علم الله عَلَى فيك طلب الهداية وفقك لذلك، قال جل وعلا: {وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاً أَنْ هَدَانَا الله} [الأعراف: ٤٣].

وأنت في الصلاة تسأل الله: اهدنا الصراط المستقيم، تسأل الله الهداية، إذا كانت

الهداية لا تطلب من الله لماذا الله على جعل العباد يدعونه؟ فمن فعل أسباب الهداية وعلى وفقه الله جل وعلا للهداية، ومن فعل أسباب الغواية ذهب إلى طرق الغواية، وعلى هذا فالقدر السابق كونك تقول والله هذا الأمر قُدر علي، أو كل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ لا يمنعك هذا الاعتقاد من العمل، فالقدر السابق لا يمنع من العمل ولا يوجب الجد والاجتهاد والحرص على العمل الصالح.

ولهذا النبي على لما أخبر أصحابه بسبق المقادير قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»، {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنْيسِّرُهُ لِلْيُسْرَى \* وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى \* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنْيسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل:٥-١٠].

فالعبد الواجب عليه بخلاصة الأمر أن يؤمن بأقدار الله جل وعلا، أن الله جل وعلا أن الله جل وعلا كتب كل شيء وأنه يعلم كل شيء، وأن كل شيء بمشيئته وأنه جل وعلا خالق لكل شيء، وأن مشيئتنا تحت مشيئته، وأن أفعال الله على لا يسأل عنها وأنه يفعل ما يشاء.

لا تقل جعلني الله فقيرا وجعل غيري غنيا، فإن من العباد كما قال أهل العلم من لا ينفع له إلا الفقر ولو أغناه الله جل وعلا لتمرد على دين الله وشرعه، ومن العباد من قدر الله جل وعلا له الغنا، وعلم في أنه لا ينفع إلا أن يكون غنيا، ولو افتقر لعصى، ومن الناس من لا ينفعه إلا المرض، يلتجئ به إلى الله في ويستغفر ويكون قريبا من

الله، ولو جعله الله صحيحًا لترك العبادة.

ومن الناس من لا ينفعه إلا الصحة، فهو يقدّر جل وعلا ما يشاء ويفعل ما يشاء، ومن الناس من لا ينفعه إلا الصحة، فهو يقدّر جل وعلا ما يشاء ويفعل ما يشاء، ونحن عباد مستسلمون لأقدار الله جل وعلا نؤمن بها ونعلم أن الواجب علينا أن نعمل بها أمرنا الله على به أو أمرنا به رسوله على.

نقف على هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## الدرس السابع عشر:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليها كثيرا.

أما بعد ...

فتوقفنا في الدرس الماضي على الركن الأخير من أركان الإيهان، وفي قوله في الدرس الماضي على الركن الأخير من أركان الإيهان، وفي قوله في «وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعُبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا المُسْتُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِل».

في هذا الحديث ذكرت مراتب الدين، ذكر الإسلام وأركانه والإيهان وأركانه الستة والإحسان، وهو ركن واحد، وهو أعلى مراتب الدين، الإحسان، وكل من بلغ مرتبة الإحسان فقد بلغ مرتبة الإيهان والإسلام، على هذا فكل محسن هو مؤمن ومسلم، كها أن كل مؤمن هو مسلم، فأول المراتب من حيث الأعلى هو الإحسان ثم الإيهان ثم الإسلام.

وعندما نأتي ونعرف الإحسان فالإحسان يعرف بحسب وروده في النصوص، بحسب أنواعه، فإذا اقترن بالإسلام والإيهان كها في حديث جبريل فإن المراد به حسن

الطاعة لله جل وعلا مع المراقبة له سبحانه، ولهذا فسره النبي على في هذا السياق بقوله: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

أما إذا ورد لفظ الإحسان مطلقا فإن المراد به الحسن سواء في الأقوال أو في الأعمال، النبي في هذا الحديث حينها سئل عن الإحسان قال: «أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنّك تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنّهُ يَرَاكَ»، بين فيه أن من راقب الله جل وعلا أحسن الله عَلَّ له العمل، ولذلك الله جل وعلا أمر بالإحسان، {إِنَّ الله يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ} [النحل: ٩٠] وعظم الله عَلَّ ثواب المحسنين بل جعلهم من أهل محبته، إن الله يجب المحسنين.

وأعظم صفة في أهل الإحسان لمن اتصف بالإحسان هو حسن تعبده لله على مسألة الإحسان للخلق، إحسانه في عبادة الله في، وفرق بين الإحسان وبين الإنعام، فالإحسان يكون إلى النفس وإلى الغير، أن تحسن إلى نفسك بالطاعات وتحسن إلى غيرك بالمعاملة الطيبة، وأما الإنعام فهو الإحسان إلى الغير فقط، ولا شك أن الإحسان درجات، وهو أيضًا مراتب، ولذلك جاء في الحديث من أنواع الإحسان وهو من أدناها أن امرأة رأت كلبا يلهث يأكل الثرى، فنزعت خفها وأدلته في البئر تأخذ به الماء، وهي امرأة بغي، قال فسقته فغفر الله لها وهي زانية بغي.

وهذا فيه فائدة، أن هذا الإحسان الذي وقع من هذه المرأة وهي على هذا الوصف

كان سببا في تكفير الذنب، فغفر الله لها فشكر لها، ولذلك أمرنا بالإحسان ببعض مراتبه حتى في حسن التعامل مع الحيوان الجائز الذبح، إذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته ويرح ذبيحته.

إذًا الإحسان مراتب هناك ما يتعلق بمعاملة الله جل وعلا وهناك ما يتعلق بمعاملة الخلق وما يتعلق بمعاملة الحيوان، وكل هذه من مراتب الإحسان، وفي قوله: أن تعبد الله كأنك تراه فيه أن العبد لا ير الله على في الدنيا، لأن هنا أمر النبي على وبين أن الإحسان في عبادتك لربك كأنك تراه، والله على لا يرى في الدنيا كما سبق معنا، لكن أيضًا في هذا الحديث دليل على إمكانية رؤية الله على في الآخرة.

ما وجه الدلالة في ذلك؟

قال: كأنك تراه، ولو كانت رؤية الله على أمر غير جائز ما ضرب النبي على جائز ما ضرب النبي على جائز ما ضرب النبي على الحديث وهذا من روائع الاستنباطات التي وجدتها عند بعض أهل العلم، أن هذا الحديث دليل على الرؤية أيضًا، فهنا معنى قوله أن تعبد الله كأنك تراه استحضار قربك بين يدي الله.

فلو قلنا مثلا أن العبديري ربه، فكيف ستكون عبادته؟

ستكون عبادة عظيمة جدا، فيها من الخشوع وفيها من اللجوء إلى الله وفيها من معاني العبودية الشيء العظيم لأنك ترى ربك، فحال العبد حتى يحقق هذه المرتبة من

الإحسان مع الله جل وعلا أن يحسن في عبادته، يحسن في العبادة كأنه يرى الله جل وعلا.

أما الخشية فهي الهروب مع علم وبصيرة، ولذلك هي صفة العلماء، ليس مجرد هروب ولكنه هروب بعلم ومعرفة، هذه هي الخشية، وكذلك الحديث يدل على أنه يجب على العبد أن ينصح لنفسه في أمر العبادة، في المحافظة على شروطها وأركانها وسننها وواجباتها وأزمنتها وأمكنتها وصفتها، الحرص والمحافظة، تؤدي العبادة كما قيل تصلي كأنها تصلي صلاة مودع، كأنها آخر صلاة لك، وهكذا في الزكاة وهكذا في الصيام وفي الحج.

أنت لا ترى الله رحم الله وهذا هو الواقع فتعبده جل وعلا لأنه يراك، فإذا كنت أنت لا ترى الله وهذا هو الواقع فتعبده جل وعلا لأنه يراك، فكانت الأولى كما قال أهل العلم هي عبادة رغبة وطمع، وكانت الثانية هي عبادة خوف ورهبة،

وحق العبد أن يجمع بين العبادتين، يجمع بين الخوف وبين الطمع فيها عند الله جل وعلا.

لأن أي عبادة لا بد أن يكون فيها حب لهذه العبادة وللمعبود الله عبادة لا بد أن يكون فيها حب لهذه الثلاثة، المحبة والخوف والرجاء، تحب الله عبادة من عذابه، هذه أركان العبادة الثلاثة، المحبة والخوف والرجاء، تحب الله جل وعلا وتحب عبادته، وتخاف مما عنده فتحرص على العبادة، وترجو مما عنده فتقوم بهذه العبادة لأنها سبيل إلى ذلك وسبب لرضوان الله جل وعلا.

فإذًا إذا جئنا نقسم الإحسان فالإحسان من العبد لربه جل وعلا بحسن عبادة ربه، والإحسان إلى الخلق منه ما والإحسان إلى الخلق وهو على قسمين، واجب ومستحب، الإحسان إلى الخلق منه ما هو واجب ومنه ما هو مستحب، فالواجب مثل بر الوالدين، ومثل صلة الأرحام، ومثل الإحسان إلى الزوجة، وتحسن الزوجة إلى زوجها، ومثل تربية الأبناء، كل أمر واجب فيه دلالة الإحسان فهو من الإحسان إلى الخلق، حتى الإحسان للبهائم وهم من المخلوقات كها تقدم معنا.

وهذه المرتبة وهي الإحسان الواجب للخلق تركه ينقص من مرتبة الإحسان ويضعف الإنسان عن هذه المرتبة، بل قد يضعف من إيهانه أيضًا، لأن الإيهان ينقص بالمعاصى، ولا شك أن ترك الأمور الواجبة سبب لضعف الإيهان.

ومن الإحسان الواجب الصبر، وعلى هذا فيمكن أن نقسم الواجبات إلى قسمين،

واجبات ظاهرة وواجبات باطنة، الواجب الظاهر في معاملة الخلق كها تقدم معنا، وأما الواجب الباطن فمثل الصبر، الصبر أصله الحبس، ومصدره القلب، وأما الإحسان المستحب وهو القسم الثاني فهو ما زاد على الواجب من بذل نفع بدني أو مالي أو علمى أو قولي أو غير ذلك.

فإذا جئت تساعد إنسان بهالك، تعطيه من مالك من باب الصدقة هذا من الإحسان المستحب للخلق، والإحسان في المال على قسمين منه ما هو واجب كالزكاة ومنه ما هو مستحب كالصدقة، أو تحسن إليه بمساعدته بدنيا، تحمل معه شيء، أو تحسن إليه فتعلمه من أمور دينه الشيء الذي ينفعه، فهذا من الإحسان للخلق.

وكذلك من الإحسان للخلق حسن التعامل لمن أساء إليك، قال الله جل وعلا: {وَلاَ تَسْتَوِي الْحِسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِي أَحْسَنُ فَإِذَا اللَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلاَ الله عَلَيْ عَلَيْهِ عَلَيْهِ إِلاَّ اللهِ عَلَيْهِ إِلاَ اللهِ عَلَيْهِ إِلاَّ اللّهِ اللهِ عَلَيْهِ إِلاَّ اللهِ اللهِ عَلَيْهِ إِلاَّ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَيْهِ إِللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ الل

أحسن إلى الإنسان، أساء إليك أحسن إليه، والإحسان إلى من أساء إليك يكون بحسن المعاملة كما قال عمر على عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، وقد يكون بالعفو، كما قال ربنا جل وعلا: { وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ الله لَكُمْ وَالله غَفُورٌ رَّحِيم} [النور: ٢٢] وقال جل وعلا: { وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ

النَّاسِ وَالله يُحِبُّ المُحْسِنِين } [آل عمران: ١٣٤]. أهل الإحسان.

النوع الثاني هو ما سبق ذكره هو النوع الأول وهو الإحسان في عبادة الله جل وعلا، إذًا الإحسان في عبادة الله على والإحسان مع الخلق، والإحسان مع الخلق ينقسم إلى واجب ومستحب والواجب ينقسم إلى الواجب الظاهر والواجب في الأعمال الباطنة، فهذا الحديث وهذا القول منه في تعريف الإحسان في التعبد لله على أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك من جوامع الكلم التي أوتيها النبي في .

ومن المعاني العظيمة التي تحث على الإخلاص لله على، وعلى المتابعة للنبي الله لأن ولا يكون كل عبادة لا تقبل إلا بشرطين هما الإخلاص لله على والمتابعة للنبي الله ولا يكون العبد أبدا محسنا في عبادته إلا إذا أخلص لربه واتبع سنة نبيه الله فلو أنه قال: أنا سأحسن بالعبادة، أو سأخلص لله على فقط ولن أتبع النبي الله فهل في الواقع ممكن أن يكون الرجل على هذا الحال؟ نعم في الواقع ممكن، عبادته مردودة، فهو مخلص لله لكن يتعبد لله على بالبدع والمحدثات.

أو أنه يقول فقط سأتبع الرسول ولا يحقق الإخلاص لله على، هذا ستكون عبادته شرك أو رياء وسمعة، وإما أنه سيتعبد لكن غير مخلص لله ولا هو متبع للنبي في وهذا جمع بين الشرك والرياء والبدع والمحدثات، هذا أدنى المراتب وأسوأها وكلها سيئة إلا مرتبة أن تخلص لله على وأن تتابع النبي في أربع مراتب، أو أربعة

أقسام.

الناس في باب الإخلاص والمتابعة أربعة أقسام، من يخلص لله ويتابع النبي في ومن لا يخلص ولا يخلص لله ولا يتابع النبي في، ومن لا يخلص لله ويتابع النبي في، ومن لا يخلص ولا يتابع، لكن أهل الإحسان هم أعلى المراتب وهو صفوة من خلق الله فيك، وهم السابقون أهل الصدق في الأعمال الذين امتدحهم الله جل وعلا في قوله: {فَمِنْهُمْ ظَالمُ السَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ} [فاطر:٣٢]. سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ هؤلاء أهل الإحسان.

والله جل وعلا أرشد العبد في آيات كثيرة كيف يحقق الإحسان، من ذلك أن يصبر بأنواع الصبر الثلاثة، أن يصبر على الطاعة بفعلها، وأن يصبر عن المعصية بتركها، وأن يصبر على الأقدار المؤلمة بالصبر عليها، احتساب الأجر من الله، ولذلك قال ربنا جل وعلا: {وَاصْبِرْ فَإِنَّ الله لاَ يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِين} [هود: ١١٥]، أمرك بالصبر ووعدك بمرتبة أهل الإحسان، وكذلك المعاملة، أن تعامل الناس بالحسني هو سبب أن تبلغ مرتبة الإحسان.

ومن ذلك حسن الجهاد لإعلاء كلمة الله جل وعلا، قال الله على: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلُنَا وَإِنَّ الله لَعَ المُحْسِنِين} [العنكبوت: ٦٩]، الَّذِينَ جَاهَدُوا، جاهد نفسه وجاهد شيطانه وجاهد عدو الله والدين، هؤلاء كلهم من أهل الجهاد الشرعي،

كل هذه أنواع للجهاد، ومن قام بها حق القيام حصل مرتبة الإحسان، {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَّ لَمَعَ اللَّحْسِنِين} [العنكبوت:٦٩].

وقال الله جل وعلا: {وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ الله وَلاَ تُلقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُواْ إِنَّ الله عَلَى ا

قال الله جل وعلا: {الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَالله يُحِبُّ المُحْسِنِين} [آل عمران:١٣٤]، كذلك في الخصومات كما سبق أن ذكرنا ادفع بالتي هي أحسن، فإن هذا الأمر وهو دفع الخصومات سبيل إلى مراتب الإحسان.

فالإحسان هو أعلى مراتب الدين وهو أشرفها وأكملها وأعلى ما يكون العبد في تقربه إلى الله على أن يكون على مرتبة الإحسان، ومن بلغ مرتبة الإحسان فإنه لا شك قد حقق المرتبتين السابقتين.

ثم قال في الحديث: قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عن الساعة، الله جل وعلا قال: {إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِهَا تَسْعَى} [طه: ١٥]، أمر الساعة اختص الله عَلَى به وهو من غيبه المطلق الذي لا يعلمه أحد إلا الله ولم يطلع عليه لا نبي من الأنبياء ولا ملكا

من الملائكة، ولذلك قال النبي على: «مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ».

فأفضل الأنبياء لا يعلم متى الساعة، وأفضل الملائكة لا يعلم متى الساعة فمن دونهم من باب أولى.

الساعة هي الزمان الذي تقوم فيه قيامة الناس، قيل سميت الساعة لأنها آخر ساعات الدنيا، أو لأنها تقع بغتة في ساعة، وقال بعضهم: سميت بذلك تنبيه إلى كهال قدرة الله جل وعلا في أنها تكون كساعة واحدة، وقيل هي أول ساعات الآخرة، عكس القول الأول.

أهل الإيمان يؤمنون بالغيب، والله على أول سورة البقرة وصفهم بذلك فقال: يؤمنون بالغيب، ومن أمور الغيب هذه الساعة، فلا يعلمها أحد من الخلق كما قال الله على المنافية عن السَّاعة أيّان مُرْسَاها \* فيم أنْتَ مِنْ ذِكْرَاها [النازعات: ٤٢- عن السَّاعة أيّان مُرْسَاها \* فيم أنْتَ مِنْ ذِكْرَاها [النازعات: ٤٦] وقال في الآية: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيّانَ مُرْسَاها قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجلِّيها لِوَقْتِهَا إِلا هُو [الأعراف: ١٨٧].

قول الله جل وعلا: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا \* فِيمَ أَنْتَ مِنْ فِيمَ أَنْتَ مِنْ فِيكَ أَنْتَ مِنْ فَي السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا \* فِيمَ أَنْتَ مِنْ فِيكَاهُا إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا} [النازعات:٤٢-٤٤]، فهذا إذًا من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله جل وعلا، ولا يجوز لا الاعتهاد على حساب المنجمين ولا المشعوذين ولا السحرة ولا الكهنة ولا الرمالين والخطاطين وغير ذلك من أهل الدجل والكذب

والبهتان والافتراء، لا يجوز الاعتماد عليهم في تحديد الأمور الغيبية لا بصفتها ولا بزمانها ولا بمكانها، إنها تؤخذ هذه الأمور عن شرع الله عجلًا ودينه.

فلا يجوز أن يقال تقوم الساعة بعد مائة سنة من الآن، أو في عام كذا أو في شهر كذا، فالله على لله على كثير من أماراتها فضلا عن الساعة نفسها، وأما قول بعض المعترضين في أن الله جل وعلا قال: {إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا} [طه: ١٥] فقالوا ولم يخفها وإنها قال أكاد.

فرد عليهم أهل العلم قالوا هذا من باب المبالغة في الإخفاء، والله جل وعلا أخفاها عن جميع الخلق، فلا تصل إليها وسيلة ولا يعرفها إنسان، لا بحساب ولا بتقدير ولا بأي نوع من أنواع المعرفة، لا علم الجيولوجيا ولا علم الجغرافيا ولا غير ذلك من هذه العلوم ولا علوم الذرة ولا غير ذلك، فإن هذه العلوم كلها ليست من مجالاتها معرفة الغيب المطلق، والغيب كما هو معلوم غيب نسبى وغيب مطلق.

والغيب النسبي ما قد يطلع الله جل وعلا بعض عباده على شيء من الأمور ولم يطلع غيرهم عليه، هذا غيب نسبي يعلمه البعض دون الآخر، أما الغيب المطلق فلا يعلمه إلا الله جل وعلا.

وقال بعضهم: الإخفاء في الساعة؛

- إخفاء ذكر.
- وإخفاء قرب.
- وإخفاء وقوع.

فإخفاء الذكر ألا يذكر الله جل وعلا الساعة للخلق ولا يبين لهم شيء من أحوالها، وهذا تأباه حكمة الله جل وعلا ويكذبه الواقع، فإن الإيهان باليوم الآخر وما ذكر فيه هو من ضروريات الإيهان، والله جل وعلا أعلم عباده بأن هناك يوم آخر وأن هناك ساعة.

ذكر لهم هذا، فلم يكن هناك إخفاء لذكرها، ذُكرت أنها ستكون هناك ساعة وذكر لنا الأحداث وعرصات يوم القيامة وما تقدم معنا ذكره من الصراط والميزان والحوض والصحف وغير ذلك.

وأما إخفاء الوقوع فهو الذي استأثر الله جل وعلا به، متى تقع، هذا هو الذي لا يعلمه إلا الله جل وعلا ولم ينبئنا بشيء عنه، ذكرها لنا وأخبرنا بعلامات قربها، أما وقت وقوعها فهو أمر لا يعلمه إلا رب العزة الله.

هذا أمر استأثر الله جل وعلا به، وأما ما كان من أشراطها وعلاماتها فهو أمر قد جاء في الكتاب وجاء في السنة، إذًا أمر الساعة متى تقع الساعة وأي زمان تكون فيه الساعة هذا مما استأثر الله جل وعلا به في علم الغيب عنده.

بهذا القدر نكتفي، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الدرس الثامن عشر والأخير:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد ...

فهذا هو المجلس الثامن عشر والأخير إن شاء الله في شرح حديث جبريل، قد توقفنا في الدرس الماضي على شرح النبي على للعنى الإحسان فقال: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَوَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا المُسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: «أَ مَا رَبِّهَا، وَأَنْ تَرَى الحُفَاة بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الحُفَاة الْعُرَاةَ الْعَالَة رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ».

قد سبق معنا الكلام بالتفصيل عن أمارات الساعة وعن أشراط الساعة، وأنها تنقسم إلى صغرى وكبرى، وأن الصغرى تنقسم إلى أشراط وقعت وأشراط تقع وأشراط لم تقع بعد، وذكرنا أن الأشراط الصغرى لا تدل على أن هذا الأمر هو محرم، قد يكون علامة وقد يكون أمرا مذموما وقد يكون أمرا من الفضائل والمنافع، قلنا أول الأشراط هو مبعث النبي هذه النبي في وسبق تفصيل هذه الأمور، وسبق أيضًا الكلام عن أن تلد الأمة ربتها والإشارة إلى معنى قوله: وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَة رِعَاءَ الشَّاءِ

يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ وأن هذه من العلامات.

وأن معنى أن تلد الأمة ربتها قيل معنى ذلك أن الرجل يتزوج أو ينكح الأمة، فهذه الأمة تلد له الابن أو تلد له البنت فيكون هذا الابن سيدها، يكون سيد أمه، على كل حال تقدم القول في ذكر معنى هذا الأمر بها لا يجتاج إن شاء الله إلى تكرار.

ثم قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، يقول عمر: ثُمَّ قَالَ لِي يعني النبي على: «يَا عُمَرُ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: الله ورسوله أعلم، وفي غير زمنه يقال الله أعلم، أو يقال لا أدري أو زمن النبي على يقال الله ورسوله أعلم، وفي غير زمنه يقال الله أعلم، أو يقال لا أدري أو غير ذلك من الألفاظ التي تدل على عدم العلم والمعرفة.

قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينكُمْ»، وفي هذه الجملة ثلاث مسائل.

المسألة الأولى: تمثل الملائكة بالبشر، وكان جبريل الله كثيرا ما يأتي بصورة يحيى الكلبي وهو من الصحابة، وكان جميل الوجه، فكان يأتي جبريل على صورته.

المسألة الثانية: فضل جبريل على من حيث أنه يكون سببا في بيان هذه المسائل العظام، وهي مسألة الإيهان ومسألة الإسلام ومسألة الإحسان وما يتعلق بالساعة.

والمسألة الثالثة: في قوله: يعلمكم دينكم، وهو بيان أن هذا الحديث اشتمل على الدين كله، ولأن هذا الحديث اشتمل على الدين كله فقد ألحق به بعض أهل العلم بعض المسائل التي هي تفريع لما ذكر فيه ومن ذلك حق الصحابة الصحابة الصحابة

وفضلهم يدخل معنا في هذا الحديث من أوجه عدة.

أما الوجه الأول: فلثناء الله عليهم، ولأمره جل وعلا باقتفاء طريقهم، فالله جل وعلا أثنى عليهم فقال: {وَالسَّابِقُونَ الأُوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ جل وعلا أثنى عليهم فقال: {وَالسَّابِقُونَ الأُوَّلُونَ مِنَ اللهُ الْمَهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ التَّهُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ التَّهُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ التَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ الْعَظِيم} خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيم} [التوبة: ١٠٠١].

وأما أمر الله جل وعلا بسلوك سبيلهم فهذا يتضمنه قول الله جل وعلا: {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْمُدَى وَيَتَبَعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُولِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جُهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء:١١٥]، ويدخل فضلهم أيضًا بالإيهان برسول الله هي ومن ذلك الإيهان بفضل أصحابه الذين ساندوه وكانوا معه، ويدخل فضلهم أيضًا في هذا الحديث من حيث أنهم هم الذين بلغوا لنا الدين، وأوصلوا لنا الأحكام وبينوا لنا نصوص الحلال والحرام، وهم شهودنا على هذه الشريعة، ففضلهم عظيم ومكانتهم كبيرة ومنزلتهم عالية.

ولذلك الله جل وعلا أثنى عليهم في القرآن وذكر فضلهم، قال جل وعلا: {لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاَّ وَعَدَ الله الْحُسْنَى وَالله بَهَا تَعْمَلُونَ خَبِير} [الحديد: ١٠]، ذكر الله تفاضلهم ثم ذكر أن الله جل وعلا جعل لهم جميعا الحسنى، وَكُلاً وَعَدَ الله الْحُسْنَى،

وعد الله الصحابة بالجنة.

وقال جل وعلا: {لِلْفُقْرَاء اللَّهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ الله وَرِضُوانًا وَيَنصُرُونَ الله وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونِ ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا لَضُلاً مِّنَ الله وَرِضُوانًا وَيَنصُرُونَ الله وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونِ ﴿ وَالْذِينَ تَبَوَّؤُوا اللّهَارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ } [الحشر: ٨-٩] يعني الأنصار، يجبون من هاجر إليهم من إخوانهم من أهل مكة من المهاجرين، قال: {يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ النُفلِحُون} [الحشر: ٩].

وقال جل وعلا مادحا صحابة نبيه: { مُحُمَّدُ رَّسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدًاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ الله وَرِضُوانًا سِيمَاهُمْ فِي الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ دُكَّا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ الله وَرِضُوانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ } [الفتح: ٢٩]، والنبي في ذكر أن خير القرون قرنه في ثم الذين يلونهم، فقال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».

وجاء من حديث عمران أن النبي على قال: «إن خيركم قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» وجاء عن عائشة قالت: سأل رجل النبي على أي الناس خير؟ قال: القرن الذي أنا فيه ثم الثاني، هكذا جاء الحديث بروايات كثيرة، ولحرصه على عفظ مكانة أصحابه نهى عن التنقص منهم، فقال على: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه».

وقال النبي ﷺ في بيان بعضهم كمن كانوا في غزوة بدر قال: «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة» أو فقد غفرت لكم.

وجاء عن أنس بن مالك كها في البخاري في قول الله جل وعلا: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتُحًا مُّبِينًا} [الفتح: ١] قال الحديبية، قال أصحابه: هنيئا مريئا يعني للنبي هي، فها لنا؟ فقال الله جل وعلا: {لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فَقال الله جل وعلا: {لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فَقال الله جل وعلا: وهذا جزاء فيها وَيُكفّر عَنْهُمْ سَيِّنَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللهِ فَوْزًا عَظِيمًا} [الفتح: ٥] وهذا جزاء الصحابة هي.

يقول العلماء: كل فضل للمؤمنين ذكره الله على القرآن فالصحابة لهم من هذا الفضل، ولهم فضل تبليغ الشريعة، ولذلك لا ينبغي أن يذكروا إلا بالجميل جميع الصحابة، قال الله جل وعلا: {وَكُلاَّ وَعَدَ الله الحُسْنَى} [الفتح:٥]، ولا يجوز أن يذكر صحابي واحد بالتنقص أو بالطعن، فضلا عن تكفير الصحابة، فإن تكفير الصحابة هذا مذهب الرافضة الاثنا عشرية وليس مذهب أهل السنة، فإن أهل السنة يعرفون لأصحاب رسول الله على مكانتهم وفضلهم ومنزلتهم.

ولذلك يقول الطحاوي رحمه الله عن الصحابة ومن معهم يقول: "لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكره بسوء فهو على غير السبيل"، هو على غير الطريقة الصحيحة، فلا ينبغي إذا جاء ذكر الصحابة إلا أن يذكروا بالجميل، ومن حقهم علينا أن نحبهم

بالقلب وأن نثني عليهم باللسان بها أسدوه لنا من المعروف والإحسان، ومن حق الصحابة علينا أن نترحم عليهم وأن نترضى عنهم وأن نستغفر لهم.

{وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ خُوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاَّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيم} [الحشر: ١٠].

وكذلك من الأمور المهمة أن نعرف أن الله عَلَى فاضل بين الصحابة، فهم

متفاضلون، وأفضل الصحابة على الإطلاق أبو بكر الصديق على ثم عمر ثم عثمان ثم على، ويتفاوت الصحابة فيما بينهم، ومن الأدلة على ذلك قول الله جل وعلا: {لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاً وَعَدَ الله الحُسْنَى وَالله بِهَا تَعْمَلُونَ خَبِير} [الحديد: ١٠].

والله جل وعلا أيضًا ذكر هذا في قوله: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَاللَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ}، فذكر أهل الصدق وفضلهم، وهكذا يفاضل بين الصحابة بحسب أعمالهم وبحسب جهدهم وبحسب نصرتهم لهذا الدين وبحسب سابقتهم في الفضل هي الفضل على الله على الله على الفضل الله على ا

ومن الحقوق المهمة التي تذكر أيضًا في هذا الباب حقوق آل بيت رسول الله هيء فأهل السنة والجماعة يحترمون جميع الصحابة وجميع آل البيت، فلا يقولون بقول النواصب في آل بيت رسول الله الخوارج الذين كفروا آل بيت رسول الله في فآل البيت هم الذين تحرم عليهم الصدقة، وهم أزواجه وذريته من نسل عبد المطلب، وهم بنو هاشم بن عبد مناف، وزوجاته رضي الله عنهن داخلات في آل بيته لقوله في: «إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد» ومنهم زوجاته.

والدليل أن الزوجات يدخلن في آله ما رواه ابن أبي شيبة عن ابن أبي مليكة أن خالد بن سعيد بعث إلى عائشة بشيء من الصدقة فردتها وقالت: "إنّا آل محمدٍ لا تحل

لنا الصدقة"، فدل هذا على دخول أمهات المؤمنين في آل بيت رسول الله على.

وأما فضل آل البيت فيدل عليه قول الله على: {إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب:٣٣]، وقول الله جل وعلا: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِاللَّوْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَا يُهُمْ} [الأحزاب:٦]، هذا دليل على فضل زوجات رسول الله على الله على فضل الله على اله على اله على الله على الله على اله على الله على اله على

وقال النبي الله داعيا لهم: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا»، وقال وقال وقال مرض موته: «أما بعد، ألا أيها الناس فإنها أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، من استمسك به وأخذ به كان على الهدى، ومن أخطأه ضل، فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به، وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي».

ما هي الحقوق التي للصحابة ١٠٠٠

لهم أولا المولاة والمحبة، لقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله».

وثانيا: إكرامهم والإحسان إليهم.

قال أبو بكر عليه: "والذي نفسي بيده لقرابة الرسول الله أحب إلي أن أصل من قرابتي".

ومن ذلك أيضًا الدفاع عنهم إذا رُموا بالباطل ونصرتهم بالحق، قال علي على العلم ومن ذلك أيضًا الدفاع عنهم إذا رُموا بالباطل ونصرتهم بالحق، قال على العلم الله علم أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق".

يقول شيخ الإسلام في بيان هذا الأمر قال: "ويجبون- يعني أهل السنة -أهل بيت رسول الله على ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله على حيث قال: «أذكركم الله في أهل بيتى»".

وقال ابن كثير رحمه الله: "ولا تُنكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم، فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرًا وحسبًا ونسبًا ولا سيها إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة

الجلية".

إذًا من الذي يُقدّر من أهل البيت؟

من كان متابعًا للنبي على، أما كونه من هذا النسب وهو يخالف الدين أو يعارض الدين فإن من أوائل من كانوا من نسب النبي على عمه أبو لهب وهو من أهل النار، وأنزل الله على فيه سورة تتلى إلى يوم القيامة، {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَب \* مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَب} [المسَد: ١-٢].

ورفع الله جل وعلا بالإسلام بلالا الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي، وهم ليسوا من آل البيت، وحط الله جل وعلا بالشرك العم أبا لهب، كما قال القائل: لقد رفع الإسلام سلمان فارس \*\* وحط الشرك النسيبَ أبا لهب.

ثم من الحقوق الأخيرة التي ذكرها أهل العلم مما تندرج في أمر الله جل وعلا في قوله على: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} [النساء:٥٩]، وفي الأحاديث المتواترة الكثيرة عن رسول الله على بحفظ حقوق ولاة الأمر، ولذلك لأمرين.

أما الأمر الأول: فلأن لهم حق الإسلام.

وأما الأمر الثاني: فلأن لهم حق الولاة، فهم ولاة الأمر، ولذلك كان الحرص من أئمة أهل العلم والدين من عهد الصحابة الله المعاصرة بيان حقوق ولي

الأمر لما في ذلك من استتباب للأمن ولما في ذلك من معرفة الفضل، ولأن كثيرًا من النفوس تميل دائها إلى النقد وإلى الطعن وإلى تتبع العثرات.

فجاءت النصوص في بيان حقوق ولي الأمر كما سيأتي معنا في ذكر بعض هذه الحقوق؛

الحق الأول: اعتقاد البيعة، وفي الحديث: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»، وفي قوله على: "مات ميتة جاهلية" إشارة إلى حال أهل الجاهلية الذين كانوا لا يؤمرون عليهم أحدا، فكانوا شذر مدر تقتل القبيلة الأخرى ويطعن بعضهم في بعض ويخرج بعضهم على بعض، فجاء الإسلام بأمر البيعة.

وقال على: «فُوا ببَيْعَةِ الأوَّلِ، فَالأوَّلِ» وكان الصحابة على يبايعون النبي على، ولا يلزم من البيعة الوصول إلى الحاكم ومبايعته على وجه الانفراد، بل يكفي في ذلك اعتقاد البيعة له.

من الحق كذلك السمع والطاعة، فالنبي الله السمع والطاعة، وكان يبايع الصحابة على هذا كما قال عبادة بن الصامت: بايعنا رسول الله الله على السمع والطاعة في المنشط والمكره وفي أثرة علينا.

وقال على: «السمع والطاعة حق ما لم يأمر بمعصية»

وقال على: «اسمع وأطع وإن أخذ مالك وضرب ظهرك» وغير ذلك من الأحاديث

التي قالها من لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

كذلك من حق ولاة الأمر: النصح لهم، فالنبي النصيحة النصيحة والنصح لهم معناه معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف وإعلامهم بها غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم وتألف الناس لطاعتهم، هذا كله من النصح لهم، فالنصح معناه عام.

ولذلك النبي على الله النصيحة"، جعل الدين كله في النصيحة، ولكن هذه النصيحة لولى الأمر ليست على إطلاقها، لا بدلها من ضوابط؛

ومن ذلك أن تكون سرًا؛ لأن النصح في العلانية هو فضيحة، وتأليب للمجتمع، وإفساد، ولذلك النبي هو الذي أرشدنا وأخبرنا ووجهنا ه.

قال: "من أراد أن ينصح لسلطان فلا يبدي علانية هذا الأمر المؤكد الأول ولكن ليأخذ بيده فيخلو به"، هذا الثالث بعد قوله فلا يبدي علانية قال ليأخذ بيده فليخلو به، ثلاث مؤكدات كلها تدل على السرية في النصح، أما النصح على المنابر وفي الشوارع وفي الصحف وفي الندوات، هذا ليس من النصح لولاة الأمر، هذا يخالف الهدى النبوى.

وأما اعتقاد أن النصح في العلن هذا يحقق المصلحة فهذا من باب تقديم العقول الفاسدة على النصوص الشرعية الصحيحة، لأنك أنت قلت هذا الأمر من عقلك

وليس من نص شرعي، النص الشرعي يدل على أن النصح يكون سرًا، لا يكون علانية، وهذا الذي طبقه الصحابة الله سواء من فعل ابن عمر أو من فعل أبو سعيد رضى الله عنها.

أبو سعيد لما ناصح مروان قال: فخاصرته، يعني أمسكت بخاصرته فيها بيني وبينه، أما تهييج الناس على المنابر وفي الطرقات هذا ليس من السنة في شيء، هذا خلاف السنة.

كذلك لا يأتي قائل ويقول لماذا العلماء لا ينصحون؟ وما يدريك أن العلماء لا ينصحون؟ أنت تعيش معهم؟

هذه المقولة قالها بعض الناس لأسامة بن زيد، قالوا لماذا لا تدخل على عثمان تكلمه؟ فقال في: أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم؟ والله لقد كلمته فيها بيني وبينه ما دون أن أفتح أمرا لا أحب أن أكون أول من فتحه، باب شر، ما سأفتح باب الشر وأقول ناصحته فها استجاب، ناصحته فها قبل، هذا الكلام لا يقوله أهل النصح الصادق.

ولذلك ذكروا من آداب النصح ألا تخرج من مناصحة ولي الأمر وتقول ناصحته وبلغته، هذا كأنك تنصحه الآن علانية، النصح الصادق والناصح الصادق إنها يتبع أمر رسول الله على، وإياك وتقديم العقول، إياك وتحقيق رغبات الناس ونشر الدعاية

وإثارة الناس وتأليب المجتمع.

فإن من فعل هذا فحصل بسبب أفعاله من الخروج أو من سفك الدماء أو من إزهاق الأرواح أو من تيتم الأطفال أو من ترمل النساء أو من هدم البلدان أو من تدمير الممتلكات له أو عليه إثم أيضًا لأنه كان مساهما في ذلك مشاركا فيه في التهييج والخروج سواء كان في صحفة فيسبوك أو كان في تويتر أو كان في صوتية أو في غير ذلك، هو مشارك في هذه الدماء التي تزهق بالباطل.

حذيفة على حتى نفهم كيف الصحابة الله يفهمون النصوص، لما قال لأصحابه إذا ظلمتم ماذا تصنعون؟ قالوا نخرج مظاهرات؟ بل قالوا نصبر، قال: دخلتموها ورب الكعبة، لماذا؟

لأن حذيفة على ينظر إلى حفظ دماء المسلم، دم المسلم غالي إلا عند أهل الثورات لا قيمة له، فالنبي قل قال: «لأن يهدم البيت حجرا حجرا أهون عند الله من سفك دم امرئ مسلم».

وقال ﷺ: «لا يزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما»، تهييج الناس والإفتاء بالخروج وظهور بعض من ينتسبون إلى العلم وإلى الدين وإلى الفتوى محرضًا للناس على الخروج على الحكومات ومهيجا لهم على قيادة المظاهرات وداعما لهم بالفتاوى على القتل والتدمير هذا عليه إثم كل نفس أزهقت بسبب هذه المخالفات

وبسبب هذا الانحراف، عندنا أمر الله جل وعلا وأمر النبي على هو الواجب الاتباع، أما غير ذلك فهي آراء عقلية، ليس لها مستند إلا من المتشابه، فيأخذون المتشابهات ويتركون المحكمات.

والله عَلَى قَالَ فيمن يأخذ المتشابهات قال: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِمِمْ زَيْغٌ فَيَتَبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْويلِهِ} [آل عمران:٧].

ومن حقهم علينا أن نوقر الحاكم ونعرف له قدره، هذا جاءت به النصوص، من ذلك قوله على: «سيكون بعدي سلطان فأعزوه، من التمس ذله ثغر ثغرة في الإسلام ولم يقبل منه توبة حتى يعيدها كما كانت».

من التعامل الصحيح أن يُعرف له قدره وأن ينزل منزلته، وأن تعرف له مكانته، وكذلك التعاون معه فيها فيه مصلحة المجتمع ومصلحة الإسلام، الله جل وعلا قال عن عموم المسلمين: وتعاونوا على البر والتقوى، فمن باب أولى التعاون مع ولاة الأمر والدعاء لهم، هذا أيضًا من حقوقهم علينا، الدعاء لهم، الدعاء يفرج الله به الكروب ويصلح الله به الأحوال.

ولذلك كان بعض الأئمة كالإمام أحمد وغيره كانوا يقولون: "لو أن لي دعوة مستجابة لجعلتها في السلطان، لما يصلح الله به"، لكن الناس تركوا الدعاء الذي بينهم وبين ربهم ولجئوا إلى السلاح وإلى الأصوات وإلى الخروج فأوكلهم الله جل وعلا إلى

هذه الأمور.

ماذا لو دعوت له بالصلاح والتسديد والإعانة؟

ولذلك كان علامة أهل السنة الدعاء للسلطان كها قال البربهاري المتوفى في القرن الثالث، أو الرابع قال: "وعلامة أهل السنة الدعاء للسلطان وعلامة أهل البدع الثالث، أو الرابع قال: "وعلامة أهل النبي في يقول: «خير أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون على السلطان"، ولذلك النبي في يقول: «خير أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم» تدعون لهم ويدعون لكم.

يا أخي في هذا خير وفي هذا لجوء إلى الله، والدعاء بإصلاح الإنسان واستقامته على الدين أعظم من أن تدعو عليه، فلما ترك الناس هذه الأمور قدموا الآراء والعقول والعواطف فقط، فخالفوا المنهج الذي كان عليه النبي وسار عليه الصحابة الكرام وقرره أئمة العلم في كتب العقائد وفي كتب الفقه، ولم يخالف في ذلك إلا الخوارج أو من نحا نحوهم من الفرق المخالفة.

هذه بعض الحقوق التي ذكرناها إتماما لما ذكر من مسائل في شرح حديث جبريل، وما كان من صواب فمن الله جل وعلا وحده لا شريك له، وما كان من خطأ أو سهو أو غفلة أو تقصير فهو مني ومن الشيطان.

أسأل الله جل وعلا أن يتجاوز عني، وأسأل الله أن ينفع بها قيل، وأن يجعل ما قلناه في موازين من قال وسمع واستمع وحضر ونسق ورتب وطبع المتون.

وأسأل الله جل وعلا للجميع التوفيق والسداد والهدى والرشاد. هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## 

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية ليصلكم جديد شبكة بينونة، يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

Twitter آويتر

https://twitter.com/BaynoonaNet

Telegram ] تیلیجرام

https://telegram.me/baynoonanet

آ Facebook فیسبوك آ

https://m.facebook.com/baynoonanetuae/

Instagram ] انستقرام

https://instagram.com/baynoonanet

WhatsApp ] واتساب

احفظ الرقم التالي في هاتفك

تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك (( لن تتمكن من استقبال الرسائل ))

[ تطبيق الإذاعة ]

لأجهزة الأيفون

https://appsto.re/sa/gpi5eb.i

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/nJrA9j

Youtube ] ®

https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE

🔞 【 تمبلر Tumblr 】

https://baynoonanet.tumblr.com/

Blogger ] الوجر

https://baynoonanet.blogspot.com/

Flickr ) فليكر

https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/

[ لعبة كنوز العلم ] <sup>(1)</sup> لأجهزة الأيفون

https://goo.gl/Q8M7A8

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/vHJbem

TikTok ] تيك توك

https://tiktok.com/@baynoonanet

Vk في كي ]

https://vk.com/baynoonanet

Linkedin لینکدان

شبكة-بينونة-للعلوم-الشرعية-https://www.linkedin.com/in/669392171

Reddit ريديت

https://www.reddit.com/user/Baynoonanet

chaino تشينو

https://www.chaino.com/profile?id=5ba33e0c772b23d5bb7daf0a

Pinterest ] بنترست

https://www.pinterest.com/baynoonanet/

Snapcha سناب شات

https://www.snapchat.com/add/baynoonanet

تطبيق المكتبة

لأجهزة الأيفون

https://apple.co/33uUnOr

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/WNbvaL

[ تطبيق الموقع ]

لأجهزة الأيفون

https://apple.co/2Zvk8OS

لأجهزة الأندرويد

-قريباً بإذن الله-

[ البريد الإلكتروني ]

info@baynoona.net

[ الموقع الرسمي ]

http://www.baynoona.net/ar/

## حقوق الطبع محفوظت





نتبكة بينونة للعلوم النترعية